د. أحمد حجازى السقا

# أقانيم النصارى

## بيان ونقد



مكتبة النافذة

# أقانيم النصارى

## بيان ونقد

د. أحمد حجازي السقا

الناشر

مكتبة النافذة

# أقانيم النصارى

تأليف: د. أحمد حجازى السقا

الطبعة الأولى ٢٠٠٦

رقم الإيداع ١٦٧٤٠/٢٠٠٦




الناشر: **مكتبة النافذة**

المدير المسئول: سعيد عثمان

---

الجيزة ٢شارع الشهيد أحمد حمدى - الثلاثينى - فيصل

تليفون وفاكس: ٧٢٤١٨٠٢



## التقديم للكتاب

بقلم

الأستاذ الدكتور

**حسين آتاى**

عميد كلية الإلهيات بأنقره - تركيا

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين، سيدنا محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وعلى أولياء الله وأنصاره الى يوم الدين.

وبعـــــد

فقد [1] قرأتُ هذا الكتاب فى طبعته الأولى أكثر من مرة. ووعيت ما فيه بفضل الله تعالى واسترعى انتباهى قول المؤلف: إن أقنوم الابن؛ هو محمد ﷺ ومعنى هذا؛ أنه ليس عند المسيحيين تثليث. ثم لما تكلم عن قولهم فى أقنوم الروح القدس قال: إنه هو محمد ﷺ فعجبتُ من جرأته هذه؛ لأن العالم كله ينقل عنهم أنهم مثلثون لا موحدون. لذلك بحثت عن هذه العقيدة فى أكثر من كتاب عندنا نحن المسلمين وعندهم، ووجدت ما قاله المؤلف صحيحًا.

(١) الأستاذ الدكتور حسين آتاى - عميد كلية الإلهيات بأنقره. من العلماء المجتهدين فى الفلسفة الإسلامية. وقد ألف وحقق كتباً. منها دلالة الحائرين لموسى بن ميمون، والمحصول لشيخ الإسلام الإمام فخر الدين الرازى. وهما مطبوعان فى مصر. وله مقالات قيمة وأبحاث عظيمة فى إصلاح أحوال المسلمين، تنشر فى الجرائد والمجلات وقد مثّل تركيا فى مؤتمرات علمية، وآراؤه في تنقية الكتب الإسلامية من الإسرائيليات؛ مشهورة ومقبولة. ويصفه علماء المسلمين بأنه مصلح ومجدد ومجتهد. وله عند علماء الأزهر الشريف مكانة طيبة. وله فى قلوب الطلاب الأزهريين مهابة ووقار.

إنه فى كلامه عن أقنوم الآب. قال: إنهم يعنون به الله تعالى. وقد شبهوه بالأب فى الرحمة والشفقة، حتى أن نبى الله إشعياء يقول لله تعالى: «فإنك أنت أبونا، وإن لم يعرفنا إبراهيم، وإن لم يدرنا إسرائيل. أنت يارب أبونا. ولينا. منذ الأبد اسمك» [إش ٦٣ : ١٦] وحمد المسيح الله فقال: «أحمدك أيها الآب رب السماء والأرض» [مت ١١ : ٢٥] وقال لعالم من علماء بنى إسرائيل: «لست بعيداً عن ملكوت الله» [مر ١٢ : ٣]وقال لليهود الكافرين به: «ولكنكم الآن تطلبون أن تقتلونى وأنا إنسان قد كلمكم بالحق الذى سمعه من الله» ( يو ٨ : ٤٠) ورفع عينيه إلى السماء وتضرع إلى الله فقال: «أيها الآب أشكرك؛ لأنك سمعت لى، وأنا علمت أنك فى كل حين تسمع لى، ولكن لأجل هذا الجمع الواقف قلت؛ ليؤمنوا أنك أرسلتنى [يو ١١ : ٤١ - ٤٢].

وإنه فى كلامه عن أقنوم الابن. قال: إن الله قد اختار بنى إسرائيل من بين الأمم الوثنية للدعوة إلى الله تعالى بشريعة موسى عليه الصلاة والسلام ولما ابتدأوا فى الدعوة؛ صار أهل العالم فرقتين: فرقة منسوبة إلى الله، وفرقة منسوبة إلى إبليس. لذلك شبه الله المنتسبين إليه بأولاد لأب رحيم وشفوق، وشبه المنتسبين إلى إبليس بأولاد لأب شرير وقاسى القلب. فقال: «أنتم أولاد للرب إلهكم» [تث ١٤ : ١] وقال المسيح لعلماء بنى إسرائيل: «أنتم من أب هو إبليس، وشهوات أبيكم تريدون أن تعملوا. ذاك كان قتالاً للناس من البدء، ولم يثبت فى الحق؛ لأنه ليس فيه حق، متى تكلم بالكذب؛ فإنما يتكلم مما له؛ لأنه كذاب، وأبو الكذاب. وأما أنا فلأنى أقول الحق: لستم تؤمنون بى. من منكم يبكتنى على خطية ؟ فإن كنت أقول الحق؛ فلماذا لستم تؤمنون بى ؟ الذى من الله يسمع كلام الله، لذلك أنتم لستم تسمعون؛ لأنكم لستم من الله. فأجاب اليهود وقالوا: ألسنا نقول حسنا: إنك سامرى وبك شيطان ؟ أجاب يسوع: أنا ليس بى شيطان، لكنى أكرم أبى، وأنتم تهينوننى» [يو ٨: ٤٤ - ٤٩].

ومن أجل أن جماعة بنى إسرائيل أولاد ، مجازاً لاحقيقة؛ وقد وعدهم الله بنبى

سيظهر من وسطهم من بين إخوتهم؛ جاء فى النصوص المعرفة به: أنه «ابن الله» مجازاً، بمعنى المتسب إليه، لا إلى إبليس المضل. ففى المزمور الثانى: «لماذا ارتجت الأمم، وتفكر الشعوب فى الباطل» ثم قال: «إنى أخبر من جهة قضاء الرب: قال لى: أنت ابنى. أنا اليوم ولدتك، اسألنى؛ فأعطيك الأمم ميراثاً لك، وأقاصى الأرض ملكاً لك»

وقد جاء فى الأناجيل أن المسيح عيسى عليه السلام وضع هذا النص على محمد صلى الله عليه وسلم فقال: «تبارك اسم الله القدوس، الذى خلق نور جميع القديسين والأنبياء قبل كل الأشياء ليرسله لخلاص العالم، كما تكلم بواسطة عبده داود قائلا: «قبل كوكب الصبح فى ضياء القديسين؛ خلقتك» [بر ١٢ : ٧]

وقال القديس برنابا: Barnabas إن بولس Paul قد خان الحواريين، ونادى بأن النبى المعروف بابن الله ليس محمداًﷺوإنما هو المسيح عيسى عليه السلام. قال «أيها الأعزاء. إن الله العظيم العجيبَ قد افتقدنا فى هذه الأيام الأخيرة بنبيه يسوع المسيح برحمة عظيمة للتعليم والآيات التى اتخذها الشيطان ذريعة لتضليل كثيرين بدعوى التقوى مبشرين بتعليم شديد الكفر، داعين المسيح ابن الله، رافضين الختان، الذى أمر به الله دائما، ومجوزين كل لحم نجس. الذين ضل فى عدادهم أيضا بولس» [بر - المقدمة]

ومعنى الكلام: هو أن بولس وضع النص عن محمدﷺالذى فيه أنه يلقب بابن الله على المسيح عيسى عليه السلام. وبذلك انقسم أنصار المسيح إلى طائفتين، طائفة تبشر بأن محمداً سيأتى، وتفسر نصوص التوراة عن النبى المنتظر عليه، كما علمهم المسيح، وطائفة تدعى أن نصوص التوراة عن النبى المنتظر هى للمسيح، كما علمهم بولس، وعندئذ ألف بولس رسائله لهذا الغرض.

فلما جاء مجمع نيقية بتركيا سنة ٣٢٥ م جمع الامبراطور قسطنطين امبراطور روما علماء الطائفتين، وحتم عليهم جميعا أن يعدلوا الأناجيل طبقا لما فى رسائل بولس. ولذلك نادوا بأن الابن هو المسيح. وكتبوا ذلك فى قانون الإيمان، فهل محمدﷺإله ؟

ليس إلهاً، فهل الآب والابن إلهان ؟ إن محمداً ليس إلهاً، إذاً قانون الإيمان ينص على إله واحد، هو الله رب العالمين، خالق السموات والأرض، وقولهم إن المسيح رب معه؛ هو حيلة طريفة لإبعاد نص نبوءة الابن فى المزمور الثانى عن محمدﷺ.

وظلوا على توحيد الله، على هذه الحيلة، إلى أن عملوا مجمعاً فى سنة ٣٨٢ م فى القسطنطينية. وفى هذا المجمع عملوا حيلة أخرى تشبه الحيلة الأولى. وهى أن المسيح - طبقاً لرواية يوحنا - وصف محمدﷺبالروح القدس. وذلك لأن بنى إسرائيل ينسبون الرجل الذى يسير معه، إلى الروح القدس. أى يدعو إلى الله. وينسبون الرجل الذى يسير مع إبليس، إلى الروح النجس، أى يدعو إلى إبليس.

وقد نسب المسيح محمدﷺإلى الله فقال: «والكلام الذى تسمعونه؛ ليس لى، بل للآب الذى أرسلنى، بهذا كلمتكم وأنا عندكم، وأما المعزّى الروح القدس، الذى سيرسله الآب باسمى؛ فهو يعلمكم كل شئ، ويذكركم بكل ماقلته لكم» [يو ٢٤ : - ٢٦].

وفى هذا المجمع قالوا: إن «الروح القدس» رب مع الابن. ليلغوا فى نبوة محمد ﷺ من قبل ظهوره.

والفرق بين المؤلف وبين المؤلفين السابقين عليه من أهل الإسلام: هو أن السابقين وهم يثبتون نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم كان غرضهم عدّ النبوءات.

وقد عدوا نبوءة المزمور الثانى من النبوءات، وفسروها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكنهم لم يكونوا على علم بحيلة المسيحيين فيها. وعدوا أيضاً نبوءة «المعزى الروح القدس» وفسروها عليه صلى الله عليه وسلم ولكنهم لم يكونوا على علم بحيلة المسيحيين فيها.

وإذا كان الأمر كذلك - وهو كذلك - فهل يعتبر المسيحيون مثلثين حقيقة ؟ بالتأكيد لايعتبرون مثلثين على الحقيقة، بل على الظاهر من الكلام، فمحمد صلى الله عليه وسلم ليس إلهاً حتى يكون نصيبه أقنومين من الثلاثة.

ولكن الكاثوليك يقولون بأن الابن؛ ابن طبيعى لله، ولايقولون بأنه اتخذ صاحبة وأنجب منها هذا الابن، ويقولون بأن الله ليس كمثله شئ «ليس مثل الله» [ تث ٣٣: ٢٦ ] ويقولون هو واحد «اسمع ياإسرائيل، الرب إلهنا رب واحد» [ تث ٦ : ٤] فكيف مع التوحيد ونفى المثل يقولون بابن طبيعى لله ؟ قولهم هذا هو كلام لا أصل له ولا مستند له، وهم قد قالوه لتأكيد الحيلة، وليظهروا خلافاً مع الأرثوذكس، الذين يقولون إن الله إله واحد. وما الابن والروح إلا مرحلتين لهذا الواحد. ولايقول الأرثوذكس بتميز الابن عن الروح، ولا بتميزها عن الله؛ لأنهم يعلمون أن الابن والروح لقبان فى الحقيقة لغير الله. ويقول الكاثوليك بتميز الابن عن الآب، وتميز كل منهما عن الروح، للإيهام وللخداع بثلاثة منفصلين.

وجميع المسيحيين يقولون بثلاثة. أما الأرثوذكس - ومنهم المصريون - فإنهم يقولون بثلاثة مراحل لله عز وجل. ويقولون: إن الله هو المسيح، والمسيح هو الله، ويقولون: إن مريم حبلت بالمسيح بقوة الروح القدس. ويقولون: بأن الله تجسد فى صورة إنسان واحد هو المسيح. وهذا الواحد يقال عليه مرة هو الله. ومرة هو ابن الله. ومرة هو الروح القدس. وأما الكاثوليك - ومنهم الرومانيون - فإنهم يقولون بثلاثة متميزين، وبانفصال عمل كل من الثلاثة عن غيره.

فالجديد الذى انفرد به المؤلف فى هذا الكتاب عن السابقين عليه والمعاصرين له: هو فى تتبعه أصل كل أقنوم ودليله، وتنقيبه عن عن آراء السابقين ليرى هل هم معه أم لا.

ففى كتاب تخجيل من حرف الإنجيل يقول المؤلف رحمه الله فى البشرى السادسة عشرة: «قال داود فى المزمور الثانى له، وتنبأ به على اتساع خطة الإسلام: «أنت ابنى وأنا اليوم ولدتك. سلنى أعطيك الشعوب ميراثك، وسلطانك إلى أقطار الأرض، وترعاهم بقضيب من حديد، ومثل آنية الفخار تسحقهم»

اعلم: أنه لايتصور من عارف صرف هذا المزمور عن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لأنه عليه السلام هو الذى ورث الشعوب كلها، وبلغ سلطانه إلى أقطار الأرض، ورعى الأمم، وأحاطهم بسيفه. ولايمكن صرف هذا المزمور إلى داود؛ لأنه لم يرث

سائر الشعوب، ولابلغ سلطانه إلى أقطار الأرض، ومـا ملك سوى ناحية من الأرض. وهى «بيت المقدس» ثم خـرجت من بعده إلى أمة هذا النـبى والأقطار والنواحى، وقد بلغ سلطان محـمد عليه السلام جوانب الدنيـا وأطراف العالم. ففتح الله عليـه الحجاز واليمن والحبشة والنوبة والهند والـسند إلي الصين، ودوخت أمة الشام والعراق وفارس إلى الترك، وفـتحوا أرض مصـر والمغرب الأقصى إلى بحر طنجـة. فقد ورث محـمد سائر الشعوب، وبلغ سلطانه إلى أقطار الأرض.

فصار هذا المزمور مـضاهيا لبشرى يعقوب فى التوراة بمـحمد صلى الله عليه وسلم الذى نقلناه. فأمـا قوله فى أول المزمور: أنت ابنى؛ فـجرى فيـه داود على عادتهم فى إطلاق لفظ البنوة على النبى والمطيع لله. فـقد قال فى التـوراة: «إسرائيل ابنى بكرى» وقال المسيح فى الإنجيل: «أنا ذاهب إلى أبى وأبيكم»

وقـد استـدل الإمام الفـقيـه شيخ الأصـــــوليين الإمام القـرافى - رضى الله عنه وأرضاه - بهذا المزمور على رسول الله صلى الله عليـه وسلم فى كتابه القيم «الأجوبة الفاخرة» كما استدل به مؤلـف «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح» وجميع المسلمين قد نقلوا كلام المسيح عليه السلام فى الروح القدس. وقالوا: إنه محمد ص.

فالمعزى الروح القدس، وهو «البارا قليط الـروح القدس» فى التراجم القديمة. معناه «النائب عن المسـيح» وليس فى أصل الإنجيل باليـونانية «بارا قليط» بل «بيـروقليطوس» وهى بِكسر الباء «أحمد» بـشهادة جـميع علماء اللغـات القديمة. والدليل على صـحة شهاداتهم: وجـود حرف السين فى نهاية «بِيـرا قليط» فالسين فى نهاية الكلمة اليـونانية تجعلها اسـما. مثل يوسابيـوس - انطونيوس - اكتافيـوس. وقد رفع مترجـمو الإنجيل كلمة «بيراقليطوس» وكتبوا مكانها «المعزى»

ففى قصص الأنبيـاء للشيخ عبد الوهاب النجار - رحمه الله -: «كـان المسيح يعبر عن المبـشر به بـلفظ النبى وبلفظ مَـسِيّـا وبلفظ فـارقليط [1] وهو تـعـــريب لـفظ

(١) الصحيح وبلفظ فِيراقليط.

«باراكليتوس»[1] اليونانية، ومعناها: الذي له حمد كثير»

وقال الشيخ الشيخ عبد الوهاب: إنه سأل الدكتور «كارلو نلينو» عن معناها، وأجابه بأن معناها هو «الذى له حمد كثير» وقال له: إن الحمد الكثير يوافق أفعل التفضيل من الفعل حمد[2]، وقال الشيخ رحمه الله: إننى بذلك قد ازددت تثبتا فى معنى قوله تعالى حكاية عن المسيح: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ (الصف: ٦).

وقد جاء فى القرآن: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ (التوبة: ٢٩-٣٠).

إن عزرا الذى حرف التوراة عمدا، قد صغّره الله وحقّره وأتى باسمه على صيغة التصغير فقال ( عزير ) ولايتصور عاقل بتصغيره أن يكون نبيا أو وليا. وهم يقولون: إن عزرا هو الذى أعاد كتابتها من بعد ضياعها فى غزوة بابل أيام نبوخذ نصر، ويقول الله فى شأنها إنهم فيها لبسوا الحق بالباطل، وحرفوا الكلم من بعد مواضعه. وقد بالغوا فى تعظيمه بأنه ابن ممتاز لله. وهم أبناء له غير ممتازين. وأما المسيح فقد قال المسيحيون فيه: إنه الابن الذى جاء ذكره فى المزمور الثانى. وبقولهم هذا عن الاثنين ( يضاهئون ) أى يشابهون. لعنهم الله، كيف يضلون عن الحق وهو ظاهر، ويعدلون إلى الباطل ؟

ماذا ترى فى هذه المضاهاة ؟ أترى أنها فى التثليث أم أنها فى نسبة ولد إلى الله؟ ليست فى التثليث، وهذا اعتراف من القرآن بأن الأمم الضالة لم تكن مثلثة، لأنها لو كانت مثلثة لقال بعد القول عن اتخاذهم ولدا: وإنهم كانوا مثلثين. فذكره المشابهة فى البنوة، وهو يعلم أن المسيحيين مثلثون: يدل على أن التثليث لم يكن فى العالم. فكيف يقال: إن التثليث كان فى العالم عند الهنود والمصريين وغيرهم ؟

---

(١) الصحيح بِيراكليتوس

(٢) ص ٤٧٣ - ٤٧٤ قصص الأنبياء

وقد تكون الإجابة - والعلم لله - أن تثليث المسيحيين ليس تثليثاً متعدد الذوات؛ فإن الابن والروح هما واحد. أما البنوة فإن الكاثوليك يقولون بأن المسيح ابن طبيعى لله، تعالى الله علواً كبيراً. ولايلزم من سكوت القرآن عن شئ ماحصل فى العالم؛ أنه لم يكن حاصلاً.

هذه هى عقائد المسيحين. وضعوها للتشويش على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وهم يعلمون أن عيسى عليه السلام كان مصدقاً للتوراة. وفيها هذه النصوص عن أن الله تعالى هو الخالق للعالم وحده وليس كمثله شئ: «فى البدء خلق الله السموات والأرض، وكانت الأرض خربة وخالية، وعلى وجه القمر ظلمة. ورياح الله[1] ترف على وجه المياه [1] » [ تك ١: ١ - ٢]«اسمع يا إسرائيل. الرب إلهنا رب واحد» [تث ٦ : ٤] «ليس مثل الله» [ تث ٣٣: ٢٦ ].

وقد نسخ بولس شريعة التوراة. وأمر اليهودى الداخل فى المسيحية بأن يعمل وهو فيها بشريعة التوراة، وأمر الأممى الداخل فيها بأن يعمل بحسب العادات التى نشأ عليها، وبحسب قوانين البلاد التى يعيش فيها. فقال: «غير أنه كما قسم الله لكل واحد - كما دعا الرب كل واحد - هكذا ليسلك. وهكذا أنا آمر فى جميع الكنائس: دعى أحد وهو مختون؛ فلا يصر أغلف. دعى أحد فى الغرلة؛ فلا يختتن. ليس الختان شيئا، وليست الغرلة شيئاً، بل حفظ وصايا الله. الدعوة التى دعى فيها كل واحد؛ فليثبت فيها. دعيت وأنت عبد؛ فلايهمك. بل وإن استطعت أن تصير حراً؛ فاستعملها بالحرىّ؛ لأن من دعى فى الرب وهو عبد؛ فهو عتيق الرب. كذلك ايضاً الحر المدعو؛ هو عبد للمسيح. وقد اشتريتم بثمن؛ فلا تصيروا عبيداً للناس. مادعى كل واحد فيه - أيها الأخوة - فليثبت فى ذلك مع الله» [ كورنثوس الأولى ٧: ١٧ - ٢٤] .

ومايزال المسيحيون من بعد مجمع نيقية وإلى هذا اليوم على إرشادات بولس.

وقد استفاضت الكتب الإسلامية بأن اليهود يؤمنون بالله، ويجسمونه ويجوزون له

---

(١) فى تراجم بعض المسيحين «وروح الله يرف على وجه المياه»

النقلة والحركة والجهة، وينسبون إليه القوة والعجز والأسف والحزن والفرح والرضا. واستفاضت كتب علماء اليهود بأن اليهود يؤمنون بالله ولايجسمونه. وقد خالف المؤلف ماعليه إجماع المسلمين وهو أن اليهود مجسمون.

وبين أنهم موحدون ومنزهون لله تعالى عن الجسمية. وكفرهم هو كفرهم بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم لا بالله تعالى. واستدل المؤلف على توحيدهم وتنزيههم بأن التوراة فى الوصايا العشر تنهى عن اتخاذ إله دون الله وتنهى عن الإشراك به، وتنهى عن التمثيل والتشبيه والتخيل. ففى الاصحاح العشرين من سفر الخروج:

«لايكن لك آلهة أخرى أمامى. لاتصنع لك تمثالاً منحوتاً، ولاصورة ما مما فى السماء من فوق، ومافى الأرض من تحت، ومافى الماء من تحت الأرض. لاتسجد لهن ولاتعبدهن» [خر ٢٠ : ٣ - ٥].

وقد جاء فى التوراة: أن المشايخ السبعين أبصروا الله. وجاء فيها: أن المشايخ لم يروا جسماً لله، وإنما رأوا الملك الذى كلم موسى نيابة عنه. ففى الأصحاح الرابع من سفر التثنية:

«فكلمكم الرب من وسط النار، وأنتم سامعون صوت كلام، ولكن لم تروا صورة بل صوتاً» [ تث ٤ : ١٢ ].

ويقول ابن كمونه فى رد هذه الشبهة: «وأما أن المشايخ أبصروا الله، فقد قيل إنه وإن كان فى اليقظة؛ فهو على مثل مايرى فى المنام، لابالحس الظاهر [(١)]» وقد جاء فى التوراة: «وبنى نوح مذبحاً للرب، وأخذ من كل البهائم الطاهرة، ومن كل الطيور الطاهرة، وأصعد محرقات على المذبح، فتنسم الرب رائحة الرضا» [ تك ٨ : ٢٠ - ٢١] وفى ترجمة : أنه استنشق قتار القرابين. يقول ابن كمونة: «وأما استنشاق قتار القرابين؛ فهو كناية عن تقبلها، كما يقال: سمع الله دعاءه بمعنى تقبله. وإصبع الله: مستعارة لقدرته، كما تستعار اليد للملك فى لغتى العبرانية والعربية. ويدل على ذلك

---

(١) ٣٣ تنقيح الأبحاث فى الملل الثلاث.

دلالة قطعية: ماجاء فى التوراة حكاية عن المصريين أنهم لما ابتلوا بما ابتلوا به، قالوا: «إصبع الله هى» ومعلوم: أن مرادهم بذلك: قدرة الله»

إنه يقارن بين «سمع الله دعاء من دعاه» وبين «استنشاق قتار القرابين» وظاهر القولين يثبت الجسمية. إذ السماع لايتأتى إلا من أذن. ولابد للأذن من جسم. أى أنه يثبت المماثلة بين العبرانية والعربية فى الألفاظ الموهمة للجسمية ويهدف منه إلى أن التأويل الذى لابد منه فى العربية، هو نفسه التأويل الذى لابد منه فى العبرانية.

وأحسن من رده هذا: هو أن يقول: إن الله عبر عن ذاته المقدسة بلغة بنى آدم - على سبيل مشاكلة الفكر للفكر - ليقدر بنو آدم على إدراك ذاته وصفاته. فالله تعالى يقول فى القرآن الكريم ﴿ الله يستهزئ بهم ﴾ - ﴿ نسوا الله فنسيهم﴾ - ﴿وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ﴾(الفتح: ٦)- ( فلما آسفونا؛ انتقمنا منهم) - ( يد الله فوق أيديهم ) - (وجاء ربك ) وهذا كله ومايماثله، ليس على ظاهره إذ لو كان على ظاهره، للزم من ظاهره: أن الله ينسى، ولا يلزم على الظاهر النسيان فقط، بل يلزم التناقض فى القرآن. لأن فيه: ( لايضل ربى ولاينسى ) ولئن فسرنا بالكناية بأن نقول: إن اليد كناية عن القدرة؛ للزم على التفسير بالكناية: أن نبحث عن ذات تتعلق بها هذه القدرة. وهى لاتتعلق - بحسب الظاهر - الا بجسم. فيكون التفسير بالكناية مثبتاً لجسم ونحن نجتهد فى نفى الجسم. وإذا نحن ألغينا أسلوب الكناية، وقلنا فى اليد: إن الله بها كلمنا عن نفسه بلغة بنى آدم؛ ليقدروا على تصور ذاته وصفاته. فإن قولنا هذا ينفى الجسمية نفياً باتاً.

وفى تفسير الإمام ابن كثير - رضى الله عنه - وجوه فى تفسير ( الله يستهزئ بهم) قال ابن جرير: أخبرنى الله تعالى أنه فاعل بهم ذلك يوم القيامة.

وقال آخرون: بل استهزاؤه بهم: توبيخه إياهم.

وقال آخرون: هذا وأمثاله على سبيل الجواب. كقول الرجل لمن يخدعه إذا ظفر به: أنا الذى خدعتك، ولم يكن منه خديعة، ولكن قال ذلك إذا صار الأمر إليه.

وقال آخرون: هو إخبار من الله تعالى أنه مجازيهم جزاء الاستهزاء.

وكلام هذا المفسر يدل على اختلاف العلماء فى التأويل. والتأويل بأن الله يخاطب الناس عن نفسه على قدر عقولهم، هو المراد.

وقد أخذ المؤلف تأويله هذا من المسيح عيسى عليه السلام فإنه لما سئل عن يد الله. أجاب بأن الله ليس جسماً، ولم يقل بالتأويل بالقدرة. وإنما قال: كما علت السماء عن الأرض، علا فكر الله على فكر الناس، وأن الله استخدم لغة البشر فى حديثه إليهم؛ لأنه لو كلمهم بلغته هو؛ لماتوا من الخوف. يقول عيسى عليه السلام: «أليس لله إذاً قدرة على التصرف بأشيائه حسبما تريد أيها الغبى ؟ أما أنت فليس لك من ملك سوى الخطيئة فقط؛ فعليها يجب أن تبكى لا على شئ آخر. قال متى: يامعلم إنك لقد اعترفت أمام اليهودية كلها بأن ليس لله من شبه كالبشر، وقلت الآن: إن الإنسان ينال من يد الله. فإذا كان لله يدان؛ فله إذاً شبه بالبشر. أجاب يسوع: إنك لفى ضلال يامتّى. ولقد ضل كثيرون هكذا إذ لم يفقهوا معنى الكلام. لأنه لا يجب على الإنسان أن لا يلاحظ ظاهر الكلام بل معناه، إذ الكلام البشرى بمثابة ترجمان بيننا وبين الله. ألا تعلم أنه لما أراد الله أن يكلم آباءنا على جبل سيناء صرخ آباؤنا: «كلمنا أنت ياموسى ولايكلمنا الله لئلا نموت ؟» وماذا قال الله على لسان إشعياء النبى: «أليس كما بعدت السموات عن الأرض. هكذا بعدت طرق الله عن طرق الناس، وأفكار الله عن أفكار الناس ؟» إن الله لا يدركه قياس ، إلى حد أنى أرتجف من وصفه» [بر ١٠٤]

وفى كتب علم التوحيد: أن من العلماء من يأخذ ما بظاهر ( يد الله ) وبظاهر ( وليس كمثله شئ ) ويقول: نثبت لله - بحسب ظاهر اللفظ، ما أثبته لنفسه. ولانؤول. ومنهم من يؤول اليد بالقدرة. فإذا وصلوا إلى ( ومكر الله ) و ( إذ يقول لصاحبه: لاتحزن إن الله معنا ) اضطروا إلى التأويل؛ لأن المكر يدل على الضعف، والمعية تدل على حصر الله فى الغار

وكما أن فى القرآن أن الله فى كل مكان، فى التوراة أن الله فى كل مكان. ففى سفر النبى إرمياء: «ألعلى إله من قريب. يقول الرب. ولست إلها من بعيد ؟ إذا اختبأ إنسان في أماكن مستترة؛ أفما أراه أنا ؟ يقول الرب. أنا أملأ السموات والأرض ؟ يقول

الرب» [إر ٢٣: ٢٣ - ٢٤]

فإذا قال قائل: إن الله لايكون فى أماكن القاذورات وفى الأراضى النجسة؛ فإنه بذلك يكون مشجعاً على الزنا فى هذه الأماكن بحجة أن الله ليس فيها.

وإذا صرح بأن ملائكته لاتدخل بيتاً فيه كلب، فمعنى ذلك أن الزناة يضعون كلاباً فى بيوت الدعارة؛ لئلا تدخل الملائكة وتكتب أعمالهم، وبذلك يفلتون من العقاب.

إن الله تعالى فى السماء وفى الأرض بذاته وبعلمه، والتفرقة بين الذات وبين العلم؛ يردها القرآن وينفيها نفياً قاطعاً. فالله يقول ( أنزله بعلمه ) ويقول: ( أنزله الذى يعلم السر فى السموات والأرض )

وبعدما فرغ المؤلف من كلامه عن الأقانيم الثلاثة؛ ذكر قانون الإيمان، وكلام القدماء فى التثليث، وماشابه ذلك. مع أن موضوع الكتاب يفرغ عند نهاية الكلام فى الأقنوم الثالث.

ومع ذلك أقول مع الذين قرأوه وأوصوا بتدريسه: إنه كتاب قيّم وأسأل الله تعالى أن ينفع به الناس، وأن يهدى به إلى دين الإسلام العظيم.

**الدكتور / حُسين آتـــاي**
عميد كلية الإلهيات بأنقره - تركيا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَّكُمْ وَإِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧٠﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلاً ﴿١٧١﴾ لَن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلا الْمَلائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾

(النساء: ١٧١- ١٧٢).

صدق الله العظيم

# نصٌ للقراءة

جاء فى إنجيل بَرْنابا ما نصه:

«فإن رؤساء الكهنة تشاوروا فيما بينهم، ليتسقطوه بكلامه، لذلك أرسلوا اللاويين وبعض الكتبة يسألونه قائلين: من أنت ؟ فاعترف يسوع، وقال: الحق أنى لست مَسِيًا. فقالوا: أأنت إيليًا أو إرميا، أوْ أحد الأنبياء القدماء ؟ أجاب يسوع: كلا. حيتئذ قالوا: من أنت ؟ قل لنشهد للذين أرسلونا. فقال حينئذ يسوع: أنا صوت صارخ فى اليهودية كلها يصرخ: أعدوا طريق رسول الرب. كما هو مكتوب فى إشَعياء. قالوا: إذا لم تكن المسيا، ولا إيليًا، أو نبيا مًا، فلماذا تبشر بتعليم جديد، وتجعل نفسك أعظم شأنا من مَسِيًا ؟ أجاب يسوع: إن الآيات التى يفعلها الله علي يدى، تُظهر انى أتكلم بما يريد الله، ولست أحسب نفسى نظير الذى تقولون عنه. لأنى لست أهلا أن أحل رباطات جرموق أو سيور حذاء رسول الله، الذى تسمونه مَسِيًا، الذى خُلق قبلى، وسيأتى بعدى، وسيأتى بكلام الحق، ولا يكون لدينه نهاية.

فانصرف اللاويون والكتبة بالخيبة، وقصُّوا كل شىء على رؤساء الكهنة الذين قالوا: إن الشيطان على ظهره، وهو يتلو كل شىء عليه.

ثم قال يسوع لتلاميذه: الحق أقول لكم: إن رؤساء وشيوخ شعبنا يتربصون بى الدوائر. فقال بطرس: لا نذهب فيما بعد إلى أورشليم. فقال له يسوع: إنك لغبى، ولا تدرى ما تقول. فإن علىّ أن أحتمل اضطهادات كثيرة؛ لأنه هكذا احتمل جميع الأنبياء، وأطهار الله، ولكن لا تخف، لأنه يوجد قوم معنا، وقوم علينا.

ولما قال يسوع هذا انصرف. وذهب الى جبل طابور، وصعد معه بطرس ويعقوب ويوحنا أخوه، مع الذى يكتب هذا، فأشرق هنا فوقهم نور عظيم، وصارت ثيابه بيضاء كالثلج، ولمع وجهه كالشمس، وإذا بموسى وإيليًا قد جاءا يكلمان يسوع بشأن ما سيحل بشعبنا، وبالمدينة المقدسة. فتكلم بطرس قائلاً: يارب حسن أن نكون ههنا، فإذا أردت

نصنع ثلاث مظال. لك واحدة، ولموسى واحدة، والأخرى لإيليا. وبينما كان يتكلم، غشيته سحابة بيضاء، وسمعوا صوتا قائلا: انظروا خادمى، الذى به سررت. اسمعوا له. فارتاع التلاميذ وسقطوا على وجوههم إلى الأرض، كأنهم أموات، فنزل يسوع، وأنهض تلاميذه قائلا: لا تخافوا، لأن الله يحبكم. وقد فعل هذا لكى تؤمنوا بكلامى.

ونزل يسوع إلى التلاميذ الثمانية الذين كانوا ينتظرونه أسفل، وقصّ الأربعة على الثمانية كل ما رأوا.

وهكذا زال فى ذلك اليوم من قلبهم كل شك فى يسوع، إلاّ يهوذا الإسخريوطى الذى لم يؤمن بشيء.

وجلس يسوع على سفح الجبل، وأكلوا من الأثمار البرية؛ لأنه لم يكن عندهم خبز، حينئذ قال أندراوس؛ لقد حدثتنا بأشياء كثيرة عن مَسِيّا؛ فتكرم بالتصريح لنا بكل شئ.

فأجاب يسوع: كل من يعمل فإنما يعمل لغاية، يجد فيها غناء. لذلك أقول لكم: إن الله لما كان بالحقيقة كاملا، لم يكن له حاجة إلى غِناء؛ لأن الغناء عنده نفسه. وهكذا لما أراد أن يعمل؛ خلق قبل كل شيء نفْس رسوله، الذى لأجله قصد إلى خلق الكل؛ لكى تجد الخلائق فرحا وبركة بالله. ويسر رسوله بكل خلائقه التى قدر أن تكون عبيدا. ولماذا ؟ وهل كان هذا هكذا، إلا لأن الله أراد ذلك ؟

الحق أقول لكم: إن كل نبى متى جاء، فإنه إنما يحمل لأمة واحدة فقط، علامة رحمة الله، ولذلك لم يتجاوز كلامهم الشعب الذى أرسلوا إليه. ولكن رسول الله متى جاء، يعطيه الله ماهو بمثابة خاتم يده؛ فيحمل خلاصا ورحمة لأمم الأرض الذين يقبلون تعليمه، وسيأتى بقوة على الظالمين، ويبيد عبادة الأصنام بحيث يخزى الشيطان. لأنه هكذا وعد الله إبراهيم قائلا: «انظر؛ فإنى بنسلك أُبارك كل قبائل الأرض، وكما حطمت يا إبراهيم الأصنام تحطيما؛ هكذا سيفعل نسلك»

أجاب يعقوب: يامُعَلم. قل لنا بمن صُنع هذا العهد ؟ فإن اليهود يقولون بإسحق

والإسماعيليون يقولون بإسماعيل. أجاب يسوع: ابن من كان داود ؟ ومن أى ذرية ؟ أجاب يعقوب: من إسحق؛ لأن إسحق كان أبا يعقوب، ويعقوب كان أبا يهوذا الذى من ذريته داود. فأجاب يسوع: لاتغشوا أنفسكم؛ لأن داود يدعوه فى الروح ربّا قائلا هكذا: «قال الله لربى: اجلس عن يمينى حتى أجعل أعداءك موطئا لقدميك، يرسل الرب قضيبك الذى سيكون ذا سلطان، فى وسط أعدائك» فإذا كان رسول الله الذى تسمونه مَسِيّا [1]، ابن داود؛ فكيف يسميه داود ربا ؟ صدقونى لأنى أقول لكم الحق، إن العهد صُنع بإسماعيل، لا بإسحق.

حينئذ قال التلاميذ: يامعلم، هكذا كتب فى كتاب موسى: إن العهد صنع بإسحق. أجاب يسوع متأوها: هذا هو المكتوب، ولكن موسى لم يكتبه ولا يشوع، بل أحبارها الذين لايخافون الله، الحق أقول لكم: إنكم إذا أعملتم النظر فى كلام الملاك جبريل، تعلمون خبث كتبتنا وفقهائنا؛ لأن الملاك قال: ياإبراهيم سيعلم العالم كله، كيف يحبك الله، ولكن كيف يعلم العالم محبتك لله، حقا يجب عليك أن تفعل شيئا، لأجل محبة الله. فأجاب إبراهيم: هاهو ذا عبد الله مستعد أن يفعل كل مايريد الله، فكلم الله حينئذ إبراهيم قائلا:

---

(١) فى معجم اللاهوت الكاثوليكى - كارل راهنر - هربرت فور غريملر نقله إلى العربية المطران عبده خليفة - دار المشرق بلبنان. عن «المَسِيّا» مانصه: «ماشيح Messie من الكلمة اليونانية messias ومن العبرانية mashiah فى اليونانية Christos ممسوح. فى العهد القديم تعنى كلمة «ماشيح» بادئ ذى بدء؛ الملوك الممسوحين. وأيضا الكاهن الأكبر والآباء... الخ. إنما تعنى كلمة «ماشيح» قبل كل شيء فى اليهودية المتأخرة، وفى تفاسير بعض مقاطع العهد القديم: «الماشحية» الملك الذى بُشِّر به فى هذه المقاطع بالذات: [ تكوين ٤٩ : ١٠ العدد ٢٤ : ١٧ وصموئيل الثانى ٧ ومزمور ٢ : ٢ - ٧ ومزمور ١١٠ ] ذلك الملك الماشيحى الذى كان ملكه منتظرا بحرارة كلية يوم كان الرومان يحتلون الأرض، ومصوّرا فى مختلف الصور. وكان فى أعلى معانيه آنذاك يدل على فكرة مملكة إسرائيل وطنية مطلقة ولها السيادة على العالم كله [ لوقا ٢٤ : ٢١ أعمال ١ : ٦ ] وعطية النبوة كانت من اختصاصيات الماشيح. وكانت نظرة المعاصرين ليسوع عن ملك الماشيح نظرة مُلْك أرضى سياسى» أ. هـ

هذا هو قول النصارى فى «المَسِيّا» وهم يستدلون على أوصافه من: التكوين ٤٩ : ١٠ والعدد ٢٤ : ١٧ والمزمور ٢ والمزمور ١١٠ كما ترى من النص المنقول عنهم. فانظر فى نص التكوين ٤٩ : ١٠ والنصوص الأخرى تجد أن النصوص منطبقة على محمد صلى الله عليه وسلم فيكون هو «المَسِيا» ولايكون هو عيسى بن مريم عليه السلام كما يزعمون.

«خذ ابنك بكرك إسماعيل، واصعد الجبل؛ لتقدمه ذبيحة» فكيف يكون إسحق البكر، وهو لما ولد، كان إسماعيل ابن سبع سنين ؟

فقال حينئذ التلاميذ: إن خداع الفقهاء لجليّ. لذلك قل لنا أنت الحق؛ لأننا نعلم أنك مرسل من الله. فأجاب حينئذ يسوع: الحق أقول لكم: إن الشيطان يحاول دائما إبطال شريعة الله، فلذلك قد نجس هو وأتباعه والمراءون وصانعو الشر، كل شيء اليوم، الأولون بالتعليم الكاذب، والآخرون بمعيشة الخلاعة، حتى أنه لايكاد يوجد الحق تقريبا، ويل للمرائين لأن مدح هذا العالم سينقلب عليهم إدانة وعذابا فى الجحيم.

لذلك أقول لكم: إن رسول الله بهاء. يسرّ كل ماصنع الله تقريبا. لأنه مزدان بروح الفهم والمشورة، روح الحكمة والقوة، روح الخوف والمحبة، روح التبصر والاعتدال، مزدان بروح المحبة والرحمة، روح العدل والتقوى، روح اللطف والصبر، التى أخذ منها من الله، ثلاثة أضعاف ماأعطى لسائر خلقه، ماأسعد الزمن الذى سيأتى فيه إلى العالم. صدقونى إنى رأيته، وقدمت له الاحترام، كما رآه كل نبى؛ لأن الله يعطيهم روحه نبوة. ولما رأيتهُ امتلأت عزاء قائلا: يامحمد، ليكن الله معك، وليجعلنى أهلا أن أحل سير حذائك؛ لأنى إذا قلت هذا، صرت نبيا عظيما، وقدوس الله» [ برنابا ٤٢ : ٣].

***



# مقدمة الكتاب

﴿ الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب، ولم يجعل له عوجا، قيما؛ لينذر بأسا شديدا من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات؛ أن لهم أجرا حسنا. ماكثين فيه أبدا. ويُنذر الذين قالوا: اتخذ الله ولدا، مالهم به من علم ولالآبائهم. كبرت كلمة تخرج من أفواههم. إن يقولون إلا كذبا [1] ﴾

والصلاة والسلام على النبى الأمى الكريم محمد بن عبد الله الذى اصطفاه الله من إسماعيل بن إبراهيم بشيرا ونذيرا. وعلى الرسل السابقين، ومن اهتدى بهديهم إلى يوم الدين.

**وبعـــــد**

فلما أثبتُّ نبوة نبى الإسلام محمد ﷺ بأدلة من التوراة المتداولة فى أيدى الناس الآن. والإنجيل المتداول. وأثبتُّ تحريف التوراة والإنجيل بأمثلة منهما، رأيت أن أُثبت بطلان التثليث، وتحريف النصرانية.

ولما عقدتُ العزم على هذا الإثبات؛ حثَّنى عليه ظهور كتاب «إيمانى» للقس الدكتور إلياس مقار رئيس الطائفة الإنجيلية بمصر، وتداوله بين الناس من سنة ١٩٧٥ ميلادية.

ونقول بتأكيد ويقين أولا وقبل كل شيء: إن الدليل الذى يُبطل التثليث ويثبت التحريف بغير نقض: هو تصريح التوراة بالوحدانية، وأن الله ليس كمثله شئ. وأن المسيح بن مريم صرح بأنه غير ناسخ للتوراة، وبناء على تصريحه بعدم نسخها؛ تكون الوحدانية التى فى التوراة مُلزمة لجميع النصارى إلزاما تاما.

فى هذا الكتاب عن التوراة المتداولة: أن الله تعالى وعد إبراهيم النبى - عليه السلام -

(١) أول سورة الكهف من القرآن الكريم

بأن يكون من ذريته أمم وملوك على الشعوب، وأن الوعد منصرف إلى إسماعيل وإسحق - عليهما السلام - ولكراهية اليهود لأبناء إسماعيل؛ ادعّوا؛ أن النبى الآتى من بنى إسماعيل، لتبدأ به بركة إسماعيل؛ لن يأتى إلى العالم، وكانوا قد قالوا للناس من قبل سبى بابل: إن نبيا آتيا إلى العالم من آل اسماعيل؛ نحن فى انتظاره، ومن بعد سبى بابل، اجتهدوا فى إيهام الناس - ليصدوا عن سبيل الله - بأن النبى الآتى إلى العالم سيأتى منهم أنفسهم، من بنى إسرائيل. وفى سبيل تأكيد هذا الإيهام - للصد عن سبيل الله - كتبوا عنه نُبوءات فى أسفار الأنبياء بالألقاب التى كتبوها فى التوراة عن أنفسهم. لقد كتبوا عن أنفسهم: أن كل فرد فيهم «ابن الله» بالمعنى المجازى، وكل فرد فيهم «إله» بالمعنى المجازى. ومن هذه النبوءات: نبوءة فى مزامير داود عليه السلام فيها: «إنى أُخبر من جهة قضاء الرب. قال لى: أنت ابنى.. الخ» أى قال الله تعالى عن النبى المنتظر: أنه ابنه.

فى هذا الكتاب: أصل نظرية «الابن» هذه وتطورها، أصلها: «ابن الله» بالمعنى المجازى. لأن الله قال عن نبى آت فى المستقبل لداود عليه السلام» «أنت ابنى» على معنى أنه قريب من الله قربا روحيا. ثم زعم اليهود العبرانيون: أن هذا الابن سيأتى من ذرية داود من سبط يهوذا، ولما جاء المسيح عيسى بن مريم عليه السلام وبين لهم: أن النبى الآتى فى المستقبل - الملقب زورا منهم بلقب «ابن الله» - سيأتى من بعده؛ تظاهر فريق من اليهود، باعتناق النصرانية، وادعوا أن «ابن الله» الآتى فى المستقبل: هو عيسى. وكتبوا ذلك فى الأصحاح الأول، من الرسالة إلى العبرانيين، ثم نقلوا لقب «ابن الله» من المعنى المجازى إلى المعنى الحقيقى، وزعموا: أن المسيح ابن حقيقى لله مولود غير مخلوق.

وهذا إذا افترضنا صحة الترجمة. فإن الدكتور خليل سعادة مترجم إنجيل بارنابا Barnaba ترجم النص عن الابن هكذا: «قبل كوكب الصبح فى ضياء القديسين خلقتك» وذلك فى قول المسيح عيسى عن نبى الإسلام صلى الله عليه وسلم: «تبارك اسم الله القدوس، الذى خلق نور جميع القديسين والأنبياء قبل كل الأشياء ليرسله لخلاص العالم. كما تكلم بواسطة عبده داود قائلا: «قبل كوكب الصبح فى ضياء القديسين خلقتك... الخ» أى قدرت وجودك أزلا. وجود فكرة، لاوجود جسم.

وفى هذا الكتاب: أصل نظرية «الروح القدس» وتطورها: أصلُها على الحقيقة: «بيراكْليت الروح القدس» أى «أحمد» المصطفى من الله الطاهر، المستمد قوّته منه. وحُرفت إلى «بَاراكْليت الروح القدس» ثم إلى «المُعَزّى الروح القدس» وهى تعنى فى الأصل نبى الإسلام صلى الله عليه وسلم، وتعنى الآن: العوض والبديل عن المسيح عيسى. إلها ثالثا نظر الكاثوليك، ومرحلة من مراحل ثلاثة لذات الله تعالى فى نظر الأرثوذكس.

وفى هذا الكتاب: الكثير من أفكار المسلمين القدامى والمعاصرين فى نقد التثليث، ونقد «قانون الإيمان» المسيحى بالذات. الذى وضعوا نصفه فى مجمع نيقية سنة ٣٢٥م ونصفه الآخر فى مجمع القسطنطينية سنة ٣٨١ م ووضعوا مقدمته فى مجمع أفس الأول سنة ٤٣١م واختلفوا فى تفسيره فى مجمع خليقدونية سنة ٤٥١ م .

وفى هذا الكتاب: أن التثليث مقتبس من الديانات الوثنية البدائية القديمة.

وفيه: شبه النصارى فى ألوهية الأقاليم من أسفار الأنبياء ومن الأناجيل الأربعة المقدسة، والرد على هذه الشبه. وفيه دعوى النصارى بأن القرآن الكريم صرح بعقيدة التثليث، والرد عليهم فى هذه الدعوى .

وليس ثمة شك؛ فى أن سيأل سائل: لماذا صرح النصارى بعقيدة التثليث، وليس فى توراة موسى، ولا فى إنجيل عيسى ما يشير إلى هذه العقيدة من قريب أو من بعيد ؟ ذلك سؤال من الأهمية بمكان، ولكن ليس من الصعب الإجابة عليه. فذلك هو الهدف من وضع هذا الكتاب. ليعلم الراسخون فى العلم معنى قول المسيح عيسى بن مريم - عليه السلام - لتلاميذه: «اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم، وعمدوهم باسم: الآب، والابن، والروح القدس[1]» [ متى ٢٨ : ١٩ ]

وفى كتابنا هذا: معلومات كتبناها فى كتبنا الأخرى، كتبناها ههنا؛ لتسلسل الأفكار وإيضاحها وتأكيدها، وتركنا ههنا تفسير أمور لإيضاحها فى الكتب الأخرى. ونكرر هنا ماسبق أن قلناه مع الذين بحثوا معنا فى التوراة، والإنجيل، لإلزام اليهود والنصارى

(١) نقل نصوص التوراة والإنجيل من الكتاب المقدس للبروتستانت بمصر باللغة العربية سنة ١٩٧٠م - اطلبه من الكنائس ومكتبات النصارى. اطلب ( الكتاب المقدس ) العهد القديم والجديد.

بالإسلام من الكتب التى يدرسونها ويقدسونها. نقول مع مؤلف رسالة «خلاصة الترجيح للدين الصحيح [1]» للشيخ محمد بن عبد الرحمن الطيبى الدمشقى رحمه الله: «اعلم أولا أن جميع ماذكر فى هذه الرسالة مبنى على إرخاء العَنان للخصم، لما لايخفى من كونه أتم فى إقناعه» وهذا هو مايسمى بالدليل الإقناعى، وهو أن يحتج على الخصم بما هو مسلَّم عنده، أو هو الذى يسمى دليل الإلزام، ومعناه: ألزموهم بما ألزموا به أنفسهم. وليس بلازم أن يكون الذى يحتج أو يلزم؛ مسلما بما عند الخَصْم كل التسليم. ألا ترى القرآن الكريم يشهد بتحريف بنى إسرائيل للتوراة عمدا، تحريف ألفاظ وتحريف معانى، ومع ذلك يقول: إن فيها مع تحريفها حقا وباطلا . ويقول لبنى إسرائيل عن التوراة المتداولة : ( ائتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين (٢) )

( وماتوفيقى إلا بالله. عليه توكلت، وإليه أُنيب [٣] )

**أحمد حجازى أحمد السّقا**

---

(١) مطبوعة على هامش الجزء الثانى من إظهار الحق طبعة مصر سنة ١٣١٥ هـ.

(٢) آل عمران ٩٣

(٣) هود ٨٨



## مقدمة الطبعة الثانية

إن الله تعالى لما أراد هداية الأمم إليه، فى زمان مضى؛ اختار من البشر، شعبا[1]؛ ليقوم بالهداية. وهذا الشعب المختار من البشر، يكون مفضلا [2] على البشر بسبب أن الله اختاره. وتفضيله هو بسبب تحمله المشاق فى الدعوة، وقتاله فى سبيل الله من يصد عن سبيل الله. ومثل ذلك: مثل ملك يريد تبليغ رعيته بأوامره. فيختار من رعيته من يكون كفؤا للبلاغ، فصيحا وذكيا وذا جرأة وإقدام وأمينا. وهذا المختار من الرعية؛ يكون لقربه من الملك، مفضلا على غيره فى الرتبة والمنزلة. ولو أننا فرضنا أن هذا الملك بعد طول زمان، رأى أن يبلغ رعيته بأوامر جديدة [3]، ورأى أن المختار السابق لن يقدر على البلاغ؛ لأن الناس قد تغيروا، والزمان قد تغير. فإنه إن اختار من الرعية رجلا؛ فإن هذا الرجل يكون مفضلا، كما كان السابق مفضلا.

ينطبق هذا - ولله المثل الأعلى - على بنى إسرائيل؛ فإن الله اختارهم على علم على العالمين؛ ليهدوا الأمم إلى الله بشريعة عبده ونبيه موسى - عليه السلام - إلى أن يظهر بنو إسماعيل للهداية بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم. ولكن علماء بنى إسرائيل من سبى بابل سنة ٥٨٦ ق.م. قعدوا عن الجهاد فى سبيل الله، وأذاعوا فى الأمم: أن الله إله لهم من دون الناس. وأنه فضلهم على العالمين، ليس لأنهم دعاة وهداة، بل لنقاء دمائهم، وصفاء عقولهم. ومما كتبوه فى التوراة : « الرب إلهنا رب واحد » [ تث ٦ : ٤ ] أى هو إلههم وليس إلها للأمم. أنَّى يكون ذلك وهو الخالق لآدم وحواء ؟ وأنى يكون ذلك ورحمته وسعت كل شيء ؟

---

(١) الدخان ٣٢

(٢) البقرة ٤٧

(٣) البقرة ١٠١ وما بعدها والمراد من نسخ الآية هو نسخ شريعة التوراة بالقرآن

هذا مع مافى التوراة من نصوص تدل على أن الله إلـه لجميع الأمم والشـــعوب. منها: «ووليك قـدوس إســرائيل. إلـهَ كل الأرض يُدعـى» [ إش ٥٤ : ٥ ]

وفى المزمـور المئة والخامس والأربـعون: «الرب حنان ورحـيم. طويل الروح. وكثـير الرحمـة. الرب صالح لـلكل، ومراحـمه على كل أعـماله. يحـمدك يارب كل أعـمالك، ويباركك أتقـياؤك. بمجد ملكك ينطقـون، وبجبروتك يتكلمـون؛ ليعَرِّفـوا بنى آدم قدرتك، ومجـد جلال ملكك، ملكك ملك كل الدهور، وسلطانك فى كل دور فدور. الرب عـاضد كلِّ السـاقطين، ومـقوم كل المنحنين. أعين الكل إياك تتـرجـى، وأنت تعطيهم طعـامهم فى حـينه، تفـتح يدك فـتُشـبع كل حى رضـى. الرب بار فـى كل طرقـه ورحـيم فى كل أعـماله. الرب قـريب لكل الذين يدعـونه. الـذين يدعـونه بالحـق. يعـمل رضى خائفـيه. ويسـمع تضـرعهم؛ فـيخلصهم، يحفـظ الرب كل محبيـه، ويهلُك جـميع الأشـرار» [ مز ١٤٥ : ٨: ٢٠ ]

***

ورد الله فى الـقـرآن الكريم على عـلمـاء بنى إسـرائيل دعـواهـم أنهم أرقى الأمم والشعوب. بقوله: ( مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحـملوها. كمثل الحمار يحمل أسـفاراً ) وفى التوراة مكتوب عنهم: «ألرب تكافئون بهذا، ياشعـبا غبيا غير حكيم ؟ أليس هو أباك ومقتنيك. هو عملك وأنشاك ؟» [ تث ٣٢ : ٦ ] «إنهم أُمَّة عديمة الرأى، ولا بصيرة فيهم» [ تـث ٣٢ : ٢٨ ] «اسمعى أيتها السـموات، وأصغى أيتها الأرض؛ لأن الرب يتكلم. ربيت بنين ونشأتهم، أما هم فعصوا علىّ. الثور يعرف قانيـه والحمار معلف صاحبه ، أما إسرائيل فلا يعـرف. شعبى لايفهم. ويل لـلأمة الخاطئة، الشـعب الثقيل الإثم. نـسل فـاعلى الشر. أولادِ مفـسـدين!، تركوا الرب، استهانوا بـقدوس إسرائيل، ارتدوا إلى وراء...» [ إش ١ : ٤]

***

والأمم والشعوب. إما مع الله، وإما مع الشيطان، فالذين مع الله. يُطلق عليهم - فى لسان بنى إسرائيل - أنهم «أبناء الله» والذين هم مع الشيطان. يطلق عليهم - فى لسانهم - أنهم «أبناء إبليس» أو «أبناء الشيطان» ليس على معنى أن الله اتخذ صاحبة من جنسه أو من غير جنسه وأنجب منها أبناء. كما ينجب الرجل من المرأة. فإن أهل الكتاب جميعا يعتقدون أن الله لم يلد ولم يولد، ولم يتخذ صاحبة ولا ولدا. وإنما هم يعنون بأولاد الله: أنهم هم المؤمنون به، والسائرون فى نوره، والطالبون رزقه، والملتمسون رحمته فى الدنيا وفى الآخرة. ففى سفر التثنية: «أنتم أولاد للرب إلهكم» [ تث ١٤: ١ ] وفى سفر الزبور: «أنا قلت: إنكم آلهة، وبنو العلىّ كلكم، لكن مثل الناس تموتون» [ مز ٨٢: ٦ - ٧ ] أى أنتم سادة على أتباع الشيطان. وأنتم المؤمنون به. ففى إنجيل يوحنا: «وأما كل الذين قبلوه، فأعطاهم سلطانا أن يصيروا أولاد الله. أى المؤمنون باسمه» [ يو ١: ١٢ ] وعمل معجزات [1] أمام العلماء؛ ليعلموا أنه رسول من الله.

---

(١) جاء فى إنجيل الطفولية من معجزات عيسى عليه السلام:

أ - «ولما صار له سبع سنين؛ كان ذات يوم مع أترابه؛ يعملون أشباه دواب وحمير وبقر، من طين. وكل واحد منهم يفتخر بصناعته، ويستحسن عمله. قال يَشُوع: إن التماثيل التى صنعتُها أنا؛ متى أمرتُها بالمسير؛ سارت. قال الصبيان: فأنت إذاً ابن الخالق ؟

فأمرهم يشوع بالمشى؛ فإذاهم يتراكضون. وإن أمرهم بالمُضىّ؛ مضوا، وإن أمرهم بالعوْد؛ عادوا. وكذلك كان يعملُ عصافير، ويأمرها بالطيران؛ فتطير، ويأمرها بالوقوف على يديه، وبالأكل؛ فيكون ذلك كذلك. كذا الدواب من الحمير والبقر. وكان يُحضر لهم شعيراً وتبناً، وكانوا يأكلون ويشربون.

ومضى أولئك الصّبيان. فأخبروا آباءهم. فحذّروهم منه، وقالوا: إيّاكم أن تلاعبوه، أو تخالطوه؛ فإنه ساحر. فاجتنبوه، وتركوا مُخالطته»

ب - «وجدنا فى كتاب ليُوسيفُوس. رئيس الكَهنة، الذى كان على عهد المسيح - وقد قال الناس: إنه قَيَافا - يقول: إن يشوع تكلّم، وهو فى المهد صَبِيًا. حين كان له سَنَة واحدة، وقال لأمّه: يامريم....»

وشبه عيسى عليه السلام علماء بنى إسرائيل الذين خالفوه بأولاد إبليس لشبههم بهم فى البعد عن الله فقال: «لو كان الله أباكم، لكنتم تحبوننى؛ لأنى خرجت من قبل الله وأتيت. لأنى لم آت من نفسى، بل ذاك أرسلنى. لماذا لاتفهمون كلامى ؟ لأنكم لا تقدرون أن تسمعوا قولى. أنتم من أب هو إبليس. وشهوات أبيكم تريدون أن تعملوا. .» [ يو ٨: ٤٢-٤٤]

***

وكان اليهود يطلقون على أنفسهم أنهم أبناء الله وأحباؤه. وذلك لأنهم هم القائمون بالدعوة إليه. وفيهم النبوة والكتاب. ولما حرفوا التوراة قالوا للعالم: إننا سنظل أبناء الله إلى يوم القيامة؛ فإن النبى المماثل لموسى، سيكون منّا، ولن يكون من بنى إسماعيل. والنبى المماثل لموسى كتب عنه موسى عليه السلام: «يقيم لك الرب إلهك؛ نبيا من وسطك من إخونك مثلى. له تسمعون. . .

أقيمُ لهم نبيا من وسط إخوتهم مثلك وأجعل كلامى فى فمه؛ فيكلمهم بكل ماأوصيه به» [ تث ١٨: ١٥ - ]

وقد عبروا عنه بلقب «ابن الله» فى المزمور الثانى لداود عليه السلام فقالوا: «إنى أخبر من جهة قضاء الرب، قال لى: أنت ابنى. . .»

وقد أرسل الله المسيح عيسى بن مريم عليه السلام هو ويحيى عليه السلام ليظهرا لبنى إسرائيل: أنهم من بعدهما لن يكونا أبناء الله، وأن النبى الأمى المماثل لموسى الملقب بلقب «ابن الله» لن يكون من بنى إسرائيل، بل من بنى إسماعيل؛ لأن له بركة. ولما فهموا معنى كلاميهما. ائتمروا على تحريف الكلام عن مواضعه.

وبيان ذلك:

أن اليهود لو ظهر محمد عليه السلام. فإنهم لن يؤمنوا به. إذاً ماهى الفائدة التى ستعود عليهم لو جاء، وأصروا على رفضه، واستمروا على العمل بشريعة التوراة ؟ إنه لا فائدة. والنصارى إذا ظهر محمد، وآمنوا به؛ فإنهم سيكونون من الفائزين بحسن الخاتمة. فماذا

لو احتلنا عليهم من الآن بحيلة تجعلهم منا وهم لايشعرون ؟ وتُظهر نصوص من الكتب أنهم قالوا لهم: قولوا من الآن: إن النبى الأمى هو المسيح عيسى ابن مريم. وهو الابن. أى: اسرقوا جميع نبوءات التوراة عن النبى المماثل لموسى، وطبقوها على المسيح عيسى ابن مريم. فنكون نحن وأنتم شركاء فى هدف واحد. هو عدم الإيمان به. ثم نختلف أمام الناس. فنقول: إن هذا النبى لم يأت بعد. وإذا أتى؛ فإنه سيكون من بنى إسرائيل. وأنتم تقولون: هو قد أتى من بنى إسرائيل . وبذلك نؤكد للعالم: إنه من بنى إسرائيل. والاختلاف لايضر؛ لأننا متفقون على هدف واحد. ثم قالوا للنصارى: نحن إذا ظهر ولم نعمل بشريعته وعملنا بالتوراة. فلن نجنى من العمل إلا التعب. فلماذا نعمل ؟ فلذلك من حين السبى فى بابل نحن نظلم الأمم. وأنتم خالفونا؛ بعدم ظلم الأمم، وبعدم العمل بالشريعة أصلا. وقد استنصر اليهود بأهل الروم على النصارى. حتى تم كل هذا. انظر إلى كلام بولس:

«هو ذا أنت تُسمى يهوديا، وتتكل على الناموس، وتفتخر بالله، وتعرف مشيئته، وتميز الأمور المتخالفة، متعلما من الناموس، وتثق أنك قائد للعميان، ونور للذين فى الظلمة، ومهذب للأغبياء، ومعلم للأطفال، ولك صورة العلم والحق فى الناموس. فأنت إذاً الذى تعلّم غيرك، ألست تعلم نفسك ؟ الذى تكرز: أن لايُسرق. أتسرق ؟ الذى تقول: أن لا يُزنى. أتزنى ؟ الذى تستكره الأوثان. أتسرق الهياكل ؟ » [ رو ٢: ١٧- ٢٢].

***

ولما انفصل النصارى عن اليهود. بعد مجمع نيقية سنة ٣٢٥ م ادعى النصارى: أنهم هم «أبناء الله» من بعد اليهود. أى الشعب المختار لهداية الأمم بيسوع المسيح عوضا عن اليهود. كيف وهم طائفة من اليهود ؟ كيف وقد صرح المسيح عيسى ابن مريم بأنه لم ينقض الناموس أو الأنبياء ؟ [ مت ٥: ١٧ ] كيف وقد صرح بأن الشعب المختار آت من بعده ؟ انظر إلى كلام بطرس.

«وأما أنتم فجنس مختار، وكهنوت ملوكى، أمة مقدسة، شعب اقتناء؛ لكى تُخبروا بفضائل الذى دعاكم من الظلمة إلى نوره العجيب. الذين قبلا لم تكونوا شعبا، وأما الآن فأنتم شعب الله، الذى كنتم غير مرحومين. وأما الآن فمرحومون.

أيها الأحباء، أطلب إليكم كغرباء ونزلاء أن تمتنعوا عن الشهوات الجسدية التى تحارب النفس، وأن تكون سيرتكم بين الأمم حسنة» [ ١ بط ٢ : ٩ - ١١ ]

***

هذا. ومن كلام يحيى عليه السلام عن النبى محمد صلى الله عليه وسلم:

١ - «الذى يؤمن بالابن؛ له حياة أبدية؛ والذى لايؤمن بالابن؛ لن يرى حياة بل يمكث عليه غضب الله» [ يو ٣ : ٣٦ ] ومن كلام عيسى عليه السلام: «لأن هذه هى مشيئة الذى أرسلنى: أن كل من يرى الابن؛ ويؤمن به؛ تكون له حياة أبدية، وأنا أقيمه فى اليوم الأخير» [ يو ٦ : ٤٠ ] أى فى آخر أيام بركة إسحق، وبدء أيام بركة إسماعيل، سأقيمه بكلامى المدون فى الإنجيل نيابة عنى.

٢ - «وفى تلك الأيام جاء يوحنا المعمدان يكْرِز فى بريَّة اليهودية قائلا: توبوا؛ لأنه قد اقترب ملكوت السموات» [ مت ٣ : ١ - ٢ ]

«من ذلك الزمان ابتدأ يسوع يكرز ويقول: توبوا؛ لأنه قد اقترب ملكوت السموات» [ مت ٤ : ١٧ ]

٣ - قال يحيى عليه السلام لعلماء بنى إسرائيل: «يا أولاد الأفاعى من أراكم أن تهربوا من الغضب الآتى؛ فاصنعوا أثمارا تليق بالتوبة، ولا تفتكروا أن تقولوا فى أنفسكم: لنا إبراهيم أبا؛ لأنى أقول لكم: إن الله قادر أن يُقيم من هذه الحجارة أولادا لإبراهيم. والآن قد وُضعت الفأس على أصل الشجر. فكل شجرة لا تصنع ثمرا جيدا؛ تقطع وتلقى فى النار. أنا أعمدكم بماء للتوبة. ولكن الذى يأتى بعدى هو أقوى منى، الذى لستُ أهلا أن أحمل حذاءه، هو سيعمدكم بالروح القدس ونار. الذى رفشه فى يده، وسينقى بيدره،

ويجمع قمحه الى المخزن. وأما التبن فيحرقه بنار لا تُطفأ» [ مت ٣: ٧ - ١٢ ]

يقول: إن الآتى من بعده، سيكون محاربا، ومنتصراً على الأعداء. وقال عيسى عليه السلام بما قال يوحنا «أجاب يسوع: إن الآيات التى يفعلها الله على يدى؛ تُظهر أنى أتكلم بما يريد الله، ولستُ أحسب نفسى نظير الذى تقولون عنه؛ لأنى لستُ أهلاً أن أحل رباطات جرموق أو سيور حذاء رسول الله، الذى تسمونه مَسِيّا. الذى خُلق قبلى، وسيأتى بعدى، وسيأتى بكلام الحق، ولا يكون لدينه نهاية»

ومن ذلك تعلم: أن يحيى وعيسىَ - عليهما السلام - طبقا نبوءات التوراة عن النبى الآتى على محمد صلى الله عليه وسلم الآتى من بعدهما. وقد بين الله فى القرآن: أن أُمّته خير أمة أُخرجت للناس. وببيانه؛ سحب هو التفضيل من بنى إسرائيل إلى يوم القيامة. قال الله تعالى: يابنى إسرائيل ( كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ) [1] ومن بعد مبعث محمد ص لستم خير أمة؛ لقوله: ( ولو آمن أهل الكتاب ) من المسلمين ( لكان خيراً لهم ) لأن الخيرية للمسلمين فيهم إلى يوم القيامة.

وهذا هو كتابنا فى الطبعة الثانية. على ما هو عليه من قبل، مع التصحيح والتنقيح. وزيادة. نقدمه ﴿ لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾ [2]

والله نسأل أن يوفقنا لخدمة العلم والدين.

ميت طريف - دقهلية

١٩٩١/١/٢٥

د / أحمد حجازى أحمد السقّا

---

(١) آل عمران ١١٠

(٢) المدثر ٣١

# الفصل الأول
# فى
# أقنوم للآب

يقول الأنبا أثناسيوس. أسقف بنى سويف والبهنسا:

«كلمة أقنوم المستعملة فى العربية؛ كلمة سريانية معناها: شخص أساسى، أو شخص رئيسى، وهى قريبة من الكلمة اليونانية NOMOS ومعناها: قانون، ولذا فضلت الكنائس الشرقية استعمال لفظ أقنوم على لفظ «شخص» لأن المقصود فى التثليث بالأقنوم: كيان ذاتى، أو فى الذات [1]»

وكلمة «الآب» بمد الهمزة ونطق الباء مخففة؛ هى كلمة عبرانية تساوى كلمة «الأب» بهمزة مفتوحة فى اللغة العربية. وبنو إسرائيل كانوا يطلقون على الله اسم «إلوهيم» واسم «أهوه» أو «يهوه» واسم «إدوناى» واسم «إيل» ثم قالوا: إنهم أبناء الله وأحباؤه، وأن الله أبوهم، بالمعنى المجازى. ولما ترجم الإنجيل إلى اللغة اليونانية. وضعوا كلمة الآب العبرانية كما هى. تدل على ذات الله تعالى.

وفى هذا الفصل نذكر بإيجاز حقيقة «الله» تعالى فى التوراة والإنجيل. من أول معرفة بنى إسرائيل له باسم «إلوهيم» إلى معرفتهم له باسم «الآب»

* * *

كان الأب الأول لليهود هو إبراهيم النبى - عليه السلام - وقد نشأ فى قريه تسمى «أور» من بلاد العراق، وكانت «أور» مدينة قديمة أُنشيءت منذ نحو ثلاثة آلاف عام قبل الميلاد، وكان أهلها فى عهد إبراهيم وثنيين يعبدون الكواكب والنجوم، ولاسيما «القمر»

---

(١) ص ٤٣ دراسات فى الكتاب المقدس - إنجيل يوحنا - لجنة التحرير والنشر بمطرانية بنى سويف رقم إيداعه فى دار الكتب المصرية ٥٣٢٩/ ١٩٧٥م مطبعة دار العالم العربى بمصر.

الذى كانوا يعبدونه إلها. ويسمونه «نتار» ويقولون: إن له زوجة. اسمها ننجال[1]»
ودعا إبراهيم إلى عبادة «الله» وحده، لاشريك له، ثم هاجر مضطهدا من قومه إلى أرض «فلسطين» بسبب الدعوة، وفيها فى مدينة «القدس» - أورشليم - وجد رجلا يسمى «ملْكى صادَق» كان يؤمن بوجود الله ووحدانيته. تقول التوراة: «وملكى صادق، ملك شاليم، أخرج خبزا وخمرا، وكان كاهنا لله العلى، وباركه، وقال: مبارك أبرام من الله العلى مالك السموات والأرض، ومبارك الله العلى الذى أسلم أعداءك فى يدك» [ تكوين ١٤: ١٨ - ٢٠ [2] ]

ودعا إبراهيم فى أرض «فلسطين» كما دعا فى «أور» من قبل، ففى التوراة: «فقال أبرام لملك سدوم: رفعت يدى إلى الرب الإله العلى، مالك السماء والأرض» [ تكوين ١٤: ٢٢ ] وتقول التوراة: إن الله تعالى قال لإبراهيم: «أنا الله القدير، سر أمامى، وكن كاملا. فأجعل عهدى بينى وبينك، وأكثرك كثيرا جدا. فسقط أبرام على وجهه، وتكلم الله معه قائلا: أما أنا فهو ذا عهدى معك، وتكون أبا لجمهور من الأمم، فلايدعى اسمك بعد أبرام [3]. بل يكون إبراهيم» [ تكوين ١: ١ - ٥ ]

وورث إسماعيل وإسحق - عليهما السلام - عن أبيهما إبراهيم معرفة «الله» وكذلك ورث يعقوب بن إسحق - عليه السلام - ثم جاء موسى بن عمر ام، بن قهات بن لاوِى بن يعقوب. وأعطاه الله التوراة ( موعظة وتفصيلا لكل شيء ) وأمره أن يدعو الناس إلى عبادة «الله» وحده، لاشريك له.

* * *

---

(١) ص ٣ وص ٢١٨ ج ٨ تاريخ الأقباط - زكى شنودة - مطبعة النهضة المصرية سنة ١٩٧٤م. وانظر سفر يشوع ٢٤: ٢ و ١٤.

(٢) لاحظ: أن ما قبل النقطتين هو رقم الأصحاح ( الفصل ) وما بعد النقطتين هو رقم الآية. والشرطة = إلى.

(٣) أبرام: أى الأب الرفيع المقام. إبراهيم: أى أبو الشعب ( ص ٢٢٠ ج ٨ تاريخ الأقباط )

١ - وأول اسم لله تعالى فى التوراة : هو «إلوهيم» ويترجم فى العربية «الله» كما جاء فى الأصحاح الأول من سفر التكوين، وورد فى الزبور لداود عليه السلام، فى المزامير من ٤٢ إلى ٧ ولذلك سميت: «مزامير إلوهيم» وهو لفظ فى صيغة الجمع باللغة العبرانية يدل على المعظم نفسه، كما يفعل الملوك عادة، عندما يتحدثون عن أنفسهم. وتدل «إلوهيم» على الإله الذى يخضع له كل بشر، وكل شيء.

٢ - ثم ورد بعد ذلك فى سفر الخروج اسم آخر لله، هو «أهوه» أو «يهوه»[١] ومعناها «الموجود» أو «الكائن» أو «الذى كان» لأنه مشتق من اللفظ العبرانى «هيه» أو «هوه» الذى يفيد الوجود. ويترجم فى اللغة العربية: «الرب» أو «الله» جاء فى سفر الخروج: «فقال موسى لله: «ها أنا آتى إلى بنى إسرائيل وأقول لهم ؟ إله آبائكم أرسلنى إليكم، فإذا قالوا لى: ماإسمه ؟ فماذا أقول لهم ؟» فقال الله لموسى: أهيه الذى أهيه، وقال هكذا تقول لبنى إسرائيل: أهيه أرسلنى إليكم. وقال الله أيضا لموسى: هكذا تقول لبنى إسرائيل: يَهْوه إله آبائكم. إله إبراهيم. وإله إسحق وإله يعقوب؛ أرسلنى إليكم. هذا اسمى إلى الأبد» [خروج ٣: ١٣ - ١٥ ]

٣ - ثم بعد ذلك ورد «إدوناى» ويترجم فى العربية «السيِّد» وقد يُترجم: «الرب» وقد جاء فى الزبور عن إدوناى قول داود عليه السلام: «قال الرب لسيدى[٢]: اجلس عن يمينى، حتى أضع أعداءك موطئا لقدميك» وتنطق بالعبرانية هكذا: «نئيم يهوفا لأدونى. شب ليمينى. الخ» [ مزمور ١١٠: ١ ]

٤ - ثم بعد ذلك نجد كلمة «إيل» تشير إلى الله - تعالى - وكثيرا ماتستعمل مع صفة من صفات الله مثل: «إيل عليون» كما جاء فى الأصل العبرانى . أى الله العلىّ. و «إيل شداى» أى الله القدير [ تك ٣٥: ١١ ] وكان العبرانيون يضيفون لفظ «إيل» أحيانا فى

---

(١) أحيانا ينطق «جيهوفا» وأحيانا ينطق «يهوفا»

(٢) يشير داود بكلمة سيدى، إلى محمد رسول الله ﷺ يريد أن يقول: قال الله تعالى لسيد داود إنى ناصرك على أعدائك. وسيد داود ينبغى أن يكون من غير أولاده، ينبغى أن يكون من ذرية قوم آخرين . لأنه لو كان من نسل داود، فكيف يكون الابن سيدا لأبيه ؟ وسيأتى بيان هذا .

آخر الاسم. فيقولون: «إسرائيل» أى الذى جاهـد مع الله [ تك ٣٢: ٢٨ ] و «جبرائيل» أى رجل الله [ دانيال ٨: ١٦ - ٢ ]

ولفظ «إلوهيم» يدل فى التوراة على أن الله تعالى: «رب العالمين» رب بنى إسرائيل وغيرهم، وهو الذى به دعا إبراهيم الناس. وبه فى الأصل دعا موسى. ثم إنه فى سنة ٥٨٦ قبل الميلاد رأى اليهود أن يجعلوا شريعة التوراة لهم وحدهم، لا للأمم. والله لهم وحدهم، لا للأمم. وصاغوا التوراة على هذا الرأى. فكتبوا: أن موسى قال لهم: «مَثَلكم يكون مثل الغريب أمام الرب. شريعة واحدة، وحكم واحد؛ يكونُ لكم» وفسروا الغريب بالساكن بينهم فقط «أيتها الجماعة. لكم وللغريب النازل عندكم؛ فريضة واحدة دهرية فى أجيالكم.... الخ» [ عدد ١٥: ١٥ - ١٦ ]

* * *

وقد رأوا أيضا أن يتحدثوا عن أنفسهم بأنهم شعب الله، الذى اختارهم - على علم - على العالمين. وأنهم أبناء الله وأحباؤه. فأطلقوا على الله؛ لقب «الأب» وأطلقوا على أنفسهم لقب «الأبناء» وكتبوا فى توراة موسى عليه السلام: أن الله خاطبهم بقوله: «أنتم أولاد للرب إلهكم. لاتخمشوا أجسامكم، ولا تجعلوا قرعة بين أعينكم؛ لأجل ميت. لأنك شعب مقدس للرب إلهك، وقد اختارك الرب لكى تكون له شعبا خاصا فوق جميع الشعوب الذين على وجه الأرض» [ تثنية ١٤: ١ - ٢ ]

ولما كانوا فى نظر أنفسهم «شعبا خاصا فوق جميع الشعوب» فقد رأوا أن يطلقوا على أنفسهم لقب «الآلهة» أى السادة. وكتبوا: أن الله خاطبهم بقوله: «أنا قلت: إنكم آلهة، وبنو العلى كلكم. لكن مثل الناس تموتون، وكأحد الرؤساء تسقطون» [ مزمور ٨٢: ٦ - ٧ ] وكتبوا: أن موسى عليه السلام كان إلها لفرعون مصر. وأن هرون عليه السلام كان نبيا لموسى، أى نائبا عنه، ومفسرا لتعاليمه، كتبوا: «فقال الرب لموسى: أنظر أنا جعلتك إلها لفرعون. وهرون أخوك يكون نبيك، أنت تتكلم بكل ماآمرك. وهرون أخوك يكلم فرعون؛ ليطلق بنى إسرائيل من أرضه» [ خروج : ١ - ٢ ]

* * *

ومن يقرأ التوراة يجد فيها: أن الله واحد لاشريك له، وأنه لاشبيه له، ولم يره أحد من الناس، ولايقدر أحد أن يراه. ويجد فيها: إن الله لايحدّه مكان ولا زمان، وأنه يعلم مافى السموات ومافى الأرض، ويجد فيها؛ أن الله متصف بكل كمال، ومنزه عن كل نقص. وهذه آيات من التوراة أدلة على ماذكرناه:

١ - الله واحد.

يقول موسى لبنى إسرائيل فى شخص أبيهم: «اسمع ياإسرائيل: الرب إلهنا رب واحد. فتحب الرب إلهك من كل قلبك، ومن كل نفسك، ومن كل قوتك. ولتكن هذه الكلمات التى أنا أوصيك بها اليوم على قلبك، وقصها على أولادك، وتكلم بها حين تجلس فى بيتك، وحين تمشى فى الطريق، وحين تنام، وحين تقوم، واربطها علامة على يدك، ولتكن عصائب بين عينيك، واكتبها على قوائم أبواب بيتك، وعلى أبوابك» [ تثنية ٦: ٤ - ٩ ]

٢ - الله لايُرى.

يقول موسى لبنى إسرائيل: «فكلمكم الرب من وسط النار، وأنتم سامعون صوت كلام، ولكن لم تروا صورة بل صوتا... فاحتفظوا جدا لأنفسكم، فإنكم لم تروا صورة ما. يوم كلمكم الرب فى حُوريب» [ تثنية ٤: ١٢ و ١٥ ]

وجاء فى سفر إشَعياء «حقا أنت إله مُحتجَب، ياإله إسرائيل» [ إشعياء ٤٥: ١٥ ]

٣ - لايقدر أحد أن يرى الله.

قال موسى لله: «أرنى مجدك» فقال الله له: «لاتقدر أن ترى وجهى؛ لأن الإنسان لايرانى، ويعيش» [ خروج ٣٣: ١٨ - ٢٠ ]

٤ - الله ليس كمثله شيء.

قال سليمان عليه السلام: «أيها الرب إله إسرائيل، لاإله مثلك فى السماء والأرض» [ الأخبار الثانى ٦: ١٤ ]

وقال موسى عليه السلام: «ليس مثل الله» [ تثنية ٣٤: ٢٦ ]

٥ - الله موجود فى كل مكان.

يقول الله عن نفسه فى سفر إرمياء: «ألعلّى إله من قريب. ولست إلها من بعيد ؟ إذا اختبأ إنسان فى أماكن مستترة. أفما أراه أنا ؟ أما أملأ أنا السموات والأرض ؟» [ إرمياء ٢٣ : ٢٣ - ٢٤ ] ويقول سليمان عليه السلام: «أيها الرب إله إسرائيل.... هل يسكن الله حقا على الأرض ؟ هو ذا السموات، وسماء السموات لاتسعك» [ الملوك الأول ٨: ٢٢: ٢٨ ] ويقول أيضا: «فى كل مكان عينا الرب مراقبتين الطالحين والصالحين» [ أمثال ١٥ : ٣ ] ويقول داود عليه السلام: «أين أذهب من روحك ؟ ومن وجهك أين أهرب ؟ إن صعدت إلى السموات فأنت هناك. إن فرشت فى الهاوية فها أنت. إن أخذت جناحى الصبح وسكنت فى أقاصى البحر؛ فهناك أيضا تهدينى يدك، وتمسكنى يمينك... فقلت: إنما الظلمة تغشانى. فالليل يضىء حولى. الظلمة أيضا لاتظلم لديك، والليل مثل النهار يضئ، كالظلمة هكذا النور» [ مزمور ١٣٩: ٧ - ١٢ ]

* * *

هذا عن ذات الله تعالى. وأما عن صفاته فإليك هذه الآيات:

١ - الله موجود.

يقول الله تعالى: «إنى أرفع إلى السماء يدى، وأقول: حىّ أنا إلى الأبد» [ تثنية ٣٢: ٤٠ ]

٢ - الله كامل.

يقول داود عليه السلام: «الله طريقه كامل» [ مزمور ١٨ : ٣٠ ]

٣ - الله عالم بكل شيء.

فى سفر صموئيل: «الرب إله عليم» [ ١ صم ١ : ٣٠ ]

٤ - الله قادر على كل شىء.

يقول الله تعالى: «أنا ظهرت لإبراهيم وإسحق ويعقوب بأنى الإله القادر على كل شيء» [ خروج ٦: ٢ ]

٥ - الله عظيم.

يقول إرميـاء: «لامثـيل لك يارب. عظيم أنت. وعظيم اسـمك فى الجـبروت» [ إرمياء ١٠: ٦ ]

٦ - الله قدوس.

يقول الله تعالى: «إنى أنا الرب إلهكم فتقدسون، وتكونون قديسين؛ لأنى أنا قدوس» [ اللاويين ١١: ٤١ ]

٧ - الله بار.

«فاحص القلوب والكلى. الله البار» [ مزمور ٧: ٩ ]

٨ - الله صادق.

بذاتى أقسمت. خرج من فمى الصدق» [ إشعياء ٤٥: ٢٣ ]

٩ - الله صالح.

«احمدوا الرب لأنه صالح» [ مزمور ١١٨: ١ ]

١٠ - الله أمين ووفى.

«ليس الله إنسانا فيكذب... هل يقول ولايفعل، أو يتكلم ولايفـى ؟» [ العدد ٢٣: ١٩ ]

١١ - الله رءوف رحيم.

«الرب إله رحيم رءوف. بطئ الغضب، وكثير الإحسان والوفـاء» [ خروج ٣٤: ٥ ]

١٢ - الله جميل.

«واحدة سألت من الرب، وإياها ألتمس: أن أسكن فى بيت الرب كل أيام حياتى. لكى أنظر إلى جمال الرب» [ مزمور ٢: ٤ ]

١٣ - الله هو الخالق وحده.

أول آية فى التوراة نصيا: «فى البدء خلق الله السموات والأرض»

١٤ - الله هو الحى الباقى.

«إن العلى متسلط فى مملكة الناس» [ دانيال ٤: ١٧ ]

١٥ - الله هو الذى يعطى ويمنع.

«إن يد إلهنا على كل طالبيه للخير، وصولته وغضبه على كل من يتركه» [ عَزرا ٨: ٢٢ ]

١٦ - الله هو الذى يبارك ويلعن.

«قد جعلت قدامك الحياة والموت، البركة واللعنة. فاختر الحياة لكى تحيا. أنت ونسلك» [ تثنية ٣٠: ٢٠ ].

١٧ - الله يحفظ الإنسان ويحميه.

«الله لنا ملجأ وقوة، عونا فى الضيقات وجد شديدا. لذلك لانخشى ولو تزحزحت الأرض، ولو انقلبت الجبال إلى قلب البحار» [ مزمور ٤٦: ١ - ٢ ]

١٨ - الله يقضى بالعدل.

«ثبت للقضاء كرسيه، وهو يقضى للمسكونة بالعدل» [ مزمور ٩: ٧ - ٨ ]

١٩ - الله حكيم.

«ليكن اسم الله مباركا من الأزل وإلى الأبد، لأن له الحكمة والجبروت» [ دانيال ٢: ٢٠ ]

٢٠ - صفات الله ثابتة.

فى سفر ملاخى يقول الله عن نفسه «أنا الرب لا أتغير» [ ملاخى ٣: ٦ ]

* * *

وبعد مابينا من التوراة أن الله واحد لاشريك له، ولايُرى ولايقدر أحد أن يراه، وليس كمثله شيء، وهو متصف بكل كمال، ومنزّه عن كل نقص، ولايحده مكان ولازمان. ننتقل إلى نقطة أخرى. وهى كيف أعلن الله عن ذاته ؟ وكيف كشف عن حقيقته للناس ؟

تقول التوراة: إن الله أعلن عن ذاته وكشف عن حقيقته للناس عن طريق واحد من ثلاثة طرق للإعلان والكشف: الأول: الوحى. الثانى: من وراء حجاب. الثالث: إرسال الأنبياء والرسل. أما رؤية الإنسان الله، وجها لوجه؛ فهذا مستحيل. لأن الإنسان لايقدر

على مواجهة الله وجها لوجه.

الوحـــى:

تقول التـوراة: إن مريم أخت موسى، وهارون أخاه؛ غـضبا عليه بسـبب تزوجه من امرأة كوشية - أى من الحـبشة - فطلب الله منهم أن يكونوا فى خيمة الاجتـماع «فقال الرب حالا لموسى وهرون ومريم: اخرجـوا أنتم الثلاثة إلى خيمة الاجتماع؛ فـخرجوا هم الثلاثة. فنزل الرب فى عمود سحاب، ووقف فى باب الخيمـة، ودعا هرون ومريم، فخرجا كلاهما. فقال: اسـمعا كلامى: إن كان منكم نـبىّ للـــرب، فبالرؤيا أستعلن له. فى الحلم أكلمه. وأما عبـدى موسى فليس هكذا. بل هو أمين فى كل بيتى. فما إلى فم، وعـيانا أتكلــم معه، لا بالألغاز، وشـــبه الرب يعـــاين» [ عدد ١٢: ٤ - ٨ ]

يوضح هذا النص: أن الثلاثة لم يروا الله جهرة. بل سمعوا الصوت فى ظُلل من الغمام. وأن موسى نفسه لم ير الله. لقوله: «وشبـه الرب يُعاين» أى يرى مجد الله، فيتأكد من وجود الله. فـيكون علمه به، منزلا منزلة رؤيتـه لـه. ويوضح النص: أن الله يعلن ذاته بواسطة الرؤيا «بالرؤيا أستعلن له، فى الحلم أكلمه»

ولما صعـد موسى إلى الجبل؛ ليكلم الله بعـد الأربعين يوما، تحدث الله مـعه من وراء حجاب «فصـعد موسى إلى الجبل. فغطّى السحاب الجـبل، وحلّ مجد الرب على جبل سينـاء، وغطاه السـحـاب سـتـة أيام. وفى اليـوم الـسـابع دُعى مـوسى من وسط السحـاب. . . الخ» [ خروج ٢٤: ١٥ ] وقال الله لموسى: اصنع تـابوتا. واجعل له غطاء. وضع على الغطاء كروبين - صورة مَلاكين - وَضَع العهـد فى التابوت. وإذا أردت مخاطبتك فإنى أُخـاطبك من على الغطاء. تقول التـوراة: «وتجعل الغطاء على التـابوت من فوق، وفى التابوت تضع الـشهادة التى أُعطيك. وأنا أجـتمع بك هناك، وأتكلم مـعك من على الغطاء، من بين الكروبين الذين على تابوت الشهادة، بكل مـاأوصيك به إلى بنى إسرائيل » [ خـروج ٢٥: ٢١: ٢٢ ]

وبناء على ماتقدم: فإن الله لم يظهر، ولن يظهر ظهورا مباشرا لأى إنسان فى هيئة بشرية، أثناء يقظته [1]. وقد صرح الانجيل بذلك كما صرحت التوراة. ففى إنجيل يوحنا: «الله لم يره أحد قط» [ يوحنا ١ : ١٨ ] وفى الرسالة الأولى ليوحنا: «الله لم ينظره أحد قط» [ ٤ : ١٢ ] وفى الرسالة الأولى من بُولس إلى تيموثاوس عن الله تعالى: «المبارك العزيز الوحيد ملك الملوك ورب الأرباب الذى وحده له عدم الموت، ساكنًا فى نور لايُدنى منه، الذى لم يره أحد من الناس، ولايقدر أحد أن يراه، الذى له الكرامة والقدرة الأبدية» [ ١ تيمو ٦: ١٥ - ١٦ ]

والآيات التى جاءت فى التوراة تثبت أن الله لايُرى؛ هى آيات مُحكمات. وعلماء بنى إسرائيل يعرفون ذلك، ويعرّفونه للناس من قبل ظهور النصرانية، ومن بعد ظهور الإسلام. فابن كمونة سعد بن منصور البغدادى الإسرائيلى المتوفًى سنة ٦٨٣ هـ فى مدينة الحِلّة ببغداد يقول:

«يجب أن يكون الأصل الأول فيما يسنّه النبى الحقيقى: أن يعرًّف الناس: أن لهم صانعا واحدا حيا قادرا لاشريك له فى ملكه ولاشبيه ولانظير، عالما بالسر والعلانية، لايعزُب عن علمه شيء فى السموات ولا فى الأرض. وأن من حقه أن يُطاع، وأنه قد أعدّ السعادة لمن أطاعه، والشقاوة لمن عصاه. وأن يقرر عندهم أمر المعاد الأخروى، وأن هناك من اللذة الأبدية ماهو ملك عظيم، ومن الألم ماهو عذاب مقيم [2]»

وأما عن إرسال الله ملائكته للناس:

فإن التوراة تبين أن الملائكة لهم القدرة المستمدة من قدرة الله على الظهور بهيئة مرئية، والكلام بصوت مسموع، ليبلغوا الإنسان مشيئة الله، ويؤدوا إليه ما أراد له الله من خير، إذا

---

(١) النصارى يقولون: إن الله ظهر للناس فى جسد المسيح عيسى ابن مريم. وقولهم مردود بما ذكرنا وبما سيأتى .

(٢) ص ١٤ - ١٥ تنقيح الأبحاث فى الملل الثلاث - سعد بن منصور بن كمونة - طبع جامعة كاليفورانيا باللغة العربية سنة ١٩٦٧م عنى بنشره موسى بروكلمان.

واعلم: أن كلام «ابن كمونة» هذا، قد نقله بنصه من كتاب «النجاة» لابن سينا.

أحسن، وينفذوا عليه ماأراد الله له من عـقاب، إذا أساء. ومن أمثلة ذلك: «ونادى ملاك الله هاجر من السماء وقال لها: مالك ياهاجـر، لاتخافى. لأن الله قد سمع لصوت الغلام حيث هو. قومى احملى الغلام، وشدى يدك به؛ لأنى سأجعله أمة عظيمة» [ تك ٢١: ١ - ١٨] وأيضا: «فجاء الملاكان إلى سدوم مساء، وكان لوط جالسا فى باب سدوم. . . . الخ» [ تـك ١٩: ١ ]

وأما عن إرسال أنبيائه ورسله إلى الناس:

فالتوراة تقول: إن الله تعالى قال لموسى عليه السـلام: «أما أنت فقف معى، فأكلمك بجميع الوصايا والفرائض والأحكام التى تعلّمهم، فيعلمونها» [ تثنية ٥: ٣١ ] وأن الله قال لموسى عن نبى يأتى فى المستقبل من آل إسماعيل عليه السلام: «أقيم لهم: نبيا. من وسط إخوتهم. مثلك. وأجعل كلامى فى فمه؛ فيكلمـهم بكل ماأوصيه به. ويكون أن الإنسان الذى لايسمع لكلامى الذى يتكلم به باسمى؛ أنا أطالبه» [ التثنية ١٨ : ١٥ - ٢٢ ]

* * *

ومع ماقدمنا نجد فى التوراة آيات متشابهات:

١ - آيات تذكـر أن لله تعـالى وجـهـا وعـينين وأجـفـانا وأذنين، وأنفـا وفـمـا وذراعـا ويدا، وإصـبعـا ورجلين وقدمين، وأن لله قلبـا وصوتا. وهكـذا أعضـاء كأعـضاء الإنسان.

٢ - وآيات تنسب صـفـات الإنسـان وأفـعـاله ومـشـاعـره إلى الـله. كـالمكر والنسـيـان والغضب والأسف.

٣ - وآيات تذكـر أن الله تعـالى ظهـر لبعض الـناس ظهورا شـخـصـيا وتكلم مـعـهم. فما هو تفـسير ذلك ؟ لقد فـسرت التوراة هذه الأمور الثلاثة، وبينـت أن المتشابه يُرد إلى المحكم.

فعن الأمر الثالث نقول أولا:

إن كاتب التوراة حـينما يتحدث عن ظهـور الله شخصيا. يُفـسر ذلك فى موضع

آخر بأن الذى ظهر ليس هو الله نفسه، بل ملاك من ملائكته. مثال ذلك:

«فبقى يعقوب وحده، وصارعه إنسان، حتى طلوع الفجر، ولما رأى أنه لايقدر عليه، ضرب حق فخذه. وقال: أطلقنى؛ لأنه قد طلع الفجر. فقال: لاأطلقك، إن لم تباركنى، فقال له: ماإسمك ؟ فقال: يعقوب. فقال: لايُدعى اسمك فيما بعد يعقوب، بل إسرائيل؛ لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت. وسأل يعقوب، قال: أخبرنى باسمك. فقال: لماذا تسأل عن اسمى ؟ وباركه هناك. فدعا يعقوب اسم المكان فينئيل. قائلا: لأنى نظرت الله وجها لوجه» [ تكوين ٣٢: ٢٢ - ٣١ ]

هذا فى سفر التكوين. وفى سفر هُوشَع، فسر الكاتب أن «الإنسان» الذى صارع يعقوب، والذى قال عنه يعقوب: «نظرتُ الله وجها لوجه» فسر الكاتب «الله» بملاك من الملائكة. يقول مانصه: «فى البطن قبض بعقب أخيه، وبقوته جاهد مع الله، جاهد مع الملاك، وغلب. بكى واسترحمه» [ هوشع ١٢: ٣ - ٤ ]

* * *

وعن الأمر الأول نقول:

الآيات التى تذكر أن لله تعالى وجها وعينين.. الخ. أى التى تنسب أعضاء الإنسان إلى الله. هذه الآيات تؤول، وتفسر بالمعنى المجازى لا بالمعنى الحقيقى. فاليد كناية عن القدرة، والعين كناية عن العلم، والأذن كناية عن السمع، وهكذا. لكن لماذا عبر الله فى التوراة عن نفسه بالأعضاء التى تشبه أعضاء الإنسان وبالصفات التى تشبه صفاته ؟ لأن الله أراد أن يخاطب الإنسان بصيغة يستطيع أن يفهمها، وبصورة يستطيع أن يتصورها. فتكلم عن نفسه وكأنه فى صورة الإنسان - وماهو فى صورة الإنسان. تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا - وكأنّ له أوصاف الإنسان وصفاته، وكأنّ له مشاعر الإنسان وأفعاله. وذلك لأن الإنسان، ولاسيما فى طوره البدائى، وفى عهد سذاجته الأولى، وفى كونه عاميا. ذلك الإنسان عاجز بعقله المحدود، عن أن يدرك طبيعة الله الروحية الخالصة المجردة عن المادة، المنزهة عن الشكل والصورة، والمطلقة التى لايحدّها زمان ولا مكان. فهو لايستطيع أن يتصور الله إلاّ فى هيئة بشرية ذات شكل وصورة وذات حدود فى الزمان وفى المكان. كما أن لغة الإنسان التى يعبر

بها عن أفكاره ومشاعره هى قاصرة عن أن تصور الله على حقيقته، أو أن تُعبر عن أوصافه وصفاته التعبير اللائق بجلاله وعظمته.

وهكذا. فإن الله - فى سبيل أن يهدى الإنسان إليه، ليعبد، - تنازل؛ فتكلم عن نفسه - وهو السيد الخالق - بالأسلوب الخليق بالعبد المخلوق.

* * *

وهذه أمثلة فى نسبة أعضاء الإنسان إلى الله. وكيفية تأويلها:

١ - قال الله لموسى: «لاتقدر أن ترى وجهى» [ خروج ٣٣: ١٨ ] المراد بالوجه: ذات الله تعالى. فالوجه يعبر به عن الجملة والذات.

٢ - «الرب فى السماء كريم، عيناه تنظران، أجفانه تمتحن بنى آدم» [ مزمور ١١: ٤ - ٥ ] أى أن الله يعلم ويرى.

٣ - «وكان الشعب كأنّهم يشتكون فى أذنى الرب» [ عدد ١١: ١ ] أى أن الله سامع لشكواهم سماعا مؤكدا.

٤ - «بنسمة الله يبيدون، وبريح أنفه يفنون» [ أيوب ٦ - ١٤ - ١٦ ] أى بكلمة منه، يكون أى شيء يريده؛ فيكون.

٥ - «فتكلمتَ بفمك، وأكملت بيدك» [ الأخبار الثانى ٦: ١٦ ] تكلم بفمه عن طريق الوحى، أو الحجاب، أو إرسال رسله. وأكمل بيده: أى عمل بقدرته.

٦ - «فأخرجنا الرب من مصر بيد شديدة، وذراع رفيعة» [ تثنية ٢٦: ٨ ] أى بقوة وقدرة.

٧ - وقد جاء الذراع بمعنى اليد «فإنه بيد قوية أخرجكم الرب هنا» [ رو ١٣: ٣ ] وجاء تفسير الذراع بأنه ذراع القدرة لاذراع الجسم «يارب... لك ذراع القدرة» [ مزمور ٨٩: ٨ و ١٣ ]

٨ - يقول موسى: «وأعطانى الرب لوحى الحجر المكتوبين بإصبع الله» [ تثنية ٩: ١٠ ] أى مكتوبين بقدرة الله.

٩ - «هكذا قال الرب: السموات كرسى، والأرض موطئ قدمى» [ إشعياء ٦٦: ١] المعنى:

أ - أن كرسيه لم يضق عن السموات والأرض؛ لبسطته وسعته، وماهو إلا تصوير لعظمته، وتخييل فقط، ولا كرسى ثمَّة ولاقعود ولا قاعد.

ب - وسع علمه. وسمى العلم كرسيا تسمية بمكانه، الذى هو كرسى العالم.

ج - وسع ملكه. تسمية بمكانه، الذى هو كرسى الملك [(١)].

١٠ - «قد اخترت وقدست هذا البيت، ليكون اسمى فيه إلى الأبد. وتكون عيناى وقلبى هناك كل الأيام» [ الأخبار الثانى ٧: ١٦ ] أى أكون عالما بجميع أحواله طول الزمان، وأكون شاهدا لما يجرى حوله وأكون رءوفا بالناس الذين يعيشون بجواره.

١١ - «إن الرب هو الإله، ليس آخر سواه. من السماء أسمعك صوته» [ تثنية ٤: ٣٥ و ٣٩ ] أى من جهة العلو خاطبك بشريعته.

* * *

وعن الأمر الثانى نقول:

الآيات التى تنسب صفات الإنسان وأفعاله ومشاعره إلى الله. مثل: أن الله غضب وتأسَّف فى قلبه ونسى. وماشابه ذلك. هذه الآيات جاءت على سبيل المشاكلة. مشاكلة الفكر للفكر، للقرب والاستئناس. لقد قلنا: إن من صفات الله أنه مطلق لايحده زمان ولامكان، فهو من حيث الزمان أزلى أبدى، يحيا فى الماضى والحاضر والمستقبل معا، وهو من حيث المكان لانهائى، يملأ الكون كله، فهو موجود فى كل مكان، ومع ذلك فقد شاء الله أن يتحدث إلى الإنسان عن نفسه، وكأنه كالإنسان محدود فى الزمان وفى المكان.

إنه من غير الممكن أن يمضى الزمان على الله بحيث ينسى أمرا، وقع فى الماضى، ثم

---

(١) انظر الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل. تأليف أبى القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشرى الخوارزمى - رضى الله عنه - فى تفسير الآية ٢٥٥ من سورة البقرة.

يتذكره فى الحاضــر، أو يحتاج إلى من يذكّره به، كما هو الشأن بـالنسبة للإنسان. ومع ذلك فقد جاء فى سفر التكوين: «ثم ذكر الله نوحا» [ تك ٨: ١ ] وماكان قد نساه. كما أنه من غير المـمكن أن يكون الله فى مكان ولايكون فى غيره، أو أن يكون فى مكان بعـينه، بحيث يكون له ماهو فوقـه أو تحته، أو يكون له ماهو أمامه أو خلفـه، أو أن نقول: إنه قائم هنا أو هناك، أو جالس هنا أو هناك، أو ساكن فى هذا الموضع أو ذاك، أو أنه صعد أو نزل أو دخل من هذا الموضع إلى ذاك، أو أنه اجتمع بفلان أو انصرف عن فـلان، أو قاد جماعة من مكان إلى مكان. ومع ذلك فقد وردت كل هذه المِعانى الخاصة بالإنسان منسوبة إلى الله.

مثال ذلك: قـــول داود عليه الســلام: «الرب فى الســـماء كرســـيه» [ مزمور ١١ : ٤ ] لما كان الاستواء على العـرش. وهو سرير الملك، مما يردف الملك؛ جعلوه كناية عن الملك. فقالوا؛ استوى فلان على العرش. يريدون ملك وإن لم يقعد على السرير البتّة. هكذا نسب الله إلى نفسه أفعال الإنسان فى تنازل منه عز شأنه لتعليم الإنسان - كما رأينا - وهكذا أراد الله أن يكون كلامه إلى اليهود وغيرهم؛ قريبا إلى أفهامهم، فتنازل وخاطبهم باللغة التى يفهمونها، وأراد أن يكون تصويره لنفســه قريبا إلى مداركهم؛ فتنازل وأعطى لهم الصورة التى يمكنهم أن يتصوروها. لعلهم يدركون طبيعته، ويعرفون شريعته. (١)

* * *

وقد قلنا من قبل: إن شريعة التوراة كانت لبنى إسرائيل وللأمم. ولكن اليهود من أيام سبى «نبوخذ ناصّر» ملك بابل، جعلوها شريعـة لهم، وللغرباء الساكنين بينهم. واعتبروا الله - عز وجل - إلها لهم وحدهم، وللغرباء بينهم. وهنا نبين مايلى:

يقول الدكتور فـيليب حتّى، والدكتور إدوارد جرجى، والدكتور جـبرائيل جبّور.

---

(١) ذلك هو المكتوب فـى كتب اسبـينوزا، وموسى بن ميـمون، وابن كمـونه. ويقول به النصـارى، وأما الفريسيون من اليهـود. فإنهم يقولون: لله يد، بلا تشبيه. وله جسم، بلا تمثيل. ومستوى على العرش بذاته، وهو فى الأرض بعلـمه. وقـد رد عليـهم المسيح فى إنجيل برنابا، وصـرح بالتـأويل فى آيات الصفات.

مؤلفو تاريخ العرب المطول: «وفى أيام نحميا [ ٢: ١٩، ٤: ٧ ] فى متوسط القرن الخامس قبل الميلاد، كان اليهود قد أخذوا يحسبون جيرانهم الذين يسكنون الجنوب الشرقى منهم أعداء لهم. وهذا يفسّر لنا سر قصر اليهود الدعوة على جنسهم، واستبعاد الأمم من الدخول فى دينهم، ومنهم العرب أيام عَزْرا ونحميا» (١)

ويخاطب بولس أهل رومية بقوله: «فماذا نقول ؟ ألعل عند الله ظلما. حاشا. لأنه يقول لموسى: أنى أرحم من أرحم، وأتراءف على من أتراءف» (٢) إنه يستدل من توراة موسى: على أن الله ليس ربا لليهود وحدهم . بل للناس جميعا. لأن كلمة «مَنْ» للعموم. ويقول بولس: إن هو شع فى سفره، صرّح بأن الله رب العالمين «كما يقول فى هوشع أيضا: سأدعو الذى ليس شعبى؛ شعبى. والتى ليست محبوبة؛ محبوبة. ويكون فى الموضع الذى قيل لهم فيه: لستم شعبى؛ أنه هناك؛ يدعون أبناء الله الحىّ» ويقول بولس أيضا؛ «لأنه لافرق بين اليهودى واليونانى؛ لأن ربا واحدا للجميع، غنيا لجميع الذين يدعون به. . . الخ» [ رومية ٩ و ١٠ ]

وبعد ماقصروا شريعة الله على أنفسهم، والذى يسكن بينهم؛ بينوا أن الله إله لهم، وليس لكل الناس. فى عبارات من التوراة. وتركوا فى التوراة مع ذلك عبارات تشير إلى أن الشريعة للناس جميعا وإلى أن الله رب العالمين؛ ليكونوا مستعدين لأى احتمال ( يحرفون الكلم من بعد مواضعه، يقولون: إن أوتيتم هذا؛ فخذوه، وإن لم تؤتوه؛ فاحذروا (٣) )

---

(١) ص ٥٠ تاريخ العرب المطول - دار الكشاف فى بيروت سنة ١٩٥٨م.

(٢) الخروج ٣٣: ١٨ - ١٩.

(٣) المائدة ٤١

لقد كتبوا عن الله:

١ - الله هو إله اليهود

«وقال يعقوب ياإله أبى إبراهيم، وإله أبى إسحق» [ تكوين ٣٢: ٩ ]

«وقال الله أيضا لموسى: تدخل أنت وشيوخ بنى إسرائيل إلى ملك مصر، وتقولون له: الرب إله العبرانيين قد التقانا» [ خروج ٣: ١٥ - ١٨ ]

٢ - الله هو قائد اليهود

«ماأحلى مساكنك يارب الجنود، يارب إله الجنود اسمع صلاتى، يارب الجنود طوبى للإنسان المتكل عليك» [ مزمور ٨٤ ]

٣ - الله هو ملك اليهود

«قدوس إسرائيل ملكنا» [ مزمور ٨٩: ١٨ ]

٤ - الله هو مشرع لليهود

«نزل الرب على جبل سيناء. .. ودعا الله موسى إلى رأس الجبل. . . ثم تكلم الله بجميع هذه الكلمات قائلا. . . هكذا تقول لبنى إسرائيل» [ خروج ١٩: ٢٠ / ٢٠: ٢٢ ]

٥ - الله هو قاضى اليهود

«الرب قاضينا» [ إشعياء ٣٣: ٢٢ ]

ولما كان الله فى التوراة - كما كتبوا - هو إله لليهود وحدهم. فاليهود فيها هم وحدهم شعب الله المختار دون غيرهم من شعوب الأرض، وقد ميزهم من سائر الشعوب، لا لتبليغ شريعته إلى الناس - كما هو الحق - بل لنقاء دمهم، وصفاء قلوبهم. وأحبهم كما يحب الأب ابنه البكر. إذ جاء فى سفر الخروج: «قال الرب لموسى: تقول لفرعون هكذا يقول الرب: إسرائيل [1] ابنى البكر. فقلت لك: أطلق ابنى؛ ليعبدنى، فأبيت أن تطلقه. ها أنا أقتل ابنك البكر» [ خروج ٤: ٢١ - ٢٣ ] أى أن بنى إسرائيل جميعا هم أولاد الله، وأن

---

(١) يعنى: بنى اسرائيل.

جميع المصريين هم أولاد فرعون. والتـوراة لاتقول بذلك على المعنى الحقـيقى. وهو الولادة الطبيـعيـة، بل على المعنى المجازى. أى أن الله يحبّ بنـى إسرائيل، كمـا يحب الرجل ابنه البكر. ولما كان قتل الابن البكر أمـرا صعبا على الأب؛ فإن من الصعـوبة على المصريين قتلُ اللهِ لكل بِكْر لرجل مصـرى. ولهذه الصعـوبة يجب عليهم أن يحملوا فـرعون على أن يأذن لبنى إسرائيل بالخروج من مصر.

وتكرر فى التوراة على هذا النحو إطلاق لقب «الأب» الذى هو بالعبرانية واليونانية «الآب» على الله تعـالى. وتكرر لقب «ابن الله» على كل فـرد من بنى إسـرائيل سواء كـان صالحا أو فاسدا عالما أو جاهلا. غنيا أو فقيرا، حاكما أو محكوما.

ففى سفر إشَـعياء يخاطب اليهود ربهم قـائلين: «فإنك أنت أبونا، وإن لم يعرفنا إبراهيم، وإن لم يدرنا إسرائيل. أنت يارب أبونا» [ إشعياء ٦٣: ١٦ ] وقد كلم الله داود عن سليمان فـقال: «أنا أكون له أبا، وهو يكون لى ابنا» [ صمـوئيل الثانى ٧: ١٤] ويقـول الله عن يعقوب على لسان إِرمياء: «صرت لإسرائيل أبا» [ إرمياء ٣١: ٩ ] ويقول موسى لليهود: «أنتم أولاد للرب إلهكم» [ تثنية ١٤: ١ ] ويقول موسى موبخا لليهود على سوء سلوكهم: «الرب تكافئون بهذا، ياشـعبا غبيا غير حكيم ؟ أليـس هو أباك ومـقتنيك، هو عملك وأنشأك ؟» [ تثنية ٣٢: ٦ ]

* * *

واقتضت مشيئة الله - عـز وجل - أن يرسل الرسل مبشرين ومنذرين، واقتضت مشيئتـه أن يرسل الرسل يتحدثون بلغة أقوامهم. ليبينوا لهم مـايريده الله منهم. كما جاء فى القرآن الكريم: ( ومـاأرسلنا من رسول إلا بلسـان قومه، لـيبين لهم [1] ) أى ليـفقـهـوا عنه مايدعوهم إليه، فلا يكون لهم حجة على الله، ولايقولون لم نفهم ماخوطبنا به. ومن هؤلاء الرسل المسيح عيـسى ابن مريم عليه السـلام أرسله الله رسولا إلى بنى اسرائيل متحدثا بلغتهم،

(١) إبراهيم ٤

مخاطبا بما يألفون ويفقهون ويعرفون. وكانت مهمته تتلخص فى أمرين اثنين: الأمر الأول: كونه مصدقا لما بين يديه من التوراة [1] غير مهيمن. والأمر الثانى: كونه مبشرا برسول من بعده اسمه «أحمد» صلى الله عليه وسلم.

لقد ظهر المسيح. واليهود يدّعون أن التوراة ليست للعالمين، فوبخهم قائلا: «ويل لكم أيها الناموسيون [2] لأنكم أخذتم مِفتاح المعرفة. مادخلتم أنتم، والداخلون منعتموهم» [ لوقا ١١: ٥٢ ]

وظهر المسيح. وهم يتحدثون عن الله باسم الله. فتحدث عن الله باسمه العظيم. كما تحدثوا. ومن ذلك قوله لتلاميذه: «قد كلمتكم بهذا، لكى لاتعثروا، سيخرجونكم من المجامع، بل تأتى ساعة. فيها يظن كل من يقتلكم: أنه يقدم خدمة لله» [ يوحنا ١٦: ١ - ٢ ]

وظهر المسيح. وهم يؤمنون بالله الواحد الذى تحدثت عنه التوراة. فتحدث معهم عنه. ففى إنجيل مَرْقس: «فجاء واحد من الكتبة وسمعهم يتحاورون، فلما رأى أنه أجابهم حسنا. سأله: أية وصية هى أول الكل ؟ فأجابه يسوع: إن أول كل الوصايا هى: اسمع يالإسرائيل: الرب إلهنا رب واحد، وتحب الرب إلهك من كل قلبك، ومن كل نفسك، ومن كل فكرك، ومن كل قدرتك. هذه هى الوصية الأولى. وثانية مثلها: هى تحب قريبك كنفسك. ليس وصية أخرى أعظم من هاتين. فقال له الكاتب: جيدا يامعلم. بالحق قلت. لأنه الله واحد، وليس آخر سواه. ومحبته من كل القَلْب، ومن كل الفهم، ومن كل النفس، ومن كل القدرة. ومحبة القريب كالنفس. هى أفضل من جميع المحرقات،

---

(١) المسيح مصدق لما بين يديه من التوراة، ونبى الإسلام مصدق لما بين يديه من التوراة، والفرق بينهما: أن المسيح مصدق فقط. أما نبى الإسلام فمصدق ومهيمن. والمهيمن من حقه النسخ، وكان المسيح يحل بعض ما حرمه العلماء على الناس من تلقاء أنفسهم.

وكانت التوراة الحالية المتداولة توراة موسى منتشرة فى العالم من بعد سنة ٥٨٦ ق. م وبالتحديد من القرن الثالث قبل الميلاد ( انظر كتابنا: نقد التوراة ).

(٢) الناموس هو التوراة. وقد صرح المسيح بأنه مصدق لها فى قوله: «لا تظنوا أنى جئت لأنقض الناموس» [ متى ٥: ١٧ ]

والذبائح. فلما رآه يسوع أنه أجاب بعقل، قال له: لست بعيدا عن ملكوت الله» [ مرقس ١٢ : ٢٨ - ٣٤]

وظهر المسيح. وهم يتحدثون عن الله بلقب «الآب» فقال لتلاميذه: «فصلوا أنتم هكذا: أبانا الذى فى السموات. . . . . . الخ [ متى ٦ : ٩ ]

وظهر المسيح. وهم إذا تحدثوا عن الله بلقب «الآب» بدون إضافة، يقولون: «الآب» فتحدث معهم، وقال لتلاميذه: «وسيفعلون هذا بكم؛ لأنهم لم يعرفوا الآب ولا عرفونى. لكنى قد كلمتكم بهذا، حتى إذا جاءت الساعة تذكرون أنى أنا قلته لكم. ولم أقل لكم من البداية؛ لأنى كنت معكم. وأما الآن فأنا ماض إلى الذى أرسلنى» [ يوحنا ١٦ : ٣ - ٥ ] «أيها الآب البار. إن العالم لم يعرفك. أما أنا فعرفتك، وهؤلاء عرفوا أنك أنت أرسلتنى» [ يوحنا ١ : ٢٥ ]

ولما كانت التوراة قد عبرت عن جميع بنى إسرائيل بأنهم أولاد لله «أنتم أولاد للرب إلهكم» [ التثنية ١٤ : ١ ] والمسيح من بنى إسرائيل من نسل هرون من جهة الأم. فإنه بحسب الشريعة ابن لله بالمعنى المجازى [1]. وتلاميذه أبناء أيضا لله. وهم أخوة بعضهم لبعض؛ لأن أباهم واحد. كما تقول التوراة: «أليس أب واحد لكلنا ؟ أليس إله واحد خلقنا ؟» [ ملاخى ٢ : ١٠ ]

لما كان الأمر كذلك. فإنه بمقتضى الشريعة، وعلى وفق عادة بنى إسرائيل ولسانهم قال المسيح عن الله تعالى: إنه أبوه. بالمعنى المجازى، وأن التلاميذ كلهم إخوة له. يقول يوحنا عن مريم المجدلية:

«قال لها يسوع: يامريم. فالتفتت تلك، وقالت له: ربونى. الذى تفسيره: يامعلم. قال لها يسوع: لاتلمسينى. لأنى لم أصعد بعد إلى أبى. ولكن اذهبى إلى إخوتى، وقولى لهم: إنى أصعد إلى أبى وأبيكم، وإلهى وإلهكم» [ يوحنا ٢٠ : ١٦ - ١٧ ]

---

(١) كما يقول التلميذ لشيخه: يا أبي، وكما يقول الشيخ لتلميذه: يا بنى، وكما يقول الناس: هذا أخ فى الله. وكما نقول: الفقراء عيال الله، والأغنياء وكلاء الله.

انظر. لقد نادته مريم بلقب «ربونى» أى المعلم. كما فسره يوحنا. وهذا يعنى أن المسيح فى نظر أتباعه «ربى» كواحد من الربانيين، الذين كانوا يعلمون الكتاب ويدرّسونه للناس.

وقد اعترف بأن التلاميذ كلهم إخوة، واعترف بأنه كأى فرد من أفراد بنى إسرائيل يتحدث عن الله بقوله: «أبى وأبيكم. وإلهى وإلهكم» كما حكى الله عنه فى القرآن الكريم:
**﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾**[1] )

---

(٢) المائدة ١١٧

## الفصل الثانى

## فى

## أقنـــوم الابـــن

لما ثار إبراهيم النبى - عليه السلام - على قومه؛ لعبادتهم الأصنام من دون الله، أرادوا به كيدا؛ فأمره الله باعتزالهم، وخاطبه بقوله. كما جاء فى التوراة:

«اذهب من أرضك، ومن عشيرتك، ومن بيت أبيك إلى الأرض، التى أُريك؛ فأجعلك أمة عظيمة. وأباركك، وأعظم اسمك، وتكون بركة، وأبارك مباركيك، ولاعنك ألعنه، وتتبارك فيك جميع قبائل الأرض» [تكوين ١٢ : ١ - ٣] ولقد اعتزلهم إلى أرض «فلسطين» الأرض التى بارك الله فيها للعالمين. وفيها رزقه الله على الكبر «إسماعيل «و «إسحق» ولقد شاءت إرادة الله أن يتزوج إبراهيم من مصرية تسمى «هاجر» وأن تهرب من وجه سارة؛ فيقابلها ملاك الله، ويخاطبها بقوله: «هاأنت حبلى فتلدين ابنا، وتدعين اسمه إسماعيل. لأن الرب قد سمع لمذلتك، وأنه يكون إنسانا وحشيا. يده على كل واحد، ويد كل واحد عليه . وأمام جميع إخوته يسكن» [تك ١٦]. وكان إبراهيم ابن ست وثمانين سنة لما ولدت إسماعيلَ هاجرُ.

***

ولما كان إبراهيم فى سن التاسعة والتسعين؛ تكلم الله معه بهذه الكلمات:

١ - «إنى أجعلك أبا لجمهور من الأمم، وأثمرك كثيرا جدا، وأجعلك أمما. وملوك منك. يخرجون»

٢ - وقال الله لإبراهيم: ساراى امرأتك لاتدعوا اسمها ساراى. بل اسمها سارة، وأباركها. وأعطيك أيضا منها ابنا. أباركها. فتكون أمما. وملوك شعوب منها يكونون؛

٣ - «وقال إبراهيم لله: ليت إسماعيل يعيش أمامك ؟ فقال الله: وأما إسماعيل

فقد سمعتُ لك فيه. ها أنا أُباركه. وأُثمره. وأكثره، كثيرا جدا، اثنى عشر رئيسا يلد، وأجعله أمة كبيرة» [تكوين ١٧]

لقد. وعد الله إبراهيم بمباركة الأمم فى نسله، أى يكون من نسله أمم وملوك على الشعوب يحكمون بشريعة الله. وكما وعده بالبركة فى نسل سارة؛ وعده بالبركة فى نسل هاجر.

***

ولما حضر يعقوب الموت وصى بنيه بالإسلام، وذكّرهم ببركة الأمم فى نسل إسماعيل، كما ستتحقق فى بنى إسحق. وأن شريعة الله ستنتقل إلى بنى إسماعيل؛ ليحكموا الناس بالحق وبالعدل.

لقد قال لبنيه جميعا فى شخص يهوذا ابنه: «لايزول قضيب من يهوذا، ومشترع من بين رجليه، حتى يأتى شِيلون. وله يكون خضوع شعوب» [تكوين ٤٩: ١٠]

والمعنى: لايزول الملك من بنى إسرائيل. ولاتنسخ شريعتهم - شريعة التوراة - حتى يأتى نبى الأمان.

***

وتحدث موسى عن أوصاف عشرة للنبى الآتى من بنى إسماعيل. لتبدأ به بركة الأمم فى نسل إسماعيل. فقال: «يُقيم لك الرب إلهك: نبيا. من وسطك. من إخوتك. مثلى. له تسمعون.. الخ» ولو كان هذا النبى الآتى مماثلا لموسى من بنى إسرائيل. ماكان موسى يعبر عنه بقوله: «من إخوتك» بل كان يقول: منك. ولو أنه هو من بنى إسرائيل فمتى تتحقق بركة الأمم فى نسل إسماعيل ؟ هذه البركة التى أكّدها الملاك لهاجر، والتى أكدها الله لإبراهيم.

وهذا هو نص الأوصاف العشرة:

«يقيم لك الرب إلهك: نبيا. من وسطك. من إخوتك. مثلى. له تسمعون..

أقيم لهم: نبيا من وسط إخوتهم مثلك، وأجعل كلامى فى فمه، فيكلمهم بكل ماأوصيه به. ويكون أن الإنسان الذى لايسمع لكلامى الذى يتكلم به باسمى؛ أنا أطالبه. وأما النبى الذى يُطغى فيتكلم باسمى كلاما. لم أوصه أن يتكلم به، أو الذى يتكلم باسم آلهة أخرى؛ فيموت [1] ذلك النبى.

وإن قلت فى قلبك: كيف نعرف الكلام الذى لم يتكلم به الرب ؟ فما تكلم به النبى باسم الرب، ولم يحدث، ولم يصر؛ فهو الكلامُ الذى لم يتكلم به الرب، بل بطغيان تكلم به النبى؛ فلا تخف منه» [تثنية ١٨ : ١٥ - ٢٢]

١ - نبى «أقيم لهم نبيا»

٢ - من بنى إسماعيل «من وسط إخوتهم»

٣ - مثل موسى فى المعجزات، والانتصار على الأعداء فى الحروب، والملك على قومه وعلى الأمم والشعوب «مثلك» [انظر التثنية ٣٤: ١٠ - ١٢]

٤ - أمى لايقرأ ولايكتب «وأجعَل كلامى فى فمه»

٥ - ينسخ شريعة موسى «له تسمعون»

٦ - أمين على الوحى الإلهى «فيكلمهم بكل ماأوصيه به»

٧ - يقضى على ملك بنى إسرائيل فى أرض فلسطين، والعالم «ويكون أن الإنسان الذى لايسمع لكلامى الذى يتكلم به باسمى؛ أنا أطالبه» أى أنا أنتقم من الذين لايتبعوه، وأبيدهم من أرضهم - كما فسرها بطرس فى الأصحاح الثالث من سفر الأعمال -

٨ - يكون ملكا على اليهود، وعلى الأمم والشعوب؛ لقوله: له تسمعون»

٩ - لايقتل بيد أعدائه «وأما النبى الذى يُطغى. . . الخ»

١٠ - يتحدث عن غيب يقع فى المستقبل، ويحدث الغيب كما قال «وإن قلت فى قلبك. . . الخ»

---

(١) فى ترجمة اليسوعيين: «فيقتل» بدل فيموت.

ومن هذا النص أخذ اليهود لقب «المَسِّيا» أى «المسيح» يقول الأنبا أثناسيوس:

«كان موسى النبى قد قال لليهود: «يُقيم لك الرب إلـهك: نبيا، من وسطك، من إخوتك، مثلى، له تسمعون» [تث ١٨ : ١٥] وقد كان المفهوم المباشر لهذه النبوءة : أنها عن «يشوع» الذى جاء بعد موسى. ولكن اليهود فهموها دائما أنها عن نبى من نوع آخر، يقيم عهدا جديدا معهم هو عهد الْمَسِيًّا (١)» أ. هـ.

وكثيرون من علماء اليهود الذين أسلموا، وكذلك علماء النصارى. اعترفوا بأن هذا النّص يُشير إلى محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكثير من علماء المسلمين الذين كتبوا فى علم مقارنة الأديان. قالوا: إن هذه النبوءة هى التى يُشير إليها القرآن الكريم فى قوله تعالى: ( النبى الأمى، الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والإنجيل [٢] ) وعلى قول هؤلاء جميعا. فإنه إذا كانت فكرة الْمَسِيًّا العالمية مأخوذة من هذا النص وهو: «يقيم لك الرب إلهك: نبيا. . الخ» فإن الْمَسِيًّا يكون هو محمد رسول الله ﷺ [٣].

ولما كان الله يعلم ماهو كائن إلى يوم القيامة، فإنه أنبأ يظهر الغيب: أن بنى إسرائيل لن يقوموا بالملك والشريعة خير قيام. ومن أجل ذلك سيغيظهم الله بسلب الملك منهم والشريعة إلى أمة أخرى. ولايمكن أن تكون هذه الأمة الأخرى غير بنى إسماعيل [٤] لأن الله وعد بمباركة الأمم فيهم. يقول تعالى: «هم أغارونى بما ليس إلها. أغاظونى بأباطيلهم. فأنا أغيرهم بما ليس شعبا، بأمة غبية أغيظهم» [تثنية ٣٢: ٢١]

***

---

(١) ص ١١٨ تفسير يوحنا للأنبا أثناسيوس.

(٢) الأعراف ١٥٧

(٣) انظر: تفسير فخر الدين الرازى فى أوائل البقرة. وانظر تفسير المنار فى الأعراف.

(٤) النصارى يقولون: إن هذه الأمة الغبية هى أمة اليونان وسائر الأمم من غير اليهود { انظر رسالة بولس إلى أهل رومية ١٠: ١٩ }

وفى نهاية حياة موسى عليه السلام يؤكد على بركة الأمم فى نسل إبراهيم ويفصلها تفصيلا. فيقول: إن لبنى إسحق بركة، ولبنى إسماعيل بركة مضاعفة. وينقل عنه كاتب التوراة مانصه:

«وهذه هى البركة، التى بارك بها موسى رجل الله بنى إسرائيل قبل موته. فقال: جاء الرب من سيناء. وأشرق لهم من سعير. وتلألأ من جبل فاران، وأتى من ربوات القدس، وعن يمينه نار شريعة لهم. فأحب الشعب. جميع قديسيه فى يدك، وهم جالسون عند قدمك، يتقبلون من أقوالك» [تثنية ٣٣: ١ - ٣] إنه أشار بالتلألؤ من جبل فاران إلى مكان سكنى إسماعيل، الذى حددته التوراة عقب قول الله لهاجر: «قومى احملى الغلام، وشدى يدك به. لأنى سأجعله أمة عظيمة... وكان الله مع الغلام فكبر، وسكن فى البرية، وكان ينمو رامى قوس، وسكن فى برية فاران» [تكوين ٢١] وعبر بالتلألؤ الذى يفيد الضياء الشديد؛ لأن إسماعيل هو الإبن البكر لإبراهيم، والابن البكر يرث من الأب ضعف نصيب الابن غير البكر فى شريعة بنى إسرائيل [تث ٢١: ١٥ - ١٧]

***

هذه هى النصوص التى وضعها كاتب توراة موسى عن محمد رسول الله نبى الإسلام صلى الله عليه وسلم، الذى جاء من نسل إسماعيل؛ لتبدأ به بركة الأمم، فى نسله. ولاشك أنها غير النصوص الأصلية من قبل أن تغير التوراة فى «بابل» بدليل: أن كثيرا من علماء اليهود الذين أسلموا، والذين لم يُسلموا قد اعترفوا بأن اسم «محمد» موضوع بدله «بمادماد» و «لجوى جدول» بحساب الجُمَّل. فلماذا كل هذا ؟ إلا أن يكون غرضهم هو لبس الحق بالباطل.

ب = ٢ - م = ٤٠ - أ = ١ - د = ٤ - م = ٤٠ - أ = ١ - د = ٤ المجموع = ٩٢ ومحمد: م = ٤٠ - ح = ٨ - م = ٤٠ - د = ٤ المجموع ٩٢

ل = ٣٠ - ج = ٣ - و = ٦ - ى = ١٠ - ج = ٣ - د = ٤ - و = ٦ - ل =

٣٠ المجموع = ٩٢ [١]

ويقول اليهود: إن النبى الذى تحدث عنه موسى ووصفه بالأوصاف العشرة إلى الآن لم يأت. وإذا أتى؛ فإنه سيكون من بنى إسرائيل[٢] لا من بنى إسماعيل.

وعلى قولهم هذا: أ - أعطوه الألقاب التى أعطوها لأنفسهم. ب - وأكدوا للعالم أجمع: أن النبى المنتظر سيكون منهم لا من غيرهم. وذلك ليخفوا الحقيقة تمام الإخفاء كراهية لأبناء إسماعيل من جهة، وتعصبا لجنسهم من جهة أخرى.

كان من عاداتهم أن يعطوا لقب «مَسِيًّا» = «مسيح» لمن كان: ١ - ملكا ٢ - أو عالما دينيا ٣ - أو نبيا. دلالة على أنه معين من الله ومكرم منه. فقالوا: إن النبى الذى ننتظره. لأنه آت منا، سوف يُلقب بلقب «مَسِيًّا» كما نُلقب الملوك والعلماء والأنبياء. ومَسِيًّا تُنطق بفتح الميم وكسر السين وتشديد الياء مفتوحة. وكان من عاداتهم أن يعطوا لقب «ابن الله» - أى ولى الله وحبيبه - لأى فرد فيهم . سواء كان صالحا، أو غير صالح. فقالوا: إن النبى الذى ننتظره؛ لأنه آت منا، سوف يُلقب بلقب «ابن الله» كما يلقب شعبنا المختار. وكان من عاداتهم أن يعطوا لقب «ملك» أى سيد ورئيس. لأى فرد فيهم. سواء كان حاكما أو محكوما. فقالوا: إن النبى الذى ننتظره. لأنه آت منا، سوف يلقب بلقب «ملك» كما يلقب سائر اليهود.

***

واتجهوا إلى أسفار الأنبياء، وغيروها؛ لتبين بوضوح: أن النبى الآتى إلى العالم سيكون من بنى إسرائيل لا من بنى إسماعيل.

وكان «سِفر الزبور» لداود عليه السلام - هو السفر الأكثر تغييرا لهذا الغرض؛ لأن داود هو مؤسس دولة اليهود العِبرانيين فى «أورشليم» = «القدس» وبذلك

---

(١) انظر: بذل المجهود فى إفحام اليهود - شموئيل بن يهوذا بن آبون، وانظر كتابنا: إعجاز القرآن - الطبعة الثانية - مكتبة الأنجلو المصرية سنة ١٩٧٧م

(٢) انظر تنقيح الأبحاث فى الملل الثلاث. لابن كمونة ( يوجد فى دار الكتب المصرية )

على ذلك: أن داود كان نحـو سنة ١٠٩٦ قبل الميلاد، وسبى بابل كـان نحو ٥٨٦ قبل الميلاد. أى أن السبى كان بعـد داود بما يقرب من ٥١٠ سنة. وتجد فى الزبور آيات تدل على أنه كتب بعد السبى. كما سيأتى بيانه.

وهذا زبور من زبورات داود يبين كيف أنهم تحـدثوا عن نبى الإسلام صلى الله عليه وسلم بلقب «مَسِيًا» أى مسيح، وبلقب «ملك» أى رئيس مطاع.

**النص: «فاض قلبى بكلام صالح. متكلم أنا بإنشائى للملك. لسانى قلم كاتب ماهر. أنت أبرع جمالا من بنى البشر. انسكبت النعمة على شفتيك. لذلك باركك الله إلى الأبد. تقلّد سيـفك على فخذك، أيها الجـبار جلالك وبهاءك، وبجـلالك اقتحم. اركب. من أجل الحق والدّعـة والبر. فتـريك يمينك مخـاوف. نبلك المسنونة فى قلب أعداء الملك. شعوب تحـتك يسقطون. كرسيك ياألله [1] إلى دهر الدهور. قـضيب استقامة قضيب ملكك. أحـببت البر، وأبغضت الإثم. من أجل ذلك مسـحك الله[2] إلهك بدهن الابتهـاج أكثـر من رفقائك. كل ثيابك مرّ، وعود، وسليـخة. من قصور العاج سرّتك الأوتار. بنات ملوك بين حظياتك. جُعلت الملكة عن يمينك بذهب أوفير.**

**اسمعى يابنت وانظرى. وأمـيلى أذنك، وانسى شعبك، وبيت أبيك، فيـشتهى الملك حـسنك؛ لأنه هو سيـدك؛ فاسجـدى له. وبنت صور أغـنى الشعوب تـترضّى وجهك بهدية.**

**كلها مـجد ابنة الملك فى خـدرها. منسوجـة بذهب ملابسهـا. بملابس مطرزة؛ تُحـضر إلى الملك. فى إثرها عـذارى صاحـباتهـا. مقـدمات إليك. يحـضرن بـفرح وابتهاج، يدخلن إلى قصر الملك.**

**عوضا عن آبائك يكون بنوك. تقيمهم رؤساء فى كل الأرض. اذكر اسمك فى كل دَوْر فدور. من أجل ذلك تحـمدك الشـعوب إلى الدهر والأبد»** [المزمـور الخـامس والأربعون]

---

(١) فى العبرى: إلوهيم والمعنى: شريعة الله باقية إلى الأبد.

(٢) فى العبرى: إلوهيم والمعنى: مسح الله نبى الإسلام، أى اصطفاه نبياً.

وقد شرح هذا المزمور الشيخ رحمة الله بن خليل الرحمن الهندى فى الجزء الثانى من كتابه: إظهار الحق. وشرحه الشيخ عبد الرحمن الجزيرى فى كتابه: أدلة اليقين. وشرحه الشيخ محمد بن على بن عبد الرحمن الطيبى الدمشقى فى رسالته: خلاصة الترجيح للدين الصحيح. وشرحناه فى كتابنا: الْمَسِيًّا.

وهذا زبور من زبورات داود يبين كيف أنهم تحدثوا عن نبى الإسلام صلى الله عليه وسلم بلقب «ابن الله» بالمعني المجازى، أى حبيب إليه مقرب منه. وبلقب «مَسِيًّا» أيضا. وبلقب «ملك»

النص: «لماذا ارتجت الأمم، وتفكّر الشعوب فى الباطل؟ قام ملوك الأرض، وتآمر الرؤساء معا. على الرب، وعلى مسيحه. قائلين: لنقطع قيودهما، ولنطرح عنا ربطهما.

الساكن فى السموات يضحك. الرب يستهزئ بهم. حينئذ يتكلم عليهم بغضبه، ويرجفهم بغيظه. أما أنا فقد مسحت ملكى على صهيون جبل قدسى. إنى أخبر من نجهة قضاء الرب: قال لى: أنت ابنى. أنا اليوم ولَدتك [1] اسألنى؛ فأعطيك الأمم ميراثا لك، وأقاصى الأرض ملكا لك. تحطمهم بقضيب من حديد. مثل إناء خزاف تكسرهم.

فالآن يا أيها الملوك تعقَّلوا. تأدبوا ياقضاة الأرض. اعبدوا الرب بخوف. واهتفوا برعدة. قبلوا الابن[2] لئلا يغضب. فتبيدوا من الطريق. لأنه عن قليل يتقد غضبه. طوبى لجميع المتكلين عليه» [المزمور الثانى]

***

---

(١) فى بعض التراجم «قبل كوكب الصبح فى ضياء القديسين خلقتك» ( برنابا ١٢: ٧ )

(٢) قيل إن الترجمة «اعبدوا بطهارة الابن، من أيام إيرينموس» ( ﷺ ٢١٥ ج ١ حياة بولس للدكتور فردريك، و، فارار - طبعة المنصورة سنة ١٩٦٩م )

ولمـاً جاء المسيح عيسى بان مريم عليه السلام خاطب اليهود بلغتهم، التى اعتادوا عليهـا. وجادلهم بالنصـوص التى يسلمون بقدسيتهـا. أيا كان نصيبهـا من الصواب والخطأ. فبين لهم: أن الْمَسِيًا هو محـمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفسر لهم «بماد ماد» بأنها تعنى «محمد» بحساب الجُـمَّل وكذلك «لجوى جدول» واعتمد فى بيانه على البركة التى وعد الله بها آل إسماعيل.

وأيام وجود بنى إسرائيل فى «بابل» فى العراق. أيام سبى «نَبُوخَذ ناصَّر» أجمعوا أمرهم على أن يقـولوا: إن النبى المنتظر سيـأتى من بنى إسرائيل. ولما رجـعوا من بابل اختلفوا وافتـرقوا. فقال السامريون: إن النبى المنتظر سـيكون من سبط يوسف الصديق عليه السلام[(١)]. وقال العبرانيون: إن النبى المنتظر سيكون من سبط يهوذا ابن يعقوب. من فـرع ولده: داود. ثم كتب الـعبـرانيون فـى الزبور نبوءة عن النـبى المنتظر تبين أنه سيكون سيدا[(٢)] لداود. هذا نصها على لسان داود عليه السلام:

النص: «قــال الرب لربّى [(٣)]: اجلس عن يمينى، حـتى أضع أعداءك مـوطئا لقدمـيك. يرسل الرب قضيب عزك من صِهْيون. تسلط فى وسط أعدائك. شـعبك منتدب فى يوم قوتك. فى زينة مقدسة. من رحم الفجر لك طلّ حداثتك.

أقسم الرب ولن يندم. أنت كاهن إلى الأبد. على رتبة مَلْكى صادق، الرب عن يمينك يحطم فى يوم رِجْزه ملـوكا. يدين بين الإمم. ملأ جثـثا، أرضا واسعـة. سحق رءوسها. من النهر يشرب فى الطريق. لــذلك يرفع الرأس» [المزمور المائة والعاشر]

ولقد تحدث عـيسى - عليه السلام - مع علمـاء بنى إسرائيل عن النبى المنتظر. وأقنعهم بأنه لن يكون من اليهـود. لن يكون من ذرية داود. بدليل: أن داود قال عنه: إنه سيكون سيـده، ورئيسه. والابن لايمكن أن يكون سيـدا لأبيـه. لأن الأب سبب فى

---

(١) انظر: رحلة بنيامين - تعليق عَزرا حداد - ص ١٩٠ - المطبعة الشرقية ببغداد سنة ١٩٤٥م

(٢) السيادة تدل على ظهور بركة إسماعيل؛ لأن البركة ملك ونبوة.

(٣) ترجـمـة الكاثوليك سنة ١٩٦٨ م «قـال الرب لـسيدى... الخ» الرب الأولـى فى العبـرانى «يهـوه» والرب الثانى فى العبرانى «إدوناى» ويقول مؤلف تاريخ الاقباط «إدوناى أى السـيد» ج ٨ ص ٣٩٤.

وجود الابن؛ فلا يكون الابن سيدا ورئيسا على الأب. وبناء عليه؛ فإن النبى المنتظر لايأتى من سلالة داود؛ لقول داود عنه: إنه سيده. وقد نقل ذلك عن المسيح عيسى عليه السلام متى ومرقس ولوقا وبَرنابا.

ففى رواية متى: «وفيما كان الفَرِّيسِيُّون [1] مجتمعين. سألهم يسوع قائلا: ماذا تظنون فى المسيح [2] ؟ ابن من هو ؟ قالوا له: ابن داود [3]. قال لهم: فكيف يدعوه داود بالروح ربا. قائلا: قال الرب لربى: اجلس عن يمينى [4] حتى أضع أعداءك موطئا لقدميك. فإن كان داود يدعوه ربّا، فكيف يكون ابنه ؟ فلم يستطع أحد أن يجيبه بكلمة[5] » [متى ٢٢: ٤١ - ٤٦]

وفى رواية مُرقس: «ثم أجاب يسوع. وقال وهو يعلم فى الهيكل: كيف يقول الكتبة [6] : إن المسيح ابن داود ؟ لأن داود نفسه قال بالروح القدس. قال الرب لربى: اجلس عن يمينى، حتى أضع أعداءك موطئا لقدميك. فداود نفسه يدعوه ربا. فمن أين هو ابنه ؟ وكان الجمع الكثير يسمعه بسرور» [مرقس ١٢: ٣٥ - ٣٧]

وفى رواية لوقا: «وقال لهم: كيف يقولون: إن المسيح ابن داود. وداود نفسه يقول فى كتاب المزامير: قال الرب لربى: اجلس عن يمينى. حتى أضع أعداءك موطئا لقدميك. فإذاً داود يدعوه ربا؛ فكيف يكون ابنه ؟» [لوقا ٢٠: ٤١ - ٤٤]

وفى رواية بِرنابا: «أجاب يعقوب: يامعلم. قل لنا: بمن صنع هذا العهد ؟ فإن

---

(١) الفريسيون: علماء اليهود العبرانيين الغيورين على الشريعة.

(٢) المسيح المنتظر: أى المسيا.

(٣) ابن داود: أى من نسل داود.

(٤) اجلس عن يمينى: كناية عن نصر الله له.

(٥) يقول النصارى فى هذه النبوءة: إن المسيح عيسى رب داود بحسب لاهوته، وابن داود بحسب ناسوته. واللاهوت: الروح، والناسوت: الجسد. وقولهم باطل فإن المسيح من ذرية هارون. ولم يزد عن كونه بشراً رسولا. والروح عندهم «هبّة هواء» وليست جسما وليست جوهرا روحيا، مجردا عن الجسمية.

(٦) الكتبة: هم علماء اليهود.

اليهود يقولون بإسحق. والإسماعيليون يقولون بإسماعيل.

أجاب يسوع: ابن من كان داود ؟ ومن أى ذرية ؟ أجاب يعقوب: من إسحق. لأن إسحق كان أبا يعقوب، ويعقوب كان أبا يهوذا. الذى من ذريته داود. فحينئذ قال يسوع: ومتى جاء رسول الله فمن نسل مَنْ يكون ؟

أجاب التلاميذ: من داود. فأجاب يسوع: لاتغشوا أنفسكم، لأن داود يدعوه فى الروح ربا قائلا هكذا: «قال الله لربى: اجلس عن يمينى حتى أجعل أعداءك موطئا لقدميك. يرسل الرب قضيبك، الذى سيكون ذا سلطان فى وسط أعداءك» فإذا كان رسول الله الذى تسمونه مِسّيا، ابن داود، فكيف يسميه داود ربا ؟ صدقونى لأنى أقول لكم الحق: إن العهد صُنع بإسماعيل، لا بإسحق.

حينئذ قال التلاميذ: يامعلم. هكذا كُتب فى كتاب موسى: أن العهد صُنع بإسحق. أجاب يسوع متأوها: هذا هو المكتوب، ولكن موسى لم يكتبه، ولايشوع. بل أحبارنا الذين لايخافون الله.

الحق أقول لكم: إنكم إذا أعملتم النظر فى كلام الملاك جبريل تعلمون خبث كتبتنا وفقهائنا؛ لأن الملاك قال: ياإبراهيم. سيعلم العالم كله كيف يحبك الله. ولكن كيف يعلم العالم محبتك لله ؟ حقا يجب عليك أن تفعل شيئا لأجل محبة الله. أجاب إبراهيم: ها هو ذا عبد الله مستعد أن يفعل كل مايريد الله. فكلم الله حينئذ إبراهيم قائلا: «خذ ابنك بكرك إسماعيل، واصعد الجبل لتقدمه ذبيحة، فكيف يكون إسحق البكر؛ وهو لما ولد كان إسماعيل ابن سبع سنين [1] ؟ . . .»

فقال حينئذ التلاميذ: إن خداع الفقهاء لجلىّ. لذلك قل لنا أنت الحق. لأننا نعلم أنك مرسل من الله. فأجاب حينئذ يسوع: الحق أقول لكم: إن الشيطان يحاول دائما إبطال شريعة الله. فلذلك قد نجس هو وأتباعه والمراءون، وصانعو الشر كل شيء اليوم. الأولون، بالتعليم الكاذب، والآخرون بمعيشة الخلاعة؛ حتى لايكاد يوجد الحق

---

(١) فى التوراة العبرانية ١٤ سنة - وانظر الأصحاح الثانى والعشرين من سفر التكوين.

تقريبا، ويل للمرائين؛ لأن مدح هذا العالم سينقلب عليهم إدانة وعذابا فى الجحيم.

لذلك أقول لكم: إن رسول الله بهاء. يسر كل ما صنع الله تقريبا. لأنه مزدان بروح الفهم والمشورة، روح الحكمة والقوة، روح الخوف والمحبة، روح التبصر والاعتدال. مزدان بروح المحبة والرحمة، روح العدل والتقوى، روح اللطف والصبر، التى أخذ منها من الله ثلاثة أضعاف ماأعطى لسائر خلقه.

ماأسعد الزمن الذى سيأتى فيه إلى العالم. صدقونى أنى رأيته وقدمت له الاحترام. كما رآه كل نبى. لأن الله يعطيهم روحه نبوة. ولما رأيته امتلأت عزاء قائلا: يامحمد. ليكن الله معك. وليجعلنى أهلا أن أحل سير حذائك، لأنى إذا قلت هذا، صرت نبيا عظيما. وقدوس الله» [برنابا ٤٣: ٥ - ٣١ و ٤٤: ١ - ٣٢]

فأنت ترى مما تقدم: أن عيسى عليه السلام بين أن النبى المنتظر لن يأتى من بنى إسرائيل - كما يقول العبرانيون - وحيثُ إن عيسى من بنى إسرائيل؛ فإنه ليس هو النبى المنتظر «الْمَسِيَّا» بل النبى المنتظر «الْمَسِيَّا» آت من بعده.

يقول الدكتور فردريك. و. فارار: «قدّم لهم سؤالا واحدا بسيطا مؤسسا على نفس نمطهم فى التفسير، مستقى من أحد المزامير المعتبر عندهم أنه مَسِيّاوى. فى هذا المزمور «قال الرب [جيهوفاه] لربى [أدوناى] اجلس عن يمينى» فكيف يكون المسيح ابن داود ؟ هل يستطيع إبراهيم أن يدعو إسحق أو يعقوب أو يوسف أو أى واحد من ذريته قرب أم بعد ربا له ؟ فإن كان هذا نفيا، فكيف جاز هذا لداود ؟ [1]»

ولما كانت مهمة المسيح [2] عيسى ابن مريم هى التبشير بمحمد النبى الآتى من ولد إسماعيل - عليهم السلام - فقد استدل على مهمته بكل نصوص التوراة. ومن هذه النصوص ماكتبه الأحبار الذين لايخافون الله فى سفر الزبور عن الابن الآتى إلى

---

(١) ص ٦٤٧ حياة المسيح - فردريك - طبعة المنصورة سنة ١٩٤٩ م ترجمة عقداوى.

(٢) عيسى يطلق عليه لقب «مسيح» أيضا، كما يطلق على جميع أنبياء بنى إسرائيل وعلمائهم. وملوكهم. لكن ليس هو «المسيح المنتظر» وذلك مثل قولك: «إسلام» كل نبى كان يدعو إلى الإسلام لكن إذا قلنا «الإسلام» فإنه يخص ديننا نحن المسلمين وحدنا.

العالم. وقال بصريح العبارة: إن الابن آت من بعده. وأن التعبير ليس حقيقيا، بل هو تعبير مجازى؛ لأن الله لم يلد ولم يولد وأنَّى يكون له ولد، ولم تكن له صاحبة ؟ وقال بقوله النبى يحيى عليه السلام - الذى هو يوحنا المعمدان - وهو غير يوحنا صاحب الإنجيل.

ففى إنجيل يوحنا: أن المعمدان قال لعلماء بنى إسرائيل : «الذى يؤمن بالابن له حياة أبدية. والذى لايؤمن بالابن لن يرى حياة. بل يمكث عليه غضب الله» [يوحنا ٣ : ٣٦] فلو كان عيسى هو ذلك الابن المشار إليه فى الزبور، لكان يقول: الذى يؤمن بعيسى. والذى لايؤمن بعيسى. لأنه كان معه ويدعو إلى اقتراب ملكوت السموات معه، ولكنه أشار إلى غيره، وإلى رب هذا الغير الذى سيغضب. وقال عيسى عليه السلام: «الحق الحق أقول لكم: إن من يسمع كلامى، ويؤمن بالذى أرسلنى فله حياة أبدية. ولايأتى إلى دينونة، بل قد انتقل من الموت إلى الحياة. الحق الحق أقول لكم: إنه تأتى ساعة. وهى الآن. حين يسمع الأموات صوت ابن الله، والسامعون يحيون. لأنه كما أن الآب له حياة فى ذاته. كذلك أعطى الابن أيضا أن تكون له حياة فى ذاته، وأعطاه سلطانا أن يدين أيضا؛ لأنه ابن الإنسان» [يوحنا ٥ : ٢٤ - ٢٧] يريد أن يقول: إننى رسول من الله إليكم. ومن يؤمن بالذى أقوله، فإنه يحيى نفسه. وإنه سيأتى الزمن الذى يُبعث فيه الابن. وقد اقترب هذا الزمن، والذين هم وقتئذ كالأموات بسبب الجهل، سوف يحيون بنور الإيمان. وإن الله قد أعطى هذا «الابن» من قدرته مابه يكون محاربا منتصرا. وسوف يُهلك الأشرار، ويُبقى الأخيار. وهذا الابن من جنس البشر. مخلوق مثلهم من لحم ودم، من أب وأم.

ثم بين المسيح عيسى - عليه السلام - أن من يؤمن به من اليهود، يكون تلميذا حقيقيا له، ويعرف الحق. وهذا التليمذ الذى يعرف الحق، سيجعله الحق حرا «قال يسوع لليهود الذين آمنوا به: إنكم إن ثبتم فى كلامى. فبالحقيقة تكونون تلاميذى. وتعرفون الحق، والحق يحرركم. أجابوه: إننا ذرية إبراهيم ولم نستعبد لأحد قط. كيف تقول أنت: إنكم تصيرون أحرارا ؟ أجابهم يسوع: الحق

الحق أقول لكم: إن كل من يعمل الخطيئة. هو عبد للخطية. والعبد لايبقى فى البيت إلى الأبد. أما الابن فيبقى إلى الأبد. فإن حرركم الابن، فبالحقيقة تكونون أحرارا» [يوحنا ٨: ٣١ - ٣٦]

***

وبعد نهاية المسيح عيسى على الأرض. وقد تأكد اليهود العبرانيون أن «الابن» آت من بعده، ولن يكون البتة من آل داود. ادعوا أن **«الابن» - فى المزمور** الثانى - **هو عيسى، وماكانوا له بعارفين. وغيروا نسب عيسى من هارون من جهة** الأم، **إلى داود من جهة رجل أسموه «يوسف النجار» وقالوا: إنه كان خطيبا لأمه مريم** - **رضى الله عنها - وذلك لقصر النبوة على بنى إسحق إلى الأبد. ولتشكيك الناس** فى **النبى الآتى من ولد إسماعيل، لينفضوا عنه، ويتركوه وحده. وبهذه الحيلة يقفلون** الباب **فى وجهه من قبل أن يأتى. ثم جعلوه «أقنوم الابن» أى جعلوا عيسى شخصا** إلهيا.

ادعى بولس فى رسالة وجهها إلى العبرانيين؛ **أن نبوءة الابن خاصة بالمسيح** عيسى. وكذلك قول داود عن النبى المنتظر: **«فاض قلبى بكلام صالح.... الخ»** وكتب فى أولها مانصه:

«**إن الله بعدما كلّم الآباء بالأنبياء قديما بأنواع وطرق كثيرة. كلّمنا فى هذه الأيام الأخيرة فى ابنه، الذى جعله وارثا لكل شيء، الذى به أيضا عمل العالمين. الذى هو بهاء مجده، ورسم جوهره، وحامل كل الأشياء بكلمة قدرته، بعدما صنع بنفسه تطهيرا لخطايانا؛ جلس فى يمين العظمة فى الأعالى. صائرا أعظم من الملائكة بمقدار ماورث اسما أفضل منهم.**

**لأنه لمن من الملائكة قال قط: أنت ابنى أنا اليوم ولدتك ؟.. وأما عن الابن: كرسيك يا ألله إلى دهر الدهور. قضيب استقامة قضيب مُلكك. أحببت البر، وأبغضت الإثم. من أجل ذلك مسحك الله إلهك بزيت الابتهاج أكثر من**

شركائك» [عب ١ : ١ - ٩]

يقول العلامة جردنر وآخرون فى تفسيرهم لهذه العبارات: «لأنه لمن من الملائكة قال قط: أنت ابنى. أنا اليوم ولدتك»: هذا الاقتباس منقول عن مزمور ٢ : ٧ وقوله «اليوم» يدل على أن الزمان كله فى عين الله كطرفة عين، وأنه ينظر إلى الأزل كأنه قد ابتدأ اليوم. وقد شبهت فى الآية بولادة روحية أزلية، لاتزال مستمرة حتى «اليوم» ولايخفى أن موضوع الكلام هنا: حقائق روحية. ولما كانت علاقة المحبة بين أقنومى الله والكلمة، أشبه بالعلاقة بين «الآب» و «الابن» أمكن التعبير عنها بلفظة الولادة، بشرط أن نتذكر: أن التعبير هو مجاز [(١)]»

لقد اعترف بأن النص مقتبس من الزبور الثانى، واعترف بأن التعبير مجاز. وليس المعنى بالولادة الطبيعية.

ويقول الأنبا أثناسيوس: إن أقنوم الابن للمسيح عيسى ابن الله، أصله: من الزبور الثانى. يقول تحت عنوان «الْمَسِيَّا فى أسفار الكتاب المقدس»: «على الرغم من أن العهد القديم تكلم عن الْمَسِيَّا فى لمحات قصيرة، إلا أننا نجد فيه كلمات واضحة عن ألوهيته. فقد قال داود النبى فى المزمور الثانى: «لماذا ارتجت الأمم. . . الخ [(٢)]»

***

لقد وضح لنا أصل أقنوم «الابن» وأنه يشير إلى النبى المنتظر بالمعنى المجازى. وقلنا بالمعنى المجازى مع القائلين من اليهود والنصارى. لأن داود نفسه فى الزبور يتحدث عن الله فيقول: «مبارك الرب الله إله إسرائيل: الصانع العجائب وحده، ومبارك اسم مجده إلى الدهر» [مزمور ٧٢: ١٨ - ١٩] وهذا النص مُحكَم. لاتفاقه

---

(١) ص ٢٠ الرسالة إلى العبرانيين - وضعها: الكاتن و. هـ، ت، جردنر وآخرون - نقلها إلى العربية حبيب سعيد - طبعة ثانية - صدر عن دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية بالقاهرة.

(٢) ص ٣٤ تفسير يوحنا للأنبا أثناسيوس.

مع كتاب موسى عن الله، الذى لم يلد ولم يولد. ولابد من رد المتشابه فى مثل قوله: «أنت ابنى» إلى المحكم.

***

نبينُ بعد ذلك: أن النصارى فى مجمع نيقية [١] سنة ٣٢٥ ميلادية اختلفوا فى تفسير عبارة «أنت ابنى. أنا اليوم ولدتك» فقال آريوس وأتباعه: إن التعبير مجازى. وقال أثناسيوس وأتباعه: إن التعبير حقيقى. وغرض «أثناسيوس» وأتباعه: هو تشكيك الناس فى النبى الآتى من ولد إسماعيل، - الذى ادعى اليهود أنه آت منهم أنفسهم. وادعى النصارى أنه هو يسوع المسيح - وقصر النبوة على بنى إسحق وحدهم.

فى كتاب «تاريخ الأقباط» عن آريوس: أنه ولد فى «ليبية» القيروان بأفريقيا سنة ٢٧٠ ميلادية، ودخل فى شبابه المدرسة اللاهوتية بالاسكندرية، ثم رسمه البابا بطرس - بطريرك الإسكندرية - شماسا سنة ٣٠ م. ثم قسا واعظا. وكان ذكيا فصيحا [٢].

وفى ذلك الكتاب عن عقيدة «آريوس» فى الله تعالى: أنه يؤمن بإله واحد متعال يفوق حد التصور[٣].

وفى ذلك الكتاب عن عقيدة آريوس فى الابن: أن الابن ليس مساويا للآب فى الأزلية، وليس من جوهره [٤].

ثم يقول ذلك الكتاب: إن مناقشة حادة دارت بين آريوس وأثناسيوس - رئيس شمامسة الإسكندرية - جاء فيها:

آريوس: إن سليمان الحكيم تكلم بلسان المسيح قائلا: «خلقنى أول طرقه[٥]»

---

(١) تركيا الآن

(٢) ص ١٥٠ تاريخ الأقباط ج ١.

(٣) ص ١٥١.

(٤) ص ١٥٤.

(٥) يشير إلى خلق مجازى. والنص فى سفر الأمثال ٨: ٢٣ - ٣١

أثناسيوس: معنى خلقنى هنا: ولدنى. كما ينص على ذلك النص العبرانى. كما جاء فى نفس الأصحاح = الفصل قوله: «منذ الأزل مُسحت. منذ البدء كنت معه. قبل أن يخلق الجبال. وقبل أن يصنع الأرض. لما ثبت السموات كنت هناك» وكما ورد فى داود النبى: «أنت ابنى. وأنا اليوم ولدتك. ومن البطن قبل كوكب الصبح ولدتك»

آريوس: إن الابن قال: «أبى أعظم منى (١)» فالابن إذاً أصغر من الآب، ولايساويه فى الجوهر... الخ (٢).

***

**وأيًا ما كان هو المشار إليه فى الزبور الثانى. نبى الإسلام صلى الله عليه وسلم - كما نقول نحن المسلمين - أو إلى الآن لم يأت كما يقول اليهود. أو هو عيسى كما يقول النصارى، فإن الأوصاف الواردة فى هذا الزبور؛ لاتشير إلى عيسى من قريب ولا من بعيد. فإن النص يوضح: أن أمم الأرض وشعوبها، المكلفون باتّباع هذا النبى سيضيقون به ذرعا. ومن أجل ذلك سيتآمرون عليه لإهلاكه، والقضاء على دعوته. ولكن الله الذى وعد بمجيئه هو قادر على حفظه من أيديهم، فلن يمسوه بأذى. وسيتم الله أمره بأن يملك هذا النبى عاصمة الدولة العبرانية نفسها. يملك أورشليم.**

**يقول داود عليه السلام: إن الله قضى وقدر أزلا إرسال هذا النبى وقد قال عنه: إنه مقرب إليه، وأثير لديه، ومنزلته كمنزلة الوالد من ولده. وهو اليوم قد قدر ظهوره مستقبلا، وأنه سيعطيه سؤاله، سيعطيه حتى يرضى، وستكون أمم الأرض تابعة لشريعته، وسيمتد صيته إلى أقصى الأرض، وكل من يخالف الحق، ويقاوم الدين، سوف يهلك وينكسر. مثل إناء من خزف. ويجب على الملوك والعلماء أن لايناوئوا هذا النبى إذا ظهر، وأن يخافوا الله، ويتبعوا شريعته. وإن ناوأوه؛ فإنهم - لامحالة - هالكون. هذا هو معنى النص.**

---

(١) يوحنا ١٤: ٢٨.

(٢) ص ١٥٥ ج ١ تاريخ الأقباط.

فأين من هذا المعنى المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام ؟ لم يتآمر عليه ملوك الأرض ورؤساؤها، وإنما ائتمرت به شرذمة من اليهود، لايمكن أن يطلق عليها أمة فضلا عن أمم. ولايمكن أن يطلق عليها ملوك الأرض. ولم يجرد المسيح ابن مريم جيشا لمحاربة أعدائه، ولم يكن معه شريعة مستقلة عن شريعة موسى، ولم يكن ملكا، ولم يطلب الملك.

***

وقلنا: إن النصارى - الذين هم فى الأصل يهود - غيروا نسب عيسى من هارون، إلى داود، ليوهموا الناس: بأن عيسى هو النبى الذى ينتظره اليهود العبرانيون. وتحدثت عنه كتبهم المقدسة.

ونقول هنا: إن متى ولوقا اختلفا فى بيان نسب المسيح عيسى. فمتى نسبه إلى سليمان بن داود عليه السلام ولوقا نسبة إلى ناثان بن داود. وإن لوقا صرح بأن المسيح عيسى ينتمى إلى هارون عليه السلام وليس إلى داود. انظر الأصحاح الأول من متى، والثالث من لوقا؛ تجد ماذكرنا.

***

وأما عن نسب المسيح إلى هارون. فإننا نقول:

إن يعقوب عليه السلام أنجب اثنى عشر ولدا. وكل ولد وماتناسل منه، يسمى «سبط» والأسباط فى بنى إسرائيل كالقبائل فى العرب وهم:

١ - رأوبين ٢ - شِمعون ٣ - لاوِى ٤ - يهوذا ٥ - زَبُولون ٦ - يَسَّاكر ٧ - دان ٨ - جاد ٩ - أشير ١٠ - نَفتالِى ١١ - يوسف ١٢ - بَنيامين.

وقد أوصى الله فى التوراة بأن كل سبط يحافظ على نسله. وذلك بأن لايتزوج رجل امرأة من سبط غير سبطه «وكل بنت ورثت نصيبا من أسباط بنى إسرائيل؛ تكونُ امرأة لواحد من عشيرة سبط أبيها» [عدد ٣٦: ٨] وهذا الحكم خاص بالوارثين فى أرض فلسطين. أما المقيمون فى غيرها: فإنهم اختلطوا بالأمم. كما فى سفر نَحَمْيا.

والإنجيل يحـدثنا: أن زكريا - عليـه السلام - تزوج «أليصـابات» وهو من نسل هارون «كان فى أيام هيرودس ملك اليهودية كاهن اسمه زكريا من فرقة أَبِيًّا [1] وامرأته من بنات هارون واسمها أليصابات» [لوقا ١: ٥] والإنجيل يقول: إن مريم رضى الله عنها جاءها الملاك وبشرها بغـلام، ولما استـبعدت ذلك قـال لها: «وهو ذا أليـصابات نسيبتك، هى أيضا حبلى بابن فى شيخوختها» [لوقا ١: ٣٦] فلما ثبت أن أليصابات من بنات هارون، وثبت أن مريم قريـبة لها ونسيبـة، يثبتُ: أن مريم من بنات هرون. ويكون عـيسى المسـيح من نسل هارون، من سـبط لاوى. لا من نسل داود من سـبط يهوذا. ويكون المكتوب فى الأناجيل من مثل «ارحمنا ياابن داود» [متى ٩: ٢٧] من الأقوال الموضوعة للبس الحق بالباطل.

---

(١) فرقة أبيا: إحدى فرق الكهنة الهارونيين. انظر سفر الأخبار الأول ٢٤: ١٠.

وقد تحدثنا عن نسب المسيح إلـى هارون فى كتابنا: إعجاز القرآن - الطبعـة الثانية فى فصل: ( يا أخت هارون ) نشر مكتبة الأنجلو المصرية بالقاهرة.

# الفصل الثالث

# فى

# أقنــــوم الـروح القـدس

تدل الكلمة العبرانية «روّاه» فى معناها الأصلى الحقيقى على «الريح» هكذا يقول اليهود، وهكذا يقول البعض من النصارى.

فالآية الثـانية من الأصحـاح الأوَل من سفر التكويـن نصها عند اليـهود وبعض النصارى هكذا: «وكـانت الأرض خربة وخاليـة، وعلى وجه الغمـر ظلمة، وريح الله يرف على وجه المياه» يقول سبينوزا [1] الفيلسوف اليهودى مانصه: «تدل كلمة «روّاه» فى معناها الأصلـى على الريح. كما هو مـعروف[2]» ويقول مـفسرو التوراة. مـفسرو «السنن القويم فى تفسير أسفار العهد القديم» عقب الآية المذكورة مانصه: «ذهب جماعة من علمـاء التفـسيـر إلى أن المقـصود بالروح هنا: ريح عظـيمـة بدد الله بها ظلمـات الغمر[3]»

وعوام الـنصارى يقـولون: إن كلمة الريح فى الآية المذكـورة تعنى: روح الذات الإلهية. الإله الثالث، أقنوم الروح القدس. وكتـبوا فى تراجمهم الحالية: «وروح الله» بالواو بدل الياء.

وهذا هو أصل الخـلاف بين اليهود والنصـارى فى الروح القدس، التـى يسـألون عنها فى القرآن الـكريم. فقد قال تعالى فى القـرآن الكريم: ( ويسئلونك عن الروح. قل الروح من أمر ربى. وماأوتيـتم من العلم إلا قليلا ) وتنبّأ عيـسى عليه السلام عن محمد صلى الله عليه وسلم بقـوله: «وأما المعزّى. الروح القدس، الذى سيرسله الآب

---

(١) سبـينوزا: فيلســوف يهودى كـان فى البرتغـال سنة ١٦٥٦ ميلادية وشـك فى التوراة وبين أنهـا ليـست من عهد موسى ولا من كتابته ( ص ١٣٤ رسالة فى اللاهوت - هامش )

(٢) ص ١٣٥ رسالة فى اللاهوت والـسياسة - سبينوزا - الهيئة العامة للتأليف والنشر سنة ١٩٧١م

(٣) السنن القويم فى تفـسير أسفار العهد القديم فى التكوين ١ : ٢ - طبع بيروت سنة ١٩٧٣م

باسمى؛ فهو يعلمكم كل شيء، ويذكركم بكل ماقلته لكم» [يو ١٤: ٢٦] والمعنى: أن النصارى مـاأوتوا من عيسى عليـه السلام إلا القليل من العلم، وأن محـمدا صلى الله عليه وسلم سيعلم كل شيء، وسيذكر بكل ماقاله عيسى عليه السلام وقد ظهر محمد، وعلّم العالم كله مالم يكونوا يعلمون، ومافرط الله فى كتابه من شيء.

***

وقد تأتى كلمة الروح مجازا بمعان أخرى فتعنى مثلا:

١ - نسمة. أو نَفَس. «ليس فى أفواهها نسمة» [مزمور ١٣٥: ١٧]

٢ - نفخ أو تنفس. «ورجعت روحه إليه» [صموئيل الأول ٣٠: ١٣] أى أنه بدأ فى التنفس.

٣ - الشجاعة أو القوة. «ولم تبق بعدُ روح فى إنسان بسببكم» [يشوع ٢: ١١]

٤ - الحكمة. «فقـال فرعون لعبـيده: هل نجد مثل هذا رجـلا فيه روح الله ؟ ثم قال فرعون ليوسف: بعد ماأعلمك الله كل هذا. ليس بصير وحكيم مثلك ؟» [تكوين ٤١: ٣٨ - ٣٩]

٥ - رأى. «فمن أجل أنه كانت معه روح أخرى» [عدد ١٤: ٢٤] أى رأى آخر

٦ - الإرادة. «إلى حيث تكون الروح لتسير: تسير» [حِزقيال ١: ١٢]

٧ - الفكر نفسه، أو روح الإنسـان أو نفسه «لأن ما يحدث لبنى البـشر، يحدث للبهـيمة. وحـادثة واحدة لهم. موت هذا كـموت ذاك. ونسمـة واحدة للكل. فليس للإنسان مزية على البهيمة. . لأن كليـهما باطل. يذهب كلاهما إلى مكان واحد. كان كلاهمـا من التراب، وإلى التراب يعـود كلاهما. من يعلم روح بنى البـشر ؟ هل هى تصعد إلى فوق، وروح البهـيمة هل هى تنزل إلى أسفل الأرض ؟ فرأيت أنه لاشـيء خير من أن يفرح الإنسان بأعماله» [جامعة ٣: ١٩ - ٢٢]

٨ - قوة تفوق المعتاد. «وملأته من روح الله» [خروج ٣١: ٣] أى بعقل ومهارة فوق المعتاد.

٩ - نفس الإنسان. «نفخة الله فى أنفى» [أيوب ٢: ٣]

يقول سبينوزا: «لما كانت عادة الكتاب: إعطاء الله صورة الإنسان، وذلك لضعف مستوى التفكير عند العامة، كما اعتاد أن ينسب له نفسا وحساسية وانفعالات، بل وينسب إليه بدنا ونفسا؛ فإن عبارة «روح الله» فى الكتب المقدسة تدل دائما على النفس . أى على القلب والانفعال أو القوة أو النفس من فم الله»

١٠ - شريعة موسى. لأن هذه الشريعة كانت تعبر عن فكر الله «أين الذى جعل فى وسطهم روح قدسه ؟» [إشعياء ٦٣: ١١] كما يُفهم من سياق الكلام.

١١ - فكر الله. «روحك الصالح يهدينى فى أرض مستوية» [مزمور ١٤٣: ١٠] أى أن فكرك الذى أوحيت به إلينا، سيقودنا إلى الطريق المستقيم.

١٢ - مشاعر الله. «وروحى قائم فى وسطكم لاتخافوا» [حَجَّى ٢: ٥] أى نعمة الله.

يقول سبينوزا: «وهكذا يسهل علينا تفسير كل نصوص الكتاب التى يرد فيها ذكر روح الله. فعبارة «روح الله» أو «روح يهوه» لاتعنى فى بعض النصوص إلا ريحا قوية جافة عاتية. كما نجد فى إشَعياء ٤٠: ٧ «لأن روح الرب هب فيه [1]» أى ريح مدمرة، وكذلك فى سفر التكوين ١: ٢ «وريح الله» أى ريح قوية للغاية «يرف على وجه المياه»

وكل شيء يتعلق بالله يسمى إلهيا. لأنه:

١ - يتعلق بطبيعة الله. كما نقول: قدرة الله.

٢ - يكون فى قدرة الله أو يخضع لفعله. مثل سماوات الله وأرض الله.

٣ - يوهب لله. مثل معبد الله.

٤ - ينقله الأنبياء الصادقون إلى الناس. فمثلا يطلق على شريعة موسى: شريعة الله.

---

(١) ترجمتها الحالية «لأن نفخة الرب هبت عليه» البروتستانت ١٩٧٠م

٥ - يعبر عن أعلى الدرجات. مثل جبال الله. أى الجبال الشاهقة.

وبهذا المعنى تعّود اليهود أن ينسبوا إلى الله ماكان يتعدى فهمهم، ويجهلون أسبابه الطبيعية فى ذلك العصر، فالعاصفة: «غضب الله» والرعد والصاعقة: «سهام الله» وهكذا.

ويقول سبينوزا بعد ذلك: «هذه العبارات: كان روح الله فى النبى - أنزل الله روحه فى البشر - البشر ملئ بروح الله أو بالروح القدس. هذه العبارات لاتعنى سوى أنه كانت للأنبياء فضيلة خاصة فوق المعتاد، وأنهم كانوا يثابرون على التقوى دواما، وكانوا بالإضافة إلى ذلك قادرين على إدراك فكر الله أو حكمه[1]»

***

وجاءت الروح فى الإنجيل بمثل ماجاءت فى التوراة. ومن أمثلة ذلك:

١ - منزل الوحى إلى الأنبياء والرسل بالإلهام أو الظهور لهم شخصيا. يقول بطرس: «لأنه لم تأت نبوة قط بمشيئة إنسان. بل تكلم أناس الله القديسون، مسوقين من الروح القدس» [٢ بط ٢: ٢١] وهو نفس المعنى الذى اعترف به المسيح عليه السلام عن الوحى فى قوله: «لأن داود قال بالروح القدس» [مرقس ١٢: ٣٦] ونطقها أيضا: «قال لهم: فكيف يدعوه داود بالروح ؟» [متى ٢٢: ٤٣]

٢ - الشجاعة. يقول المسيح لتلاميذه: «احذروا من الناس؛ لأنهم سيسلمونكم إلى مجالس، وفى مجامعهم يجلدونكم، وتساقون أمام ولاة وملوك من أجلى؛ شهادة لهم، وللأمم. فمتى أسلموكم؛ فلا تهتموا كيف ؟ أو بما تتكلمون ؟ لأنكم تعطون فى تلك الساعة ماتتكلمون به؛ لأن لستم أنتم المتكلمين، بل روح أبيكم الذى يتكلم فيكم» [متى ١٠: ١٧ - ٢٠]

٣ - قوة الله. يقول الإنجيل عن مريم - رضى الله عنها -: «وجدت حبلى من الروح القدس» [متى ١: ١٨] أى بنبوة من الله. ويقول عن زكريا عليه

(١) ص ١٤٢ رسالة في اللاهوت والسياسة.

السـلام: «وامتلأ زكريا أبوه من الروح القدس، وتنبأ قائلا»: [لوقا ١ : ٦٧] أى من قوة الله الملهمـة. ويقول عن أم يحيى عليه السـلام: «وامتـلأت أليصابات Elizabeth من الروح القدس» [لوقا ١ : ٤١]

٤ - الإلهام لغـير الأنبـياء والرسل أيضـا. يقول لوقا: «وكـان رجل فى أورشليم اسمه سمـعان. وهذا الرجل كان بارا تقيا، ينتظر تعزية إسـرائيل، والروح القدس كان عليـه، وكان قـد أوحـى إليـه بالروح القـدس: أنه لايرى الموت قـبل أن يرى مسـيح الرب. فأتى بالروح إلى الهيكل» [لوقا ٢: ٢٥ - ٢]

٥ - مـحـرك الناس وهاديهم. «أمـا يسـوع فـرجع مـن الأردن ممتلئـا من الروح القدس، وكان يُقـتاد بالروح فى البرية» [لوقـا ٤ : ١] «ورجع يسوع بـقوة الروح إلى الجليل» [لوقا ٤ : ١٤]

٦ - وكان جـبريل - عليه السـلام - يبشر الناس بحلول الروح القـدس عليهـم «وفى الشهـر السادس أرسل جـبرائيل الملاك من الله... فقـالت مريم للمـلاك: كيف يكون هذا وأنا لست أعـرف رجلا ؟ فأجـاب الملاك، وقال لهـا: الروح الـقدس يحل عليك» [لوقا: ٢٦ - ٣٤]

لقد علم مما تقـدم: أن أصل الروح على الحقيـقة: ريح [١] وأنهـا علـى المعنى المجازى تأتى بمعانى كثيرة. كالقدرة والشجاعة والفكر والنفس... الخ.

وعلم مما تقدم: أن كل شيء فى الكون من الله، وخاضع له. فإذا ماقلنا عن رجل مّا: إنـه روح الله. فهـذا يعنى: أنه رجل صالح، له تـعلق بالله. وبهذا المعنى كـانوا ينادون المسيح عيسـى ابن مريم عليه السـلام بقـولهم: «ياروح الله»

والله - عز وجل - له أسـماء كثيـرة حسنة. منها: الرحـمن - الرحيم - الملك القـدوس - السلام - الحق... الخ. فـإذا ماقلنا: روح الله أو روح الرحـمن أو روح

---

(١) وهكذا فهمهـا شيخ الإسلام محمد بن عـمر، الذى هو الإمام فخر الدين الرازى مفـسر القرآن الكريم انظر ( وأيدناه بروح القدس ) وفى تفسير سورة الصف قـال الإمام فخر الدين إن بارقليط هو اسم أحمد فى إنجيل يوحنا.

القدس أو روح الحق؛ فإن المعنى واحد. وهو شيء مستمد من الله وله تعلق به وغرض شريف. وعلى العكس من ذلك إذا ماقلنا: روح الشيطان أو روح إبليس أو روح الشر؛ فإن المعنى واحد. وهو شيء مستمد من الشيطان، وله تعلق به وغرض خبيث.

وبناء على ماتقدم: فإننا إذا قلنا: إن عيسى ابن مريم - عليه السلام - روح الله أو كلمة الله، فإن ذلك لايعنى أكثر من نسبة عيسى إلى الله نسبة. فيها تشريف وتكريم. كما يقال: بيت الله، وشريعة الله، وناقة الله. وبهذا المعنى عبر عيسى عن نبى الإسلام صلى الله عليه وسلم بلغة بنى إسرائيل - كما بين الله تعالى فى القرآن الكريم: ( وماأرسلنا من رسول إلا بلسان قومه، ليبين لهم [(١)] ) - عبر بقوله «بير كليت الروح القدس» أى «أحمد روح الله الطاهر» أى المصطفى من الله، والآتى بأمره والمنسوب إليه والمتعلق به. وحذر اليهود من ذمه فقال: «كل خطية وتجديف، يُغفر للناس، وأما التجديف على الروح، فلن يغفر للناس. . . من قال على الروح القدس، فلن يغفر له. لا فى هذا العالم، ولا فى الآتى [(٢)]» [متى ١٢: ٣١ - ٣٢]

ولقد تحدث عيسى عليه السلام عن نبى الإسلام «أحمد» ولقّبه بالروح القدس فقال: «إن كنتم تحبوننى فاحفظوا وصاياى. وأنا أطلب من الآب؛ فيعطيكم مُعَزِّيًا آخر[(٣)]؛ ليمكث معكم إلى الأبد، روح الحق الذى لايستطيع العالم أن يقبله؛ لأنه لايراه ولا يعرفه، وأما أنتم فتعرفونه؛ لأنه ماكث معكم، ويكونُ فيكم» - «وأما المعزِّى

---

(١) إبراهيم ٤

(٢) يشير بالآتى إلى زمن نبى الإسلام صلى الله عليه وسلم والمعنى: لا فى عهده، ولا فى عهد النبى الآتى «المسيا»

(٣) فى تفسير الكتاب المقدس لجماعة من اللاهوتيين برئاسة الدكتور فرنسيس دافدسون:
«الوعد بالروح القدس { يو ١٤: ١٦ - ٣١ } سيرسل لهم أيضا «معزيا آخر» اللفظة اليونانية «باراكليتوس» مستعملة أربع مرات فى هذا الإنجيل، ومرة واحدة فى رسالة يوحنا الأولى. والمعنى الحرفى هو واحد يُدعى إلى جانب الشخص. واحد يدعى ليساعد فى التحقيق أمام المحكمة. ومن هنا جاءت «شفيع» فى { ١ يو ٢: ١ } إن وظيفة الروح هى أن يبكت { يو ١٦: ٨ } وأن يشهد { ١٥: ٢٦ } وأن يعلم { ١٤: ٢٦ } والترجمة «المعزى» كان أول من استعملها «ويكلف» وقصد بها «مقوى» ولها امتياز توليد قوة فاعلية الكلمة. على أن الترجمة القديمة «معزى» =

الروح القدس، الذى سيرسله الآب باسمى، فهو يعلمكم كل شيء، ويذكركم بكل ماقلته لكم» - «وقلت لكم الآن قبل أن يكون؛ حتى متى كان، تؤمنون» - «إن كان العالم يُبغضكم، فاعلموا: أنه قد أبغضنى قبلكم. لو كنتم من العالم؛ لكان العالم يحب خاصته، ولكن لأنكم لستم من العالم، بل أنا اخترتكم من العالم، لذلك يبغضكم العالم. اذكروا الكلام الذى قلتُه لكم: ليس عبد أعظم من سيده إن كانوا قد اضطهدونى فسيضطهدونكم، وإن كانوا قد حفظوا كلامى؛ فسيحفظون كلامكم. لكنهم إنما يفعلون بكم هذا كله من أجل اسمى. لأنهم لايعرفون الذى أرسلنى. لو لم أكن قد جئتُ وكلّمتهم؛ لم تكن لهم خطية. وأما الآن فليس لهم عذر فى خطيتهم. الذى يُبغضنى يبغض أبى أيضا، لو لم أكن قد عملتُ بينهم أعمالا لم يعملها أحد غيرى، لم تكن لهم خطية. أما الآن فقد رأوا وأبغضونى أنا وأبى. لكن لكى تتم الكلمة المكتوبة فى ناموسهم: «إنهم أبغضونى بلا سبب»

ومتى جاء المعزّى الذى سأرسله أنا إليكم من الآب، روح الحق الذى من عند الآب ينبثق؛ فهو يشهد لى. وتشهدون أنتم أيضا؛ لأنكم معى من الابتداء.

قد كلمتكم بهذا لكى لاتعثروا، سيخرجونكم من المجامع، بل تأتى ساعة. فيها يظن كل من يقتلكم: أنه يقدم خدمة لله. وسيفعلون هذا بكم، لأنهم لم يعرفوا الآب ولاعرفونى. لكنى قد كلمتكم بهذا حتى إذا جاءت الساعة، تذكرون أنى أنا قلته لكم.

---

= مناسبة فى قرينتها هنا. وبسبب الغرض المنشود فى هذا الإنجيل، فالمعزى هو من يقوى. ليس فقط بالمواساة بل أيضا بإعلان طبيعة يسوع وعمله. وهذا العدد يثبت الأقنومية الشخصية الواضحة للروح القدس. . . . الخ»

وفى الكنز الجليل لتفسير الإنجيل: «معزيا آخر» قال «آخر» لأنه هو المعزّى الأول مدة كونه معهم بالجسد { لو ٢: ٢٥ } والمعزى هنا ترجمة «فارقليط» فى اليونانية، وليس فى العربية كلمة بتمام معناها. فإن معناها: معز ومعين وشفيع معا، وجاءت فى الإنجيل خمس مرات، نُسبت فى أربع منها إلى الروح القدس { يو ١٤: ١٦، ٢٦، ١٥: ٢٦، ١٦: ٧ } وفى واحدة للمسيح { ١ يو ٢: ١ } والمراد بالمعزى هنا: الروح القدس. الأقنوم الثالث فى اللاهوت المعين، لينوب عن المسيح بعد صعوده إلى السماء فى المستشارية والإرشاد والصداقة والعون فى الضيق» أ. هـ

ولم أقل لكم من البداية؛ لأنــى كنتُ معكم. وأما الآن فـأنا ماض إلى الذى أرسلنى. وليس أحد منكم يسألنى أين تمضى ؟ لكن لأنى قلت لكم هذا، قد ملأ الحزن قلوبكم.

لكنى أقـــول لكم الحق: إنــه خير لكم أن أنـطلق؛ لأنه إن لم أنطلق لايأتيكم المعـــزى [1]. ولكن إن ذهبت؛ أُرسله إليكم. ومتى جاء ذاك يبكّت العالم على خطية وعلى بر، وعلى دينونة. أما عــلى خطية؛ فلأنهم لايؤمنون بى، وأمـا على برّ؛ فلأنى ذاهب إلى أبى ولاترونني. وأما على دينونة؛ فلأن رئيس هذا العالمَ قد دين.

إن لى أمورا كثيـرة أيضا لأقول لكم. ولكن لاتستطيعـون أن تحتملوا الآن. وأما متى جاء ذاك روح الحق، فـهو يرشدكم إلى جميع الحق؛ لأنه لايـتكلم من نفسه، بل كل مـايسمع؛ يتكـلم به. ويخبـركم بأمـور آتيـة. ذاك يمجدنـى لأنه يأخـــذ مما لى، ويخبركم» [يوحنا ١٤: ١٥ - ١، ٢٦ يوحنا ١٥: ١٨ - الخ يوحنا ١٦: ١ - ١٥]

***

هذه عبارات من كلام المسيح عيسى عليه السلام عن نبى الإسلام صلى الله عليه وسلم. فماذا فعل بها اليهود الذين اعتنقوا النصرانية زورا ؟

إنه فى مجمع نيقية سنة ٣٢٥ م جـعلوا المسيح عيـسى هو «الله والابن»، وقالوا: إن ابن الله الذى تحدث عنه داود عليه السلام فى المزمور الثـانى. قالوا: إنه ابن حقيقى لله. وهو والله واحـد فى اللاهوت - تعالى الله عـما يقـولون علوا كبـيرا - وإنه فى مجمع «القسطنطينية» سنة ٣٨١ م قـرروا «ألوهية الروح القدس» الذى تكلم عنه المسيح فى العبارات التى ذكرناها. قالوا إن «المعزى» هو الإله الثالث. مع أن «المعزى» موضوع بدل اسم «أحمد» والله ليس من أسمائه «أحمد»

يقول مؤلف تاريخ الأقباط تحت عنوان «مجـمع القسطنطينية سنة ٣٨١ ميلادية «يسمى مجمع القـسطنطينية بالمجمع المسكونى الثانى. وكان الغـرض من عقد المجمع

---

(١) المعَزى وضـعها الـنصارى حاليـا بدل باركليت. والكلمة التى نطقـها المسيح هى بيركليت بكسـر البا وفتح الراء وسكون الكاف والتاء ( انظر الكتاب المقدس للكاثوليك طبعة بيروت سنة ١٩١٢م )

محاكمة أصحاب البدع التى ظهرت فى ذلك الحين، ومنهم «مكدونيوس» و «يوسابيوس» و «أبوليناريوس» وكان «مكدونيوس» أسقفا أقامه الآريوسيون على «القسطنطينية» سنة ٣٤٣ ميلادية، ثم عزل فى سنة ٣٦٠ ميلادية؛ لمناداته ببدعة جديدة، وهى إنكار لاهوت الروح القدس. إذ قال: إن الروح القدس؛ مخلوق كسائر المخلوقات، وقد ناقشه المجمع ثم حرمه وحرم بدعته، وأسقطه من رتبة الأسقفية.

وكان «يوسابيوس» ينكر وجود الثلاثة الأقانيم... الخ [1]»

ويدلك على أن أصل أقنوم الروح القدس من عبارات المسيح هذه عن نبى الإسلام صلى الله عليه وسلم: قول الأنبا أثناسيوس:

«إن كلمة بارقليط مشتقة من Parakletos اليونانية. ومعناها: «المعزّى الروح القدس. الذى سيرسله الآب باسمى؛ فهو يعلمكم كل شيء، ويذكركم بكل ماقلته لكم» [يوحنا ١٤: ٢٦] و «متى جاء المعزى الذى سأرسله أنا إليكم من الآب؛ روح الحق، الذى من عند الآب ينبثق» [يوحنا ١٥: ٢٦] و «أما متى جاء ذاك روح الحق؛ فهو يرشدكم إلى جميع الحق؛ لأنه لايتكلم من نفسه، بل كل مايسمع يتكلمُ به ويخبركم بأمور آتية. ذاك يمجدنى؛ لأنه يأخذ مما لى، ويخبركم. كل ماهو للآب؛ هو لى. لهذا قلت: إنه يأخذ مما لى، ويخبركم» [يوحنا ١٦: ١٣ - ١٥] ومن هذا يتضح: أن الروح القدس هو الله الأقنوم الثالث[2]» أ. هـ.

إن النص - كما هو واضح منه - يشير إلى اسم أحمد صلى الله عليه وسلم، وإلى أوصافه. فما هو السبب الذى حدا بالنصارى إلى القول بألوهية الروح القدس، ولاسند لهم. لا من التوراة ولا من الإنجيل ؟ ولماذا اختلفوا فى ألوهية الروح القدس. هل هو الله نفسه على مذهب الأرثوذكس أم ثالث ثلاثة على مذهب

(١) ص ١٧٥ - ١٧٦ ج ١ تاريخ الأقباط - الطبعة الثانية ١٩٦٨ م - مطابع البلاغ بالقاهرة.

(٢) ص ٧٩ تفسير يوحنا - الأنبا أثناسيوس.

ولاحظ أن كلمة بيركليت وردت فى الإنجيل خمس مرات يوحنا ١٤: ١٦ يوحنا ١٤: ٢٦ يوحنا ١٥: ٢٦ يوحنا ١٦: ٧ الرسالة الأولى ليوحنا ٢: ١.

الكاثوليـــك ؟ وهل هو منبـثق من الآب وحـده على مـــذهب الأرثوذكس، أم هو منبثـــق من الآب والابن على مذهب الكاثوليك ؟

ما أعتـقد أن السبب خـاف على العقلاء ولا على البسطاء. فـإنه واضح وضوح الشمس فى رائعة النهار. وهو أن اليهود من أيام سبى بابل سنة ٥٨٦ ق. م جادون فى المحافظة على استقلالهم، والتعصب لمجدهم. ولذلك وضعوا النص المشير إلى نبى بنى إسمـاعيل - عليه السلام - مـحتملا لمعنيـين: إما منهم، وأما من بنى إسمـاعيل. ثم اجتهدوا فى إيهام الناس بأنه سيكون منهم، وخلعوا عليه ألقابهم، ووضعوه فى لغتهم، على أنه سيكون واحدا منهم. وقد بعث الله المسيح عـيسى - عليه السلام - ليبين المراد حقا من النص. ويبين أنه سيكون من بنى إسماعـيل، وسيكون اسمه أحمد «بيركليت» وأنه سيستمد تعاليمه من الله.

وهذا هو السبب فى إرادة اليهـود قتل عيسى المسيح؛ لأنه أضاع جـدهم واجتهادهم فى إخفـاء الحقيقة من أيـام سبى بابل. يقول اليهـود: «وأنكى من ذلك: أنه يقول: إن مَسِيًا، لايأتى من نسل داود - كما قال لنـا أحد تلاميذه الأخصاء - بل يقول: إنه يأتى من نسل إسمـاعيل، وأن الموعد [1] صُنع بإسماعيل لا بإسـحق. فماذا يكون الثمر إذا تركنا هذا الإنسـان يعيـش ؟ من المؤكد أن الإسـماعـيليين يصـيرون ذوى وجـاهة عند الرومانيين [2]؛ فيعطونهم بلادنا ملكا. وهكذا يصير إسرائيل عرضة للعبودية. كما كان قديما» [برنابا ١٤٢] ولهذا السب فإنه بعد رفع المسيح عيسى إلى السماء؛ تظاهر فريق

---

(١) يشيـر المسيح بالموعد إلى قول التـوراة: «وقال إبراهيم لله: ليت إسمـاعيل يعيش أمامك. فـقال الله بل سارة امرأتك تلد لك ابنا، وتدعو اسـمه إسحق. وأقيم عهدى معه عـهداً أبديا لنسله من بعده. وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه، ها أنا أباركه وأثمره وأكـثره كثيرا جداً. اثنى عشر رئيسا يلـد، وأجعله أمة كبيرة، ولكن عهدى أقيمه مع إسحق الذى تلده لك ســارة فى هذا الوقت فى السنة الآتية» [ تكوين ١٧ ]

يقـول المسيح: إنهم كـتبـوا: أن الموعد لإسـحق إلى الأبد من قـبل ولادته، وكـتبـوا: أنه هو الذبيح. فإذا افترضنا أنه قد ذبح بالفعل. فكيف يتم الوعد من بعد ذبحه ؟

(٢) روى يوحنا هذا الموضـع هكذا: «فكثـيـرون من اليـهـود الذين جـاءوا إلى مـريم، ونظروا مـا فـعل يـــوع، آمنوا به. وأما قوم منهم، فمضوا إلى الفريسيين. وقـالوا لهم عما فعل يـوع. فجمع رؤساء

من اليهود باعتناق النصرانية. وهم والنصارى ( أولياء بعضهم أولياء بعض [1] ) وعملوا على جعل عيسى المسيح هو «المعزى» الروح القدس» وهو النبى الذى وعد به موسى فى سفر التثنية. وهو الابن الذى تحدث عنه داود فى المزمور الثانى. هو الكل فى الكل. وبينوا: أنه لانبى من بعد عيسى المسيح. أى أن النبوة والكتاب لايمكن أن يكونا فى غير بنى إسحق - عليه السلام - ثم إنهم لبسوا على الناس دينهم. فقالوا: إن روح الله الذى كان يرفّ على وجه المياه، هو نفسه المعزّى الروح القدس. فى حين أن روح الله الذى كان يرف على وجه المياه: هو ريح شديدة عاتية. أما المعزى الروح القدس: فهو نبى يأتى من بعد المسيح. اسمه «أحمد» پيركليتوس.

ولعل توضيح كلمة «المعزّى» يكون مساعدا على فهم هذه الحقيقة، ودحض هذه البدعة، والرجوع بالحق إلى أهله.

إن كلمة «المعزى» فى الأصل العبرى «بيرقليط» وينطقها النصارى «باركليت» وهى باتفاق اليهود والنصارى وسائر علماء اللغات تعنى «أحمد» ولكن الذين حرفوا إنجيل يوحنا نطقوها «باراقليط» لئلا تدل صراحة على الاسم المبارك. وإذا ماترجمت «بيرقليط» إلى اللغة اليونانية تكون «باراكليتوس» والذين حرفوا النطق فى إنجيل يوحنا يريدون أن يقولوا: إن ذهاب يسوع المسيح كان كارثة على تلاميذه. ولذلك وعدهم ببديل له، ويعوض عنه، وهذا البديل سيعزيهم عن فقد يسوع المسيح. ثم كتبوا فى سفر الأعمال: أن هذا البديل هو الأقنوم الثالث.

---

الكهنة والفريسيون مجمعا، وقالوا: ماذا نصنع، فإن هذا الإنسان يعمل آيات كثيرة. إن تركناه هكذا، يؤمن الجميع به، فيأتى الرومانيون ويأخذون موضعنا وأمتنا» { يوحنا ١١}

إن الفرق بين الروايتين هو في احتلال الروم لموضعهم وهو هيكل سليمان ولمدينتهم وهى أورشليم. فهل بسبب الشغب والانقسام يحتل الروم موضعهم وأمتهم ؟ كيف يصح هذا والروم يحتلون موضعهم وأمتهم من سنة ثلاث وستين من قبل ميلاد المسيح عيسى عليه السلام ؟ هل بسبب الشغب والانقسام يسلم اليهود موضعهم وأمتهم إلى أهل الروم ؟ أم أن الإسماعيليين هم الذين سيحتلون موضعهم وأمتهم إذا ظهر النبى الآتى منهم ؟ من المؤكد أنهم هم الإسماعيليون، وقد صدق التاريخ على ذلك، فإنهم هم الذين طردوا الروم من أقصي الأرض. وما يزالون فيها مقيمين على دين محمد صلى الله عليه وسلم.

(١) المائدة ٥١

١ - يقول الشيخ رحمة الله الهندى: «وصلت إلىّ رسالة صغيرة فى لسان أردو من رسائل القسيسين فى سنة ألف ومائتين وثمان وستين من الهجرة. وكانت هذه الرسالة طبعت فى «كلكته» وكانت فى تحقيق لفظ «فاراقليط» وادعى مؤلفها: أن مقصوده أن ينبه المسلمين على سبب وقوعهم فى الغلط من لفظ «فاراقليط» وكان ملخص كلامه: «أن هذا اللفظ معرب من لفظ يونانى. فإن قلنا: إن هذا اللفظ اليونانى الأصلى «باراكلى طوس» فيكون بمعنى المعزى والمعين والوكيل. وإن قلنا: إن اللفظ الأصلى «بيركلوطوس» يكون قريبا من معنى محمد وأحمد. فمن استدل من علماء الإسلام بهذه البشارة ؛ فهم أن اللفظ الأصلى «بيركلوطوس» ومعناه قريب من معنى محمد وأحمد. فادعى: أن عيسى عليه السلام أخبر بمحمد أو أحمد. لكن الصحيح: أنه باراكلى طوس [١]»

٢ - ويقول الأب متى المسكين: «حسب مفهوم اللغة اليونانية القديمة واستعمالاتها - كما وردت فى النصوص التفسيرية - نجد المعنى ينحصر فى الصفة القضائية للشخص الذى يمكنه القانون من الدفاع والمحاماة والشفاعة عن آخر. وقد وردت فى اصطلاحات الربيين اليهود بهذا المعنى، وبالذات فى كتابات العلامة «فيلو» اليهودى. وإنما كانت تنطق باللغة العبرية هكذا «البيراقليطا»[٢] وهذا النطق عينه هو الذى اشتق منه نطق الكلمة باللغة العربية «البراقليط» لأن اللغة العربية تميل إلى الأخذ من اللغة العبرية القديمة أكثر من اللغة اليونانية [٣]»

٣ - ويقول الأنبا أثناسيوس: «إن لفظ «باراقليط» إذا حرف نطقه قليلا؛ يصير بيركليت. ومعناه: الحمد أو الشكر. وهو قريب من لفظ «أحمد» [٤]

٤ - ويقول حبيب سعيد: «كانت اللغة العبرية تكتب بدون حروف علة حتى

---

(١) ص ١٦٥ - ١٦٦ ج ٢ إظهار الحق. ( البشارة رقم ١٨ )

(٢) لاحظ أنه كتب الباء وبعدها ياء.

(٣) ص ١٢ - ١٣ الباركليت الروح القدس فى حياة الناس. تأليف الأب متى المسكين - طبعة ١٩٧٣ م دار العالم العربى.

(٤) ص ١١٩ دراسات فى الكتاب المقدس - الأنبا أثناسيوس - مطبعة دار العالم العربى.

ســــنة ٥٠٠م [1] » وعلى قوله هذا: فإن حروف بيرقليط هى نفسها حروف بارقليط. ولما كـانت الأوصاف فى النـص تشيـر إلى شخـص بشرى؛ فـإن نطقـها بيـركليت أو بيرقليط؛ يكونُ هو الصواب.

٥ - وفى دائرة المعارف الكتـابية: «كتب العـهد القديم باللغة العـبرية، فيمـا عدا بعض أجزاء قليلة، كتبت بالآراميــة [عز ٤: ٨٠١: ١٨ و ٧: ١٢ - ٢٦ إرمياء ١٠: ١١ دانيــــال ٢: ٤ - ٧: ٢٨] وكانت اللـغة العبـرية القديمة تنقـصهـا حروف اللين والحركات التى أدخلت إليها بمعرفة علمـاء اليهود «الماسّوريين» فى القرن الســادس بعد الميلاد، على أسـاس النطق القديم المتواتر وقد تمت ترجـمة النص العبرى إلى اليـونانية بالاسكندرية فيـما بين ٢٥٠ - ١٥٠ ق. م . وهى التـرجمة المشـهورة باسم الترجـمة السبـعينية، وفى الكـثير من الحـالات؛ تذكر الاقتـباسات من العـهد القديم فى العـهد الجديد، نقلا عن الترجمة السبعينية، وليس عن النص العبرى رأسا.

## العهد الجديد

كتب العهد الجـديد باللغة اليونانية. وكان اكتشاف الكثـير من أوراق البردى المكتوبة باللغة اليونانية الدارجة [الكوينى Koine ] وهى اللغة التى كانت شائعة فى أزمنة العهد الجديد. . . »

***

وعلى أية حال ينـبغى أن نسأل النصـارى هذا الـؤال: لقـد وعد عيـسى المـسيح بإرسال المعزى الروح القدس. فهل تحقق هذا الوعد ؟ ومتى تحقق ؟ وماهو العمل الذى يقوم به ؟

يقولون: لقد وعد المسـيح عيسى بإرسال المعزِّى الروح القدس. ولقــد جاء فعلا بعد خمـسين يوما من قيام المسـيح عيسى من الأموات. وحـامى عن النصارى الأوائل

(٣) ص ١٦٦ أديان العالم - حبيب سعيد - صدر عن دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية بالقاهرة.

ومايزال يحامى. يقول الأنبا أثناسيوس: «إن كلمة المعزى Paraklete تعنى المحامى، ولقد قال الرب فى يوحنا ١٤: ١٦ «وأنا أطلب من الآب فيعطيكم معزيا آخر؛ ليمكث معكم إلى الأبد» إنه يطلب إلى الآب أن يعطيهم «معزيا آخر إلى الأبد» أى أنه فى حال تجسده كان هو المعزى لهم والمدافع عنهم. وهذه الكلمة «باراكليت» هى التى كانت مستعملة فى القضاء بمعنى محام. فالرب هو المحامى عنا وشفيعنا بجسده وفدائه. والروح القدس يحامى هنا أيضا ويدافع عنا فى العالم، بعمله الخفى فينا، وفى الناس[١]»

لقد بين الأنبا أثناسيوس: أن كلمة المعزى ترجمة كلمة باراكليت. وأن معناها: المحامى، وأن عمله كان فى الماضى بعد رفع المسيح مباشرة ومايزال.

ويقول النصارى عن كيفية نزول المعزى. باراكليت الروح القدس مايلى:

( أ ) ظل عيسى فى القبر ثلاثة أيام ثم قام من الأموات وصعد إلى السموات، ثم نزل منها وظهر للتلاميذ، وتحدث معهم عن «ملكوت الله» مدة أربعين يوما. وفيما هو مجتمع معهم أوصاهم أن لايبرحوا من أورشليم، بل ينتظروا «موعد الآب» [أعمال ١: ٤] ثم صعد وإلى صعوده لم ينزل.

( ب ) وبعد عشرة أيام من الصعود الأخير. أى بعد خمسين يوما من قيام عيسى الأول من الأموات، وحينما كان يجتمع نحو مئة وعشرين شخصا من النصارى فى منزل واحد، فى أورشليم، ومع هؤلاء مريم العذراء - رضى الله عنها - يذكرون الله ويسبحونه «لما حضر يوم الخمسين كان الجميع معا بنفس واحدة وصار بغتة من السماء صوت كما من هبوب ريح عاصفة، وملأ كل البيت حيث كانوا جالسين، وظهرت لهم ألسنة منقسمة كأنها من نار، واستقرت على كل واحد منهم، وامتلأ الجميع من الروح القدس، وابتدأوا يتكلمون بألسنة أخرى. كما أعطاهم الروح أن ينطقوا» [أعمال ٢: ١ - ٤]

( ت ) هذا الصوت الفظيع مثل العاصفة الشديدة، الذى جعل لهم ألسنة غير

---

(١) ص ٣٠٦ تفسير يوحنا - الأنبا أثناسيوس.

ألسنتهم، ولغة غير لغتهم. هذا الصوت كان من تأثير الروح القدس الإله الثالث حال نزوله. وقد امتلأ الجميع من الروح القدس وأصبحوا ينطقون بجميع لغات العالم. وهذا الروح القدس الإله هو البارقليط [المعزى] الذى وعد به عيسى، ويعبرون عنه «موعد الآب»

يقول حبيب جرجس عميد الكلية الإكليركية سابقا: «إن السيد المسيح وعد تلاميذه قبل صعوده أن يرسل لهم الروح القدس بقوله لهم: «أطلب من الآب فيعطيكم معزيا آخر؛ ليمكث معكم إلى الأبد» [يوحنا ١٤: ١٦] وكان - له المجد - أمرهم أن لايبرحوا من أورشليم حتى يأتيهم موعد الآب [لوقا ٢٤: ٤٩] فحل الروح القدس عليهم بعد عشرة أيام من صعوده - وذلك فى يوم الخمسين - شِبْه ألسنة نارية، واستقرت على كل واحد منهم، وامتلأ الجميع من الروح القدس [(١)]»

***

وإننا لنقول لهم: هذه الفكرة خاطئةٌ بأدلة منها:

الدليل الأول:

إن أقدم نسخة خطية وجدت لسفر أعمال الرسل، هذا الذى يتحدث عن هذا الوعد وزمانه؛ لاوجود لها إلا فى القرن الرابع الميلادى، وهو القرن الذى ظهرت فيه بدعة ألوهية الروح القدس، وأقرت رسميا فى المجمع المسكونى الثانى وهو مجمع القسطنطينية سنة ٣٨١ م. يقول الدكتور لورانس براون: «إن الأدلة المأخوذة من المخطوطات ذاتها لاتمدنا بأية معلومات إلى ماقبل القرن الرابع. وهو التاريخ الذى كُتبت فيه أقدم تلك المخطوطات [(٢)]»

وفى التوراة عن يوم الخمسين هذا:

«تحسبون لكم من غد السبت من يوم إتيانكم بحزمة الترديد؛ سبعة أسابيع تكون

---

(١) ص ٥٢ خلاصة الأصول الإيمانية فى معتقدات الكنيسة القبطية الأرثوذكسية.

(٢) ص ٢٠ شرح سفر أعمال الرسل. الدكتور لورانس براون - نقله إلى العربية حبيب سعد - صدر عن جميعة نشر المعارف المسيحية.

كاملة إلى غد السبت السابع؛ تحسبون خمسين يوما» [لاويين: ٢٣: ١٥ - ١٦]

الدليل الثانى:

إن الأوصاف التى ذكرها عيسى - عليه السلام - بعد لفظ «المعزى الروح القدس» تدل على شخص إنسان لا على شخص إله. وشخص الإنسان هذا يبكّت العالم على الخطايا، ويخبر بأمور مستقبلة، ويعّرف التلاميذ كل شيء... الخ، والروح القدس الذى نزل؛ لم يتكلم بكلمة واحدة؛ وإنما اكتفى ببلبلة ألسنة التلاميذ. فلم يوبخ ولم يخبر ولم يعرِّف كل شيء. فلايمكن أن يكون هو المقصود من كلام المسيح عيسى عليه السلام.

ولقد شرحنا هذا النص فى غير هذا الكتاب شرحا وافيا ونوجز ههنا شرحه فنقول:

يقول الشيخ أبو الفضل المالكى المسعودى نقلا عن الشيخ أبى البقاء صالح بن حسين الجعفرى: «انظر - أرشدك الله - إلى هذه الجمل ومافيها من «الفارقليط» الذى هو روح الحق، وتارة روح القدس. المعلم كل شيء؛ وهو محمد رسول الله؛ لأن النصارى اختلفوا فى تفسيرها على أقوال، فقيل: إنه الحمّاد، وقيل: الحامد، وقيل: المخلِّص» ونقل عن البوصيرى الشاعر قوله:

بينته توراتكم والأناجيـــل وهم فى جحوده شركاء

من هو الفاراقليط والمنحمناء وبالحق تشهد الخصماء

أن يقولوا مابينته. فما زالت بها عن قلوبهم عشواء [1]

لقد مهد عيسى عليه السلام لهذا الوعد بأنه يجب عليهم حفظ وصاياه، والعمل

(١) ص ١٤٧ - ١٤٨ المنتخب الجليل من تخجيل من حرف الإنجيل تأليف الشيخ أبى الفضل المالكى - مطبعة التمدن بمصر سنة ١٣٢٢ هـ - والمنحمناء هى تحريف كلمة «مناهيم» ومعناها المعزّى أو «المواسى» ومناهيم من ألقاب «المَسِيا» وهو «أحمد ﷺ».

بهـا، ويجب أن يوحـوا بتعاليمه بأمـانة وإخلاص «إن كنتم تحبوننى» فـاقبلوا المعزى الآخر، وإن كلمـة «آخر» لتدل على شـخص مغاير لشـخص المسيح، ولايمكن أن تدل على روح الله، الذى هو فى نظر النصارى الأرثوذكس: الآب وهـو نفسه الابن، وهو نفسـه الروح القدس، وهو فى نظر الكاثوليك: أقنومـا متميـزا؛ لأن لفظ «آخر» الذى يفيد المغايرة هو يفيد أيضـا: أن المعـزى سيظل باقيا إلى الأبد، ولما كان الله نفسه باق إلى الأبد، وقد كان منذ الأزل. فـما معنى التنبيه بأنه سيـمكث معهم إلى الأبد بطلب من عيسى لله عنه ؟ ذلك قوله: «وأنا أطلب من الأب فيعطيكم معزيا آخر»

وأن هذا المعزى لايستطيع العـالم أن يقبلوا شريعته ؛ لأن العـالم لايعرف يقينا عن الله ورسله. ولكن التـلاميذ يستطيعـون معرفـته لقبـول شريعتـه؛ لأنهم يؤمنون بالتوراة، شريعة الله، ويعرفون الله من الكتب التى يتدارسونها منذ زمن بعيد.

ولم أعلمكم كثيرا، وسف تنسـون من القـليل الذى علمتـه لكم شـيئا. وإذا جـاء «المعزى» فـسوف يعلمكم الكثير، أكـثر مما علمت، وسوف يذكركم بكل مـاقلته لكم «وقلت لكم الآن قبل أن يكون، حتى متى كان، تومنون»

إن اليهود أيها التلاميـذ قد أنكروننى، وشكّوا فى نبوتى. وإذا جاء المعزى، فإنه سيشهـد بنبوتى، وأنتم سوف تشهدون أيضـا؛ لأنى من الآن قلت. وعندكم تعاليمـى فى الكتب.

إن انطلاقى خيـر لكم؛ لأن فى انطلاقى إلى العالم الآخر، مـجئ المعزى. وهو خيـر لكم منى، لأنه سوف يوبـخ العالم [1] على آثامـهم وذنوبهم. سيوبخـهم على الخطايا؛ لأنهم لايؤمنون بى.

وسيوبخهم على البر الذى أشارت إليه التوراة «البر الأبدى» [دانيال ٩ : ٢٤] لماذا يرفضون تبرير أنفسهم. تبرير أنفسهم باتباع البر الأبدى. نبى البر الذى وعد به موسى، وتحدث عنه دانيال ؟

---

(١) يشير بالعالم إلى اليهود

و  سيوبخهم على أنه قد استطاع هزيمة الشيطان، هذا الشيطان الذى وسوس لهم بإخفاء الحق، وإذا كان هو قد استطاع هزيمة الشيطان وأدانه وأخزاه؛ فهو بالحرى يدين الناس ويخزيهم.

إنى لأريد أن أحدثكم حديثا طويلا، ولكنكم لن تحتملوا. وإذا جاء المعزى روح الحق؛ فهو يرشدكم إلى جميع الحق؛ لأنه لايتكلم من نفسه. بل يتكلم بما يوحيه الله إليه. وسوف يخبركم بأمور تحدث مستقبلا. وإن العلم الذى يأتى به هو من الله الذى تعلمت منه.

***

ذلك هو المعزى الروح القدس، الذى جعله النصارى إلها ثالثا. بدون سند من النقل أو العقل؛ لتكون النبوة والكتاب فى نسل إسحق وحده. وإنه ليتعين علينا القول: بأن عيسى عليه السلام قد وعد بإرسال المعزى، ليكون معلما ومرشدا، وموبخا ومبكتا، وأنه لابد أن يكون عمل المعزى عملا دائما متصلا لاانقطاع له «يمكث معكم إلى الأبد» فما هو هذا العمل الدائم المتصل الذى لاانقطاع له الآن ؟ سؤال يوجه بالضرورة إلى النصارى الذين جعلوه إلها ثالثا. وهو سؤال ضرورى لأن التوراة صرحت بأن روح الله كان يلهم ويشجع ويقوّ ى، ولأن الإنجيل صرح بأن المعمدان كان ممتلئا من الروح القدس؛ ومات من قبل المسيح، وزكريا أبوه كان ممتلئا من الروح القدس [لو ١ : ١٥] وهو كذلك حقا فى الأزمنة القديمة والأزمنة الحديثة، وإلى أن تنتهى الدنيا. وإذا كانت التوراة قد صرحت بأن الروح ملهم ومشجع ومقوى، وصرح الإنجيل؛ فما هو العمل الجديد للروح، فى نظر النصارى من بعد يوم الخمسين؟ ذلك لأنهم يصرحون بأن «الروح» قد جاء حقا، وأن الوعد قد تحقق

لقد ذكرنا وجهة نظر الأرثوذكس فى عمل الروح القدس بإيجاز. وهذه هى وجهة نظر الكاثوليك والبروتستانت بإيجاز أيضا:

يقولون: إن أعمال الروح القدس على ثلاثة أقسام:

(أ) الأعمال المنظورة (ب) الأعمال الخفية . (ت) الأعمال التى لابد من حدوثها فى المستقبل.

(أ) الأعمال المنظورة تشمل:

١ - الخلق. فكل شيء يجد فى العالم من إبداع؛ فالذى أبدعه هو الروح القدس.

٢ - التحرير. كل حركة تحريرية عظمى، ضد الظلم والطغيان والفساد والشر فى المجتمع البشرى، تكون بإيعاز من الروح القدس.

٣ - قيادة الكنيسة. هو الذى يعين [1] لها القادة، ويعين لهم مكان العمل ونوعه ومجاله وزمنه وأسلوبه، ولا يترك شيئا مهما، صغر أو كبر؛ دون إعداد وترتيب وتنسيق وتنظيم.

٤ - الولادة الجديدة. إذا تغير قلب الخاطئ من الشر إلى الخير، يقال: إنه ولد من الروح القدوس ولادة روحية.

٥ - توزيع المواهب. أى إنسان لابد أن يكون له اتجاه محدد فى فعل الخير أمام الله.

٦ - الأثمار. أى نتيجة عمل الإنسان: محبة، فرح، سلام، طول أناة، لطف، صلاة، إيمان، وداعة، تعفف. ذلك كله من الروح القدس.

٧ - القوة الدائمة فى الكنيسة. أى أن الكنيسة نشطت نشاطا عظيما بعد ظهور الروح القدس فى يوم الخمسين، وغيرت وجه العالم.

(ب) الأعمال الخفية:

أى تأثير الروح القدس فى الفكر البشرى. وذلك بتطهيره المنبع الذى تنبع منه هذه الأفكار، ونعنى به القلب البشرى.

---

(١) هذا اعتراف من النصارى بأن الإنسان مسير لا مخير، وقد صرح بولس بذلك، والمأثور عن عيسى عليه السلام أنه قال: إن الإنسان مخير، لا مسير.

(ت) أعمال الروح فى المستقبل يشمل:

١ - مستقبل المؤمن .

٢ - ومستقبل الكنيسة.

**أما عن المؤمن فإن الروح يظل مصاحبا له من التجديد - أى التوبة - حتى الموت. ومثل هذا الأمر يمكن أن يقال عن الكنيسة كذلك؛ فإن الروح لايضمن هذه الكنيسة فى عصر دون عصر، أو فترة دون فترة، أو تاريخ دون تاريخ، بل سيظل ضامنا لها على الدوام حتى تبلغ مجدها الأبدى العظيم [١].**

***

**هذا مجمل مايقولونه عن عمل الروح القدس. الذى ظهر فى يوم الخمسين. وإنه لعجيب أن يكون هذا العمل جديدا فى هذه الحياة الدنيا. وذلك لأن الدنيا من أيام آدم إلى ظهور المسيح، هى نفسها الدنيا من ظهور المسيح إلى الآن، وإلى الأبد. سلام وخصام، إيمان وكفر، أمن وفزع، لاشيء قد تغير فى طبيعة الدنيا عما كانت عليه من قبل.**

**وإنه لمن الممكن أن يقول اليهود عن الروح القدس كما يقول النصارى. ولكنهم لم يقولوا. فإنهم يقولون: إن الله بروحه خلق كل شيء. أى بقدرته. ومع ذلك لايقولون بأن الله شيء، والروح شيء آخر «تُرسل روحَك فتُخلق، وتجددُ وجه الأرض[٢]» [مزمور ١٠٤ : ٣٠] وإن التوراة لتصرح أن «جِدعون» قبل حلول الروح**

---

(١) ص ١٩٣ إيمانى.

(٢) يقول داود عليه السلام: «ما أعظم أعمالك يارب، كلها بحكمة صنعت، ملآنة الأرض من غناك، هذا البحر الكبير الواسع الأطراف. هناك دبابات بلا عدد. صغار حيوان مع كبار. هناك تجرى السفن. لو ياثان هذا، خلقته، ليلعب فيه. كلها إياك تترجّى، لترزقها قوتها فى حينه. تعطيها، فتلتقط. تفتح يدك فتشبع خيرا، تحجب وجهك، فترتاع. تنزع أرواحها، فتموت. وإلى ترابها، تعود. تُرسل روحك، فتخلق. وتجدد وجه الأرض» وقوله هذا هو نص فى نفى عذاب القبر أو نعيمه، لأنه يقول: «إنه بعد نزع الأرواح تعود الأجسام الى التراب. وأن الله يرسل روحه ليخلقها فى القيامة.[ مزمور ١٠٤ : ٢٤ - ٣٠].

عليه كان أشبه بالبطل المقهور البائس، وبعد حلول الروح أصبح قوة هائلة حررت قومه من الذل [القضاة ٨] وقد كان لليهود قادة فى كنائسهم ومع ذلك لم يقولوا: بأن روح الله هو الذى كان يعيّن الربانيين والأحبار، ويرسلهم إلى أى مكان يشاء، وكانوا ينسبون كل شيء يحدث فى الكون إلى الله وحده. لقد جاء فى التوراة قول بنى حِثّ لإبراهيم عليه السلام: «أنت رئيس من الله» [تكوين ٢٣: ٦] «قالت راحيل: مصارعات الله قد صارعت أختى، وغلبت» [تكوين ٣: ٨]

والتوراة تصرح بأن الروح القدسِ كان يحلّ على بعض الناس فى قديم الزمان. فإن بَلعام بن بَعُور الذى آتاه الله آياته فانسلخ منها - كما يقول بعض مفسرى القرآن الكريم - كان عليه روح الله [العدد ٢٤: ٢] وأن شاول - طالوت - كان عليه روح الله «يحل عليك روح الرب، فتنبأ معهم» [صموئيل الأول ١٠: ٦] وأن روح الله كان فى داود عليه السلام. يقول داود لله عز جل: «لاتطرحنى من قدام وجهك. وروحك القدوس لاتنزعه منى» فإذا ماقال النصارى: إن حلول الروح فى العهد القديم قبل المسيح؛ كان حلولا وقتيا، وحلول الروح فى العهد الجديد بعد المسيح هو حلول دائم وعام وشامل ومستمر، وفى أوسع المظاهر وأكمل الأوضاع؛ يكونُ من اللازم عليهم أن يبينوا الفرق بين الحلول فى العهدين. وهم أنفسهم قد حلّ عليهم من بعد المسيح اضطهاد لامثيل له. فما أيدتهم نار نزلت، ولانجتهم آية ظهرت. ولم يمتازوا عن غيرهم بأى ميزة، وليس لهم فى العالم أى فضل. ولقد جاء الاسلام، وقضى على كل امتياز لهم فى بلاد الشام ومصر خاصة. ولولا أن الإسلام عاملهم بالرفق والرحمة مع وضعهم تحت الجزية؛ لقضى عليهم، وصاروا فى عِداد الهالكين.

***

وإذا مارجعنا إلى القرون المسيحية الأولى لنسأل النصارى عن «بيركليت» الموصوف: بالروح المعزى أو روح الحق أو روح القدس. فإننا نجد أنهم كانوا يعنون بها شخصا بشريا يأتى بشريعة خالدة من بعد المسيح عيسى عليه السلام:

١ - يقول الأب متّى المسكين: «توجد وثيقة فى كنيسة «فينا» ليوسابيوس القيصرى. وردت فيها كلمة «الباراكليت» كصفة أُطلقت على شخص تبنى مسئولية الدفاع عن المسيحيين المتهمين بمسيحيتهم، وهى مقالة ممتعة فيها ينعت المسيحيون هذا الشخص واسمه: «فيتوس. أيب. أجاتوس» بالبراكليتى؛ لأنه حامى عنهم، وتشفع لهم جهارا، معرضا حياته للهلاك. وهذه الوثيقة تصور كلمة «الباراكليت» تصويراً واقعيا حيا. إنما على مستوى بشرى [١]»

٢ - ويقول الفونسوس ماريا دى ليكورى: «مونتانوس ولد كما أخبر أورسى [مجلد ٢ ك ٤ عدد ١٧] فى «أردابا» وكان يقول هو وابنتيه: «إنهم قبلوا بالتمام الباراقليط الذى وعد به يسوع المسيح»

وقال عن رجل آخر اسمه مانى: «مانى كان أبا المانيين، ودعى كذلك؛ لأنه نسب إلى ذاته لقب «الباراقليط» كما فعل مونتانوس [٢]»

٣ - ويتحدث زكى شنودة فى تاريخ الأقباط عن المشابهة التامة بين شخصية المسيح وبين «الباراكليت» فيقول: إن مانى «أشاع بين الناس منذ سنة ٢٦٩ ميلادية أن المسيح ترك عمل الخلاص ناقصا، وأنه هو الذى سيتمه لأنه هو «الباراقليط» وتشبه بالمسيح، فاتخذ لنفسه اثنى عشر تلميذا، واثنين وسبعين أسقفا [٣]، وأرسلهم إلى بلاد الشرق حتى الهند والصين؛ ليذيعوا تعاليمه [٤]»

---

(١) ص ١٢ - ١٣ الباراكليت الروح القدس فى حياة الناس.

(٢) ص ٣٤ تاريخ الأقباط..

(٣) هذا يؤيد قول برنابا أنهم اثنان وسبعون ولا يؤيد قول لوقا: إنهم سبعون فقط .

(٤) ص ١٤٩ ج ١ تاريخ الأقباط.

# الفصل الرابع
# فى
# قانون الإيمـــان

فى نيقـية سنة ٣٢٥ مـيلادية؛ عقـد النصارى المجمع المسكونى العالمى الأول. وأصدروا «قانون الإيمان» العام.

ونصه فى رواية الكاثوليك هكذا:

«نؤمن بإله واحـد. آب ضابط الكل، خـالق كل الأشيـاء، مايُرَى ومـا لايُرَى. وبرب واحد يســوع المسيح ابن الله. المولود من الآب، المولود الوحيـد، أى من جوهر الآب. إله من إله. نور من نور. إله حق، من إله حق. مولود غير مخلوق، مســـاو للآب فى الجوهر [1]. الذى به كان كل شيء فى السماء وعلى الأرض. الذى من أجلنا نحن البشر. ومن أجل خلاصنا؛ نزلَ وتجســد وتأنَّس وتألم ومات، وقام أيضا فى اليوم الثالث، وصَـعد إلى السمـاء، وسيأتى من هـناك؛ ليدين الأحيـاء والأموات. وبالروح القدس. وأما الذين يقولون: إنه كان زمان لم يوجد فيه. وأنه لم يكن له وجود قبل أن يولد. وأنه خُلق من العدم، أو أنه من مادة أو جوهر آخر، أو أن ابن الله مخلق أو أنه قابل للتغيير أو متغير؛ فهم ملعونون من الكنيسة الجامعة الرسولية [2]»

ونصه فى رواية الأرثوذكس هكذا:

«نؤمن بإله واحد. الآب ضابط الكل خالق السماء والأرض. مايُرى ومالايرى. ونؤمن برب واحد يسوع المسيح ابن الله الـوحيد المولود من الآب قبل كل الدهور. نور من نور. إله حق من إله حق. مولود غـير مخلوق. مســاو للآب فى الجوهر. الذى به كان كل شيء. الذى من أجلنا نحن البشر. ومن أجل خلاصنا؛ نزل من السماء وتجسد من الروح القدس، ومن مـريم العذراء وتأنس. وصُلب عنا على عهـد بيلاطُس البنطى

(١) المعنى فى الأصل: ذو جوهر واحد مع الآب ( كلام مؤلف إيمانى ص ٦٦ )

(٢) ص ٦٥ - ٦٦ إيمانى أو قضـايا المسيحيـة الكبرى - تأليف القس إلياس مـقار - دار الثقـافة المسيحية بالقاهرة - مطبعة دارالعالم العربى سنة ١٩٧٥ بمصر.

وتألم وقبر. وقام من الأموات فى اليوم الثالث. كما فى الكتب، وصعد إلى السموات، وجلس عن يمين أبيه. وأيضا: يأتى فى مجده ليدين الأحياء والأموات. الذى ليس لملكه انقضاء [(١)]»

***

**وفى مجمع القسطنطينية سنة ٣٨١ م زادوا على العبارات السابقة مايلى:**

**النص فى رواية الكاثوليك هكذا: «وبالروح القدس الرب المحيى، المنبثق من الآب، الذى هو مع الآب والابن. مسجود له وممجد. الناطق بالأنبياء [(٢)]»**

**النص فى رواية الأرثوذكس هكذا: «ونؤمن بالروح القدس المحيى المنبثق من الآب، المسجود له مع الآب والابن، الناطق فى الأنبياء. وبكنيسة واحدة مقدسة جامعة رسولية. ونعترف بمعمودية واحدة لمغفرة الخطايا، ونترجّى قيامة الأموات. وحياة الدهر الآتى آمين [(٣)]»**

***

**وفى مجمع أفسس الأول سنة ٤٣١ م وضعوا مقدمة لقانون الإيمان. هذا نصها «نعظمك يا أم النور الحقيقى، ونمجدك أيتها العذراء المقدسة. والدة الإله [(٤)] لأنك ولدتِ لنا مخلّص العالم. أتى وخلص نفوسنا. المجد لك ياسيدنا وملكنا المسيح، فخر الرسل، إكليل الشهداء، تهليل الصديقين، ثبات الكنائس، غفران الخطايا. نبشر بالثالوث المقدس، لاهوت واحد. نسجد له ونمجده. يارب ارحم، يارب ارحم، يارب بارك آمين [(٥)]» أ. هـ.**

---

(١) ص ٩٩ - ١٠١ خلاصة الأصول الإيمانية فى معتقدات الكنيسة القبطية الأرثوذكسية - تأليف حبيب جرجس - طبعة وزارة المعارف بمصر سنة ١٩٢٦م.

(٢) ص ٦٦ إيمانى.

(٣) ص ١٠١ خلاصة الأصول الإيمانية.

(٤) لقب والدة الإله أو أم النور باللغة اليونانية ( ثيئتوكوس ) وإذا كان المسيح فى نظرهم إلها فأمه إلهة من باب أولى، ولفظ «الإله» على المسيح عندهم على المعنى الحقيقى، وعلى مريم عندهم على المعنى المجازى وهو «سيدة» ففى الزبور: «أنا قلت: إنكم آلهة» أى سادة. رجالا ونساء، ومريم إله عندهم على هذا المعنى المجازى. فاللفظ واحد على مريم والمسيح. وهو على مريم بمعنى سيدة.

(٥) ص ٥٣ العذراء فى التاريخ الكنسى - تأليف القس يوسف أسعد - مطبعة دار العالم العربى بمصر سنة ١٩٤م وانظر ص ١٨ ج ١ تاريخ الأقباط.

وفى مجمع خليقدونية سنة ٤٥١ ميلادية

قرر الكاثوليك: أن المسيح له طبيعتين ومشيئتين. طبيعة إنسانية كاملة، وطبيعة إلهية كاملة. وله مشيئة إنسانية كاملة، ومشيئة إلهية كاملة. أى أن الآب مستقل بأقنومه، والمسيح مستقل بأقنومه، وهما متساويان فى اللاهوت فقط.

وقد رفض الأرثوذكس هذه العقيدة، واعتبروا: الله هو المسيح، والمسيح نفسه هو الله. قالوا: إن المسيح له طبيعة واحدة، ومشيئة واحدة.

يقول مؤلف تاريخ الأقباط: «عقد مجمع خليقدونية أولا فى القسطنطينية، ثم انتقل إلى خليقدونية بالقرب من البسفور، وقد حضره أساقفة روما، كما حضره البابا ديسقورس بطريرك الإسكندرية ومعه أساقفته، وقد اشتد الخلاف بين الفريقين فى اليوم الأول، حتى إذا كان اليوم الثانى للمجمع؛ منع البابا ديسقورس وأساقفته بالقوة من حضور الجلسة، واجتمع أساقفة روما مع بعض أساقفة الشرق وحكموا بعزل ديسقورس ونفيه، ونادوا بعقيدة الطبيعتين والمشيئتين، ولاتعترف الكنيسة القبطية بمجمع خليقدونية ولابقراراته، كما لاتعترف بالمجامع التى عقدت بالقسطنطينية بعد ذلك، فى سنة ٥٥٣ وسنة ٦١٠ وسنة ٧٨٦ لمخالفة الذين اشتركوا فيها مع الكنيسة القبطية، فى الاعتقاد بأن للمسيح طبيعة واحدة، ومشيئة واحدة[١]»

وفى تاريخ الكنيسة للآب جان كُمبى - دار المشرق بيروت.

قانون الإيمان النيقاوى الكاثوليكى

«نؤمن بإله واحد. آب. ضابط الكل، خالق كل الأشياء. ما يُرى وما لا يُرى. وبرب واحد يسوع المسيح. ابن الله الوحيد، المولود من الآب. أى من جوهر الآب. إله من إله. نور من نور. إله حق من إله حق. مولود غير مخلوق. له وللآب جوهر واحد ( هو مو أو سيوس ) به كان كل شيء. ما فى السماء، وما على الأرض. الذى من أجلنا نحن البشر، ومن أجل خلاصنا؛ نزل من السماء، وتجسد، وصار إنسانا، وتألم وقام فى اليوم الثالث، وصعد إلى السموات، وسيأتى ليدين الأحياء والأموات.

---

(١) ص ١٧٩ ج ١ تاريخ الأقباط.

ونؤمن بالروح القدس.

والذين يقولون: كان وقت لم يكن فيه الابن، وقبل أن يولد؛ لم يكن، وقد خُلق من العدم، أو الذين يعلنون أن ابن الله من أقنوم آخر ( هيبو ستايس ) أو من جوهر آخر (أوسيا) أو أنه خُلق أو أنه خاضع للتغير أو التبدل؛ فالكنيسة الجامعة الرسولية؛ تحرمهم»

***

**الإضافة على قانون الإيمان فى مجمع القسطنطينية سنة ٣٨١ م**

أضاف إليه فقرة عن الروح القدس، وهى: «نؤمن بالروح القدس. الرب المالك والمحيى والمنبثق من الآب. الذى مع الآب والابن؛ يُسجد له، ويمّجد»

وقد أضاف اللاتين فى القرن الثامن عبارة: «والابن» فصارت تقرأ: «المنبثق من الآب والابن»

وفى تاريخ الكنيسة للأب جان كُمبى - دار المشرق ببيروت. ﷺ ١١٩ مانصه تحت

| آريوس | ألكسندروس |
|---|---|
| ١ - لم يوجد الكلمة مع الآب من الأزل | ١ - وُجد الكلمة مع الآب منذ البدء |
| ٢ - خُلق الكلمة من العدم | ٢ - لم يُخلِق لابن، بل هو الذى خلق كل شىء |
| ٣ - ليس الكلمة ابنا للأب بالطبيعة، وبحصر المعنى | ٣ - الكلمة هو ابن بالطبيعة لا بالتبنى |
| ٤ - طبيعة الابن لا تصور من طبيعة الآب | ٤ - للابن طبيعة مساوية لطبيعة الآب |
| ٥ - بدأ الكلمة فى الوجود بفعل من إرادة الآب | ٥ - الكلمة موجود باتحاده بجوهر الآب |
| ٦ - الكلمة بطبيعته خاضع للتغير جسديا وأدبيا | ٦ - الكلمة فى طبيعته الإلهية لا يخضع للتغير أو الألم |

عنوان «تصادم العقائد»:

وقانون الإيمان النيقاوى هو الذى عرضه أوسابيوس القيصرى - وهو قانون كنيسته - على المجتمعين فى المجمع بحضور الإمبراطور قسطنطين، وقبله المجمع. وعلى طلب قسطنطين وبمشورة أوسيبيوس أضاف الأساقفة عند الكلام عن «ابن الله» صفة «هو مو أوسيوس» Homoousios التى تعنى أن الابن هو نفس (" Ousia ") جوهر الآب ، أو مساو لجوهر الآب ( Abstantiel Cons )

**تلك هى عقيدة النصارى فى المسيح عيسى ابن مريم وأمه، وهى عقيدة ابتدعوها من بعد المسيح بأربعة قرون. ولا سند لها من التوراة ولا من الإنجيل ولا من العقل السليم. وسوف نتعرض لهذه العقيدة ببيان زائد فيما بعد. ونكتفى هنا بنقد موجز لقانون الإيمان. وقد مضى نقد، وسيأتى نقد.**

١ - «نؤمن بإله واحد. الآب ضابط الكل، خالق السماء والأرض. مايُرى ومالايرى» هذا حق. لأنه فى التوراة: «اعلم اليوم وردد فى قلبك: أن الرب هو الإله فى السماء، من فوق، وعلى الأرض من أسفل. ليس سواه» [تثنية ٤: ٣٩] «الرب إلهنا رب واحد» [تثنية ٦: ٤] «أنا الرب وليس آخر. لا إله سواى «[إشعياء ٤٥: ٥] «أليس أنا الرب، ولا إله آخر غيرى ؟ إله بار. ومخلّص. ليس سواى» [إش ٤٥: ٢١] وفى الإنجيل: [1] «الله واحد هو» [رومية ٣: ٣٠] «ليس إله آخر إلا واحدا؛ لأنه وإن وجد مايسمى آلهة. سواء كان فى السماء أو على الأرض، كما يوجد آلهة كثيرن وأرباب كثيرون، لكن لنا إله واحد. الآب الذى منه جميع الأشياء. ونحن له» [١ كورنثوس ٨: ٤ - ٦] «المبارك العزيز الوحيد ملك الملوك ورب الأرباب الذى وحده له عدم الموت ساكنا فى نور لايدنى منه. الذى لم يره أحد من الناس، ولايقدر أن يراه. الذى له الكرامة والقدرة الأبدية» [١ تيموثاوس ٦: ١٥ - ١٦] هذا القول يثبتُ الانفراد لله تعالى بالألوهية. وأنه هو البادىء بالخلق والاختراع. فدخل فى هذه

---

(١) لاحظ: اعتراف بولس بأن الله واحد. وهذا هو الذى لقى الله عليه. أما العبارات التى تدل على أنه وضع الألوهية على عيسى. فإنها قد حشرت فى رسائله من بعد موته وفسرتها كل طائفة على حسب معتقدها فى المسيح. وغرض بولس وشيعته هو تطبيق نبوءات التوراة التى هى لمحمد على عيسى فى مجيئه الثانى والمناداة بترك العمل بالتوراة.

المخلوقات: المسيح، والروح القدس. وغير ذلك. لأنهما إن كانا مرئيين كالأجسام والأعراض، فالآب الواحد خالقهما. وإن كانا غير مرئيين كالعقول والأرواح - على القول باستقلال كل عن الجسد - فالآب خالقهما وصانعهما، وهذا كلام حسن لو ثبتوا عليه، غير أنهم نقضوه على الفور. وقالوا:

٢ - «ونؤمن برب واحد: يسوع المسيح»

**وهذا يعنى أنهما إلهان منفصلان «نؤمن بإله واحد: - الآب - ونؤمن برب واحد: يسوع» أى أن هناك إله، وهناك رب. وهذا مخالف لما ثبت من التوراة والإنجيل. إذ فيهما: إله واحد. وكيف يكون المسيح ربا وهو أقل رتبة من الملائكة ؟ يقول بولس: «ولكن الذى وُضع قليلا عن الملائكة يسوع؛ نراه مكللا بالمجد والكرامة من أجل ألم الموت؛ لكى يذوق بنعمة الله الموت؛ لأجل كل واحد» [عبرانيين ٢: ٩] وكونه «مسيحا [1]» يدل على أنه كسائر البشر المسحاء فى عرفهم: يستلزم له ماسحا.**

**٣ - «ابن الله الوحيد ، المولود من الآب، قبل كل الدهور. نور من نور»**

**هذا القول يدل على أن المسيح: مخلوق. إذ لامعنى لكونه ابنه؛ إلا تأخره عنه. إذ الوالد والولد لايكونان معا فى الوجود، وكونهما معا مستحيل ببدائه العقول.**

**٤ - «إله حق، من إله حق، مولود غير مخلوق، مساو للآب فى الجوهر»**

**لو كان المسيح إلها. لكان يعرف الغيب، ولكنه لم يعرف. ولو كان من جوهر الآب، لعلم مايعلمه الآب. فثبت: أنه إنسان حق. يقول المسيح «وأما ذلك اليوم [2]**

---

(١) أصل كلمة المسيح من المسح بالزيت أو الدهن. ثم صارت تعنى مجازا المصطفى من الله نبيا أو عالما أو ملكا. أو من يجمع الصفات الثلاثة، أو من يجمع صفتين، والمسيح عيسى كان يجمع صفتين صفتى النبوة والعلم ولم يكن ملكا.

(٢) راجع علامات ابن الإنسان فى كتابنا البشارة بنبى الاسلام فى التوراة والإنجيل. والمراد باليوم: هو يوم دخول المسلمين أرض فلسطين.

وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد ولا الملائكة الذين فى السماء ولا الابن. إلا الآب» [مرقس ١٣ :٣٢] وهم يطلقون لفظ الجوهر[١] على الله. وذلك محال. إذ الجوهر مفتقر فى وجوده إلى عرض يقوم به. والقديم - جل جلاله - بخلاف ذلك.

٥ - «الذى به كان كل شيء»

هذا يعنى: أن المسيح موجود فى الزمن قبل خلق العوالم. وكيف يكون ذلك، وأمه أسبق منه فى الزمن ؟ ثم إذا كانت العوالم من خلقه هو، فلماذا قال إبليس للمسيح: «إن خررت وسجدت لى؛ أعطيك ممالك العالم ؟» وكيف يجرب الشيطان الإله، والإله خالق الكل ؟ «ثم أخذه أيضا إبليس إلى جبل عال جدا. وأراه جميع ممالك العالم ومجدها، وقال له: أعطيك هذه جميعها إن خررت وسجدت لى. حينئذ قال له يسوع: اذهب ياشيطان؛ لأنه مكتوب: للرب إلهك تسجد، وإياه وحده تعبد» [متى ٤: ٨ - ١٠]

٦ - «الذى من أجلنا نحن البشر، ومن أجل خلاصنا، نزل من السماء وتجسد من الروح القدس»

هم يقولون: المسيح تكَون بكلمة[٢] الله «كن» فقولهم: إن المسيح نزل من السماء باطل:

١ - لأن اسم «المسيح» لايخص الكلمة على مجردها. ولا الجسد على مجرده،

---

(١) العرض: الصفة. والجوهر: هو الجزء الذى لا يتجزأ. لا يقبل القسمة أصلا لا قطعا ولا كسرا، ولا وهما ولا فرضا مطابقا للواقع. وإلا فقد يفرض العقل المحال. ومعنى كونه حادثا: أنه مسبوق بالعدم لأنه لا معنى للحادث إلا ما كان مسبوقا بالعدم. وجميع الأجسام متركبة منه فهى حادثة والعالم بجميع أجزاءه حادث. هذا مذهب المسلمين. وقالت الفلاسفة: جميع الأجسام متركبة فى الهيولَى أى المادة كالطين بالنسبة للإبريق ومن الصورة وهى عندهم جوهر حال فى غيره كالإبريقية الحال فى الطين. وأما عندنا فهى عرض لا جوهر ( جوهرة التوحيد للبيجورى ص ٢٤٦ - طبعة الأزهر )

(٢) يقول يوحنا: «فى البدء كان الكلمة» والمراد بالكلمة «المسيا المنتظر» أى كان وعد الله بإرساله على لسان إشعياء - الأصحاح الأربعون - «وأما كلمة إلهنا فتثبت إلى الأبد» [ انظر كتابنا الاقتباسات ]

بل هو اسم يخص هذا الجسد المأخوذ من [١] مريم [٢] والكلمة. ولم تكن الكلمة فى الأزل تسمى مسيحا. فبطل أن يكون هو الذى نزل من السماء.

٢ - لأنهم يقولون: «تجسد من الروح القدس» لو كان الذى نزل من السماء هو المسيح، لم يكن لتجسده ثانيا معنى، فتجسد المتجسد محال.

٣ - ولأن الموصوف بالنزول. لايخلو أن يكون الكلمة أو الناسوت. فإن زعموا: أن الذى نزل هو الناسوت، فذلك كذب. لأن ناسوته مكتسب من جسد مريم. وإن زعموا أنه اللاهوت. قلنا لهم: أتعنون الآب أو صفته. وهى «العلم» فإن زعموا الآب نزل من السماء وتجسد؛ لزمهم لحوق النقائص بالبارى بالأكل والشرب والقتل وحصر الشيطان وغير ذلك. وإن زعموا أنه العلم المعبر عنه بالكلمة. قلنا لهم: لو جاز تجسده، لجاز بقاء البارى بلا علم أو علم قائم بغيره. وكلاهما محال. والنزول والصعود والحركة والانتقال مستحيل عليه تعالى وعلى صفاته. وإذا كان ذلك كذلك؛ بطل أن يكون النازل من السماء هو المسيح. لأن المسيح اسم موضوع للمعنيين: الكلمة والجسد - عندهم - وإن قالوا: نعنى كلمة «كن» وحدها لاسائر كلام الله، نقول: فلماذا تجسدت هى وحدها دون سائر كلمات الله ؟

٧ - «وتجسد من الروح القدس»

( أ ) ثبت من الإنجيل أن المسيح شخص، والروح القدس شخص آخر. «فلما اعتمد يسوع صعد للوقت من الماء، وإذا السموات قد انفتحت له. فرأى روح الله. نازلا مثل حمامة، وآتيا عليه» [متى ٣: ١٦] وهذا يعنى - إن سلمنا بالنص - أن الأقاليم ذوات متميزة لاذاتا واحدة فى مراحل ثلاث.

(ب) ثم إن المتجسد من الشيء إنما يصح لو كان من جنسه. كالماء مع الماء، والنار مع النار، ولاتجانس بين الإله والإنسان، وبين القديم والحادث.

(ت) وإن سلمنا باعتقادهم أن المسيح تجسد من الروح القدس، فإنه يلزم عليه: أن يكون المسيح ابن الروح القدس، لا ابن الله.

٨ - «وتجسد من الروح القدس، ومن مريم العذراء»

فى الإنجيل يقول لوقا: «لكن العلىّ لايسكن فى هياكل مصنوعات الأيادى. كما يقول النبى: «السماء كرسى لى. والأرض موطئ لقدمى. أى بيت تبنون لى ؟ يقول الرب ؟» [أعمال الرسل : ٤٨ - ٥٠] لقد ادعوا أن الله سكن بطن مريم، مع أن الله لاتناله الأيدى، ولامكان لراحته، ولما كان قد صح أن المسيح مولود، فهو إذاً مخلوق من الله.

٩ - «وقام من الأموات فى اليوم الثالث كما فى الكتب، وصعد إلى السموات، وجلس عن يمين أبيه»

أولا: لم يصعد أحد إلى السموات، ورأى المسيح جالسا عن يمين أبيه، ثم عاد إلى الأرض وأخبر به. ثانيا: من يجلس على يمين شيء أو جهة من جهاته؛ فإنه يدل على حدوث الشيئين معا. ولاخلاف بينهم فى أن جسد يسوع حادث. فإذا قالوا: إن الجسد الحادث قد جلس عن يمين أبيه، فقد اعتقدوا أن البارى تعالى جسم من الأجسام. وفى ذلك يساووا حشوية اليهود، الذين قالوا بأن الله تعالى فى صفة شيخ أبيض الرأس واللحية، وأنه ينزل الى الأرض ويتردد فيها.

وقد جمعوا فى هذا الموضع بين أمرين [1] متناقضين: وهو أنهم قالوا: إن المسيح خالق كل شيء. فإذا قالوا هنا: إن اليهود قتلوه وصلبوه، يلزم عليه: أن يكون اليهود المخلوقين، قتلوا الإله الخالق لكل شيء. وهذا باطل.

١٠ - «وأيضا يأتى فى مجده ليدين الأحياء والأموات. الذى ليس لملكه انقضاء»

إن المسيح لما جاء إلى الحياة الدنيا متجسما؛ أُهين إهانة بالغة من اليهود. ولم يستطع أن يحمى نفسه - كما قالوا - فإذا ما أتى ثانية وهو هو؛ فإنه يحتمل أن يكن عاجزا كالمرة الأولى، ويحتمل أن يكون قويا. والشك فى قوته أقرب من اليقين؛ لأنه كان إلها عاجزا فى الحياة الدنيا. فبطل أن يكون ديانا للأحياء وللأموات؛ لمجرد الاحتمال على أبسط تقدير. هذا مع مافى الإنجيل من أنه لن يأتى مرة أخرى. وهو قوله: «ولست أنا بعدُ فى العالم» [يو ١ : ١١]

---

(١) هما: أن المسيح هو الخالق، وأن اليهود قتلوه.

ثم إنكم تقولون: بأن المسيح قُتل وصلب، ليفدى البشر من خطية آدم. وإذا كان البشر قد رَفع عنهم الخطأ؛ فكيف يكون مجازيا للمحسن وللمسئ ؟

١١ - «ونؤمن بالروح القدس الرب المحيى المنبثق من الآب»

قالت النصارى عن المسيح: إنه «المولود من الآب» وقال الأرثوذكس عن الروح القدس إنه «المنبثق من الآب» وهذا يعنى: أن المسيح بن مريم وروح القدس أخوان، وأن الله أبوهما. وقد ثبت فى إنجيل متى: أن المسيح ليس مولودا من «الآب» بل حبل به من الروح القدس. فأيهما تصدق: قانون الإيمان أم إنجيل متى ؟ يقول متى: «ملاك الرب قد ظهر له فى حلم قائلا: يا يوسف بن داود: لاتخف أن تأخذ مريم امرأتك؛ لأن الذين حبل به فيها هو من الروح القدس» [ متى ١ : ٢٠]

وقد كذّب الكاثوليك قانون الإيمان هذا، واعتبروا الروح القدس منبثق من الآب والابن [١].

١٢ - «وبكنيسة واحدة مقدسة جامعة رسولية»

يعنون الذين كتبوا قانون الإيمان. وفى الإيمان بقانون الإيمان كفر بالتوراة والإنجيل اللذين صرحا بوحدانية الله.

١٣ - «ونعترف بمعمودية واحدة لغفران الخطايا»

هذا يعنى: أن غفران الخطايا يكون بسبب المعمودية. والمعمودية عندهم هى: تغطيس الإنسان فى الماء ثلاث دفعات على مذهب الأرثوذكس، ورشه بالماء على مذهب الكاثوليك [٢]. وهذا لاأصل له فى التوراة . والذى هو فيها: هو تقديم القرابين والذبائح من المخطىء إلى الكاهن [ لاويين ٥] أما المعمودية فبدعة؛ لأن المسيح لم يأت لنسخ التوراة. ويزعم النصارى: أن المعمودية حلّت محل الختان للذكور.

ولقد قالوا: إن الخطايا قد غُفرت بقتل المسيح وصلبه. ولذلك سموه حمل الله الذى يرفع خطية العالم «هو ذا حملُ الله الذى يرفع خطية العالم» [يوحنا ١ : ٢٩]

---

(١) أنظر الجزء الأول من تاريخ الأقباط لزكى شنودة - طبعة ١٩٦٨ م بمصر فى الخلاف بين الأرثوذكس والكاثوليك. صفحة ٢٢٧.

(٢) المرجع السابق.

لقد وقعوا فى تناقض بين أمرين: هل غفران الخطايا بالمعمودية، أم بموت المسيح ؟ فإذا آمنوا بأن المعمودية الواحدة هى التى تغفر خطاياهم وتخلصهم من ذنوبهم، فقد صرحوا بأنه لاحاجة لقتل المسيح. وذلك لاستقلال المعمودية بالخلاص والمغفرة.

***

ولقد لحظ ذلك كله أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ. المتوفى سنة ٢٥٥ هـ فقال فى رسالته المسماة «فى الرد على النصارى» مانصه:

«ولو جهدتَ بكل جهدك، وجمعت كل عقلك أن تفهم قولهم فى المسيح؛ لما قدرت عليه حتى تعرف به حدّ النصرانية، خاصة قولهم فى الإلهية. وكيف تقدر على ذلك وأنت لو خلوت ونصرانى نسطورى، فسألته عن قولهم فى المسيح، لقال قولا، ثم إن خلوت بأخيه لأمه وأبيه وهو نسطورى مثله، فسألته عن قوله فى المسيح؛ لأتاك بخلاف قول أخيه وضده، وكذلك جميع الملكانية واليعقوبية ؟ ولذلك صرنا لانعقل حقيقة النصرانية كما نعرف جميع الأديان [1]» أ. هـ .

وسبب اضطرابهم كما قلنا: هو خلطهم بين الله - عز وجل - وبين النبى المنتظر الذى حرف اليهود نبوءات التوراة عنه؛ ليزعموا أنه يأتى منهم لا من بنى إسماعيل عليه السلام. خلطهم بين الله، والابن، والروح القدس. وقولهم هم واحد. كيف يكون ذلك، ولامساواة بين الخالق وسائر الخلق ؟

---

(١) ص ٢٢ ثلاث رسائل للجاحظ - الأولى فى الرد على النصارى، سعى فى نشره: يوشع فنكل - الطبعة الثانية ١٣٨٢ هـ المطبعة السلفية بمصر.

# الفصل الخامس
# فى
# أقانيم الأرثوذكس والكاثوليك

**النصارى فى العالم فريقان كبيران:**

**١ - نصارى الشرق، ويسمون: الأرثوذكس. ورئاستهم فى مصر.**

**٢ - نصارى الغرب، ويسمون: الكاثوليك. ورئاستهم فى روما. والبروتستانت مع الكاثوليك فى عقيدة الأقانيم [١]**

## عقيدة الأرثوذكس:

**يعتقد الأرثوذكس: أن الله واحد فى أقانيم ثلاثة هكذا:**

**الله عز وجل - تعالى عما يقولون علوا كبيرا - نزل من السماء، واختبأ فى بطن مريم العذراء تسعة أشهر، وكانَ لما دخل بطنها؛ نطفة؛ ثم علقة، ثم مضغة، ثم أصبح جنينا كاملا، ثم خرج طفلا. اسمه عيسى [٢]. ونما كما ينمو الأطفال، ولما بلغ سن الثلاثين؛ بلغ الرسالة، وبعد سنتين وأشهرا قتله اليهود وصلبوه. ثم دفن فى القبر ثلاثة أيام، ونزل إلى الجحيم وهو فى القبر. ثم خرج فى اليوم الثالث وصعد إلى السموات. ويسمى: الآب قبل التجسد. ويسمى: الابن بعد التجسد. ويسمى: الروح القدس. الاسم الذى كان له قبل إنشاء العالم. أى أن عيسى هو الله خالق السماء والأرض، والله هو عيسى.**

**ويستدلون على مذهبهم بقول منسوب للقديس بولس وهو : «الله ظهر فى الجسد. . تبرر فى الروح، تراءى لملائكة، كُرز به بين الأمم، أومن به فى العالم.**

---

(١) الأرثوذكس قديما يسمون: اليعاقبة، والكاثوليك قديما يسمون: الملكانية ( انظر: الملل والنحل. للإمام الشهرستانى )

(٢) الاسم الأصلى العبرى: يهوشوّع وتفسيره: الله مخلّص. ثم صارت يشوع. ثم يسوع. وأما اسم عيسى فمن اليونانى: إيسا. وينطق فى حالة الرفع: إيسوس.

رُفع فى المجـــد» [الأولى إلى تيموثاوس ٣: ١٦]

يقول حبيب جرجس عميد الكلية الإكليريكية بمصر سابقا: «إن فادينا العظيم قد تنازل عن سمـاء مجده، وقبِل أن يتـحد بالإنسان باتخـاذه جسدا حـقيقيـا بنفس عاقلة ناطقة، فحـبل به بقوة الروح القدس فى بطن القديسة الطاهرة مـريم العذراء، آخذا كل مالنـا ماعدا الخطـيئة؛ لأنه قـدوس القديـسين. وقـد مثل آباء الكـنيسة اتحـاد اللاهوت بالناسوت بمثَل تقريبى يبين لنا هذا الاتحاد الشريف: وهو أن الإنسان مركب من جزئين. أحدهما: الجسد الكثيف المأخوذ من التـراب. وثانيهما: النفس العاقلة أو الناطقة. ومع وجود هذين الشـيئين واتحادهما بدون اخـتلاط ولا امتزاج؛ يصـيران شخصـا واحدا ذا طبيعة واحدة. هكذا اتحاد اللاهوت بالناسوت. فاللاهوت هو الجزء البسيط، والناسوت هو الجزء الكثيف. مع النفس الناطقة، وباتحادهما مـعا بدون اختلاط ولا امتزاج؛ صار المسيح ذاتا واحدة. جوهرا واحدا، طبيعة واحدة، مشيئة واحدة (١)»

## عقيدة الكاثوليك:

يقولون: إن الآلهة ثلاثة متميزون ومنفصلون: الآب - الابن - الروح القدس. يقول الكاثوليك فى شرح الآية الأولى من إنجيل يوحنا: «والكلمة كان عند الله:" يعنى: أن الكلمة متميز عمن ولده، فالآب غـير الابن. والابن غير الآب. ومع ذلك فهما شـئ واحـد، فى الطبيعة والذات والحكمة (٢)»

***

والأقانيم على مذهب الأرثوذكس : مراحل. لأن الله انقلب إلى إنسان، واتخذ جسـد إنسان. فله طبيعـة واحدة، ومشيـئة واحدة . والأقانـيم على مذهب الكاثوليك والبروتستانت: ذوات متـميزة؛ لأن عيـسى كما جاء فى كـلام أثناسيوس: «مساو للآب بحـسب لاهوته، ودون الآب بحـسب ناسـوته» ومع هذا التـميـز يقـول الكاثوليك والبرتسانت: بأن الله واحـد. لئلا يكذبوا التوراة والإنجيل المصرحين بالوحـدانية. جاء

---

(١) ص ٢٨ - ٢٠ خلاصة الاصول الايمانية فى معتقدات الكنيسة القبطية الأرثوذكسية.

(٢) ص ٤٧٩ المجلد الثالث - حواش على الكتاب المقدس للكاثوليك - طبعة بيروت سنة ١٩٦٨ م.

فى كلام أثناسيوس: «وهو إن يكن إلها وإنسانا، إنما هو مسيح واحد، لا اثنان. ولكن واحد ليس باستحالة لاهوته إلى جسد، بل باتخاذ الناسوت إلى اللاهوت. واحد فى الجملة، لاباختلاط الجوهر، بل بوحدانية الأقنوم»

و تعبر كلمة «ثرياس» اليونانية عن الأقانيم الثلاثة. ثم استعملت كلمة «ترينيتاس» ومعناها «الثالوث» للدلالة على النصرانية.

وقد أشار القرآن الكريم إلى الأقانيم على المذهبين بقوله تعالى: ( ولاتقولوا ثلاثة )[1] وأشار القرآن إلى مذهب الأرثوذكس بقوله تعالى:

( لقد كفر الذين قالوا: إن الله هو المسيح بن مريم[2] ) وأشار القرآن إلى مذهب الكاثوليك بقوله تعالى: ( لقد كفر الذين قالوا: إن الله ثالث ثلاثة )[3]

وإمعانا فى تمويه الحقائق وتشويهها؛ أثاروا نقاشا طويلا حول «أقنوم الابن» قالوا: هو «علم الله وكلمته وحكمته» فالآب: هو الله. والابن: كلمة الله. هما شخص واحد فى نظر الأرثوذكس. وهما ذوات مستقلة فى نظر الكاثوليك، فالكلمة القديمة - وهى علم الله - انفصلت عن الله وتجسدت. ويعبرون عن العلم بالعقل. ويقولون بانفصال الإنسان عن جسده، وبانفصال روحه عن جسده.

وفى اللغة اليونانية ثلاثة كلمات للتعبير عن معنى «كلمة»:

١ - الكلمة المجردة، مجرد لفظ يعبر عنها: رهماء Rhema

٢ - الكلمة التى تفيد جملة، أو تدل على مثل، أو التى يقولها شخص فتؤخذ منه باعتبارها كلمته. يعبر عنها: إفوس Epos

٣ - الكلمة بمعنى النطق والفكر. يعبر عنها: لُوغوس Logos

ويقول النصارى: إن اللوغوس هو الذى يدل على «الابن» يقول الأنبا أثناسيوس بعد ماقدمنا: «واستعمل القديس يوحنا لفظة Logos للدلالة على الأقنوم الثانى،

---

(١) النساء ١٧١

(٢) المائدة ٧٢

(٣) المائدة ٧٣

وهو لفظ بعيد كل البعد عن مجرد مايعنيه لفظ كلمة فى اللغة العربية، أو **Word** فى الإنجليزية أو ماشابهها [١] »

***

ويجدر بنا أن نذكر هنا صورة القانون الذى نادى به أثناسيوس ، ونسب إليه[٢] والذى يتمسك به الكاثوليك والبروتستانت حرفيا، لنعرف منه بوضوح تميز الأقانيم وانفصالها. إن صورة هذا القانون يعرضها القس إلياس مقار هكذا:

١ - «إن كل من ابتغى الخلاص؛ يجب عليه قبل كل شيء أن يتمسك بالإيمان الكاثوليكى، أى الإيمان الجامع للكنيسة المسيحية.

٢ - وهذا الإيمان كل من لايحفظه دون إفساد، يهلك بدون شك هلاكا أبديا.

٣ - الإيمان الكاثوليكى هو: أن نعبد إلها واحدا فى تثليث. وثالوثا فى توحيد

٤ - لانمزج الأقانيم ولا نفصل الجوهر.

٥ - إن للآب أقنوما على حده، وللابن أقنوما على حده، وللروح القدس أقنوما آخر.

٦ - ولكن الآب والابن والروح القدس لاهوت واحد، ومجد متساوى، وجلال أبدى معا.

٧ - كما هو الآب كذلك الابن. وكذلك الروح القدس.

٨ - الآب غير مخلوق، والابن غير مخلوق، والروح القدس غير مخلوق.

٩ - الآب غير محدود، والابن غير محدود، والروح القدس غير محدود.

١٠ - الآب سرمد، والابن سرمد، والروح القدس سرمد.

١١ - ولكن ليسوا ثلاثة سرمديين، بل سرمد واحد.

١٢ - وكذلك ليسوا ثلاثة غير مخلوقين، ولا ثلاثة غير محدودين، بل واحد غير مخلوق، وواحد غير محدود.

---

(١) ص ٤٩ تفسير يوحنا للأنبا أثناسيوس

(٢) يقول مؤلف: إيمانى: «لا نستطيع أن نجزم من الوجهة التاريخية الخالصة عما إذا كان القانون الأثناسى المعروف باسمه يرجع إليه أم لا ؟» [ ص ٦٣ ]

١٣ - وكـذلك الآب ضابط الـكل، والابن ضابط الكل، والـروح القدس ضابط الكل.

١٤ - ولكن ليسوا ثلاثة ضابطى الكل، بل واحد ضابط الكل.

١٥ - وهكذا الآب إله، والابن إله، والروح القدس إله.

١٦ - ولكن ليسوا ثلاثة آلهة، بل إله واحد .

١٧ - وهكذا الآب رب، والابن رب، والروح القدس رب.

١٨ - ولكن ليسوا ثلاثة أرباب. بل رب واحد .

١٩ - وكما أن الحق المسيحى يُكلفنا أن نـعترف بأن كلا من هذه الأقانيم بذاته: إله ورب.

٢٠ - كـذلك الدين الكاثوليكى ينهـانا عن أن نقـول: بوجـود ثلاثة آلهـة، وثلاثة أرباب.

٢١ - فالآب غير مصنوع من أحد، ولامخلوق. ولامولود.

٢٢ - والابن من الآب وحده غير مصنوع ولا مخلوق. بل مولود.

٢٣ - والروح القدس من الآب والابن ليس بمصنوع ولا مخلوق، ولا مولود بل منبثق

٢٤ - فـإذاً أب واحـد، لا ثلاثة آباء. وابن واحـــد، لا ثلاثة أبناء، وروح قــدس واحد، لاثلاثة أرواح قدس .

٢٥ - وليس فى هذا الثالوث من هو قبل غيـره، أو بعده. ولا من هو أكبر منه ولا أصغر منه.

٢٦ - ولكن جميع الأقانيم سرمديون معا، ومتساوون.

٢٧ - ولذلك فى جميع مـاذكر يجب أن نعبد الوحدانـية فى ثالوث، والثالوث فى وحدانية.

٢٨ - إذاً من شاء أن يخلص، فعليه أن يتأكد هكذا فى الثالوث.

٢٩ - وأيضـا من يلزم له الخلاص؛ أن يؤمن كـذلك بأمـانة، بتجـسد ربنا يســوع المسيح.

٣٠ - لأن الإيمان المستقيم هو: أن نؤمن ونقر: بأن ربنا يسوع المسيح: ابن الله؛ هو

إله وإنسان.

٣١ - هو إله من جوهر الآب. مولود قبل الدهور، وإنسان من جوهر أمه، مولود فى هذا الدهر.

٣٢ - إله تام، إنسان تام، كائن بنفس ناطقة، وجسد بشرى.

٣٣ - مساو للآب بحسب لاهوته، ودون الآب بحسب ناسوته.

٣٤ - وهو وإن يكن إلها وإنسانا إنما هو مسيح واحد لا اثنان.

٣٥ - ولكن واحد ليس باستحالة لاهوته إلى جسد. بل باتخاذ الناسوت إلى اللاهوت.

٣٦ - واحد فى الجملة، لا باختلاط الجوهر. بل بوحدانية الأقنوم.

٣٧ - لأنه كما أن النفس الناطقة والجسد، إنسان واحد، كذلك الإله والإنسان مسيح واحد.

٣٨ - هو الذى تألم لأجل خلاصنا، ونزل إلى الجحيم [1] وقام أيضا فى اليوم الثالث من بين الأموات.

٣٩ - وصعد إلى السماء. وهو جالس عن يمين الآب الضابط الكل.

٤٠ - ومن هناك يأتى ليدين الأحياء والأموات.

٤١ - الذى عند مجيئه يقوم أيضا جميع البشر بأجسادهم. ويؤدون حسابا عن أعمالهم الخاصة.

٤٢ - فالذين فعلوا الصالحات يدخلون الحياة الأبدية. والذين عملوا السيئات يدخلون إلى النار الأبدية.

٤٣ - هذا هو الإيمان الكاثوليكى الذى لايقدر الإنسان أن يخلص من دون أن يؤمن به، بأمانة ويقين [2]» أ. هـ.

***

(١) ص ٦٣ - ٦٥ إيمانى.

(٢) أى عالم الأرواح أو الهاوية أو بقاء المسيح تحت سلطان الموت إلى اليوم الثالث ( كلام مؤلف إيمانى ص ٦٥ )

وإن سألت النصارى: لم ظهر الله فى الجسد ؟ لأجابوا جميعا بما يلى:

لما خلق الله آدم وحواء وأسكنهما الجنة، أمرهما أن لايأكلا من شجرة الخلد، فعصيا الأمر وأكلا. لذلك صارا خاطئين، واستحقا الطرد من الجنة، واللعن من الله. ولما كانا قد طردا ولعنا، فإن الله ظل غاضبا على أولادهما، وظل يحسب عليهم جميعا إثم آدم وحواء، حتى جاء المسيح، وقُتل كفارة عن خطايا البشر. يقول حبيب جرجس:

«إن خطية آدم عمّت جميع نسله، وعادت بالويل والشقاء على سائر الجنس البشرى، وصار محكوما عليهم بأن يُولدا أثمة، وعبيدا للخطية والموت. وذلك لأن آدم لم يلدهم إلا وهو فى حالة الإثم والمعصية والغضب، فبناء عليه كان جميع الجنس المتناسل منه بالطبيعة آثما ومخطئا وواقعا فى المعصية، ومعاقبا عليها. كما عوقب آدم وزوجته من قبل. ولذلك حسبت المعصية عليهم كما حسبت عليه. . . ولما فسد الجنس البشرى وصار الناس مستعبدين للخطيئة وأبناء للمعصية والغضب؛ لم يتركهم الله يهلكون بانغماسهم فيها، بل شاء بمجرد رحمته أن ينقذنا من الهلاك بواسطة فادٍ يفدينا من حكم الموت. وهذا الفادى ليس إنسانا ولا مَلاكا ولا خليقة أخرى، بل هو مخلّصنا وفادينا؛ ابن الله الوحيد. ربنا يسوع المسيح. الذى له المجد إلى الأبد. آمين [1]»

***

هذا القول يعنى: أن الله قد غضب على الجنس البشرى. وأنه هو نفسه نزل من علياء مجده؛ ليحل فى بطن امرأة. ثم يأخذ جسد إنسان، ثم هو نفسه يُقتل على أيدى اليهود الآثمين، ثم يوضع فى القبر وينزل إلى النار؛ ليعذب فيها ثلاثة أيام. ثم يقوم ناقضا أوجاع الموت، ويصعد إلى السموات.

إننى لا أستطيع أن أفهم الحكمة من ذلك. لأن غضب الله على آدم وحواء. إن كان فهو بالضرورة واقع عليهما أنفسهما - وقد تابا - لا على أبنائهما من بعدهما. كيف وفيهم أنبياء ورسل هم آباء المسيح نفسه بحسب الأم ؟ فيهم على سبيل المثال:

---

(١) ص ٢٣ - ٢٧ خلاصة الأصول الإيمانية.

إبراهيم وإسحق ويعقوب وموسى وهارون وزكريا ويحيى - عليهم السلام -

ثم غضب الله على إنسان يعنى: أن يتقرب هذا الإنسان من الله؛ ليرفع غضبه عنه، لا أن يُهلك الله نفسه من أجل الإنسان. هذا الذى كان معدوما من قبل. ومعلوم بداهة: أن الحاجة من الإنسان إلى الله، وليست الحاجة من الله إلى الإنسان. كيف وقد كان الله كائنا قبل وجود الناس ؟

ثم إننا نسأل النصارى هذين السؤالين: هل تغير حال الدنيا من بعد المسيح عما كان قبله ؟ سيقولون: لا. هل أنتم امتزتم عن سائر الناس بشيء ؟ وسيقولون: لا. ذلك لأنه لامزية لهم على سائر البشر، فإنهم يكدّون ويكدحون فى طلب الرزق والسعى فى الأرض كسائر الناس. منهم الفقير والغنى. وإن التوراة قد فرضت أحكاما فى العبادات والمعاملات. قد التزم بها عيسى وتلاميذه وعمل بها وأمر أتباعه أن يعملوا بها ومن لايعمل بها يعتبر ملعونا «ملعون من لايقيم كلمات هذا الناموس ليعمل بها» [ التثنية ٢٧ : ٢٦] وأن التوراة لتصرح بأن من لايعمل بالشريعة وكذلك الإنجيل لن ينجو من عذاب جهنم. فى توراة موسى التوراة العبرانية المتداولة حاليا عن يوم القيامة يقول الله تعالى: «أليس ذلك مكنوزا عندى ؟ مختوما عليه فى خزانتى ؟ لى النقمة والجزاء فى وقت تزل أقدامهم» [التثنية ٣٢ : ٣٤] وفى التوراة السامرية:[1] «أليس ذلك مكنوزا عندى ؟ ومختوما عليه فى خزائنى إلى يوم الانتقام» وفى الإنجيل: «خير لك أن يهلك أحد أعضائك، ولا يلقى جسدك كله فى جهنم. وإن كانت يدك اليمنى تُعثرك؛ فاقطعها وألقها عنك؛ لأنه خير لك أن يهلك أحد أعضائك، ولايُلقى جسدك كله وفى جهنم» [متى ٥ : ٢٩ - ٣٠] فأى مزية لهم وهم كسائر الناس ؟ وأى تغير فى الدنيا قد حصل من بعد المسيح، ومازال الدنيا مليئة بالخير والشر، وبالسرور. والأحزان، وبالسلام والحرب، وبالأمن والخوف ؟

وإذا كان ذلك هو قصد الله - عز وجل - فلماذا لم يعلنه للجنس البشرى من بدء الخليقة على ألسنة الأنبياء والرسل ؟ لماذا لم يوضحه موسى فى كتابه ؟ ولماذا لم

---

(١) انظر ص ٩ التاريخ مما تقدم عن الآباء - تأليف أبو الفتح بن أبى الحسن السامرى - طبع ألمانيا ١٨٦٥.

يوضحه المسيح. فى الإنجيل ؟

إن كتاب موسى قد وضح: أن كل امرئ بما كسب رهين: وكذلك وضح كتاب المسيح يقول الله فى التوراة: «لايُقتل الآباء عن الأولاد، ولايقتل الأولاد عن الآباء. كل إنسان بخطيته يقتل» [التثنية ٢٤: ١٦] ويقول: «النفس التى تخطئ؛ هى تموت. الابن لايحمل من إثم الأب، والأب لايحمل من إثم الابن. برّ البار؛ عليه يكون. وشر الشرير؛ عليه يكون» [حزقيال ١٨ : ٢٠] وفى إنجيل متى يقول المسيح فى موعظة الجبل: «فكل من يسمع أقوالى هذه ويعمل بها؛ أشبهه برجل عاقل بنى بيته على الصخر؛ فنزل المطر وجاءت الأنهار وهبت الريح ووقعت على ذلك البيت، فلم يسقط؛ لأنه كان مؤسسا على الصخر. وكل من يسمع أقوالى هذه ولايعمل بها يشبه برجل جاهل بنى بيته على الرمل فنزل المطر وجاءت الأنهار، وهبت الرياح، وصدمت ذلك البيت فسقط. وكان سقوطه عظيما» [متى : ٢٤ - ٢] وفى سطر الحكمة فى الأصحاح العاشر: أن آدم تاب، وتاب الله عليه. والتائب من الذنب، كيف تنتقل ذنوبه إلى أبنائه ؟

***

على أنه قد ورد فى كتب التواريخ المسيحية المدونة من قبل ظهور الإسلام بكثير: أن المسيح لم يقتل ولم يصلب. وهذا يعنى الشك - على أقل تقدير - فى عقيدة الصلب والفداء، وأنها ليست محل إجماع. حينما توجه جند الرومان بمساعدة تلميذ عيسى الذى خانه، ويُدعى «يهوذا الأسخريوطى» للقبض على عيسى؛ ألقى الله - عز وجل - القادر على كل شيء؛ شبه عيسى على ذلك التلميذ، فأخذوه مستيقنين أنه عيسى وقتلوه وصلبوه . يقول بَرنابا: «دخل يهوذا بعنف إلى الغرفة التى أُصعد منها يسوع، وكان التلاميذ كلهم نياما. فأتى الله العجيب بأمر عجيب، فتغير يهوذا فى النطق وفى الوجه، فصار شبيها بيسوع، حتى أننا اعتقدنا أنه هو يسوع. أما هو فبعد أن أيقظنا؛ أخذ يفتش لينظر أين كان المعُلّم ؟ لذلك تعجبنا وأجبنا: أنت هو ياسيد هو. معلمنا. أنسيتنا الآن ؟ أما هو فقال مبتسما: هل أنتم أغبياء حتى لاتعرفون يهوذا

الإسخريوطى ؟ وبينما كان يقول هذا، دخلت الجنود وألقوا بأيديهم على يهوذا؛ لأنه كان شبيها بيسوع من كل وجه» [برنابا ٢١٦ : ١ - ٩]

وقال مؤلف فى هذا الشأن: إن فى الأناجيل الأربعة مايوحى بإلقاء شبه عيسى على شخص آخر؛ لأنهم سوف يشكّون فيه. هل هو هو أم لا ؟ «قال لهم يسوع: كلكم تَشُكُون فىَّ هذه الليلة» [متى ٢٦ : ٣١ مرقس ١٤ : ٢٧] ففى هذا الشك مايدل على إلقاء الشبه على غيره.

والحق: أن من أوصاف النبى الآتى على مثال موسى: أنه لايقتل بيد أعدائه؛ وهم يريدون وضع النبوءات عنه على عيسى. وإذا هم وضعوها وقالوا بقتله؛ فإنه يلزم الشك فى أن عيسى هو النبى الآتى. ولتفادى هذه الشبهة فى المستقبل؛ كتبوا أنه قال لهم: «كلكم تشكّون فىّ هذه الليلة»

***

و يقول القديس الفونسوس ماريا دى ليكورى. فى الجزء الخاص ببدع القرن الأول المسيحى فى كتابه «تاريخ الأرطقات مع دحضها»: إن باسيليدى كما كتب فلورى نفسه، يقول: إن نوس هذا الذى هو يسوع المسيح، كان قوة غير هيولية، وكان يتشح ماشاء من الهيئات. ولذا لما أراد اليهود صلبه، أخذ صورة سِمعان القروى، وأعطاه صورته. فصُلب سمعان لا يسوع، الذى كان يسخر باليهود. ثم عاد غير منظور وصعد إلى السماء» [1]

***

ويقول جورجى زيدان: «الخياليون يقولون: إن المسيح لم يصلب حقيقة، وإنما صلب رجل آخر مكانه [2] »

ولماذا قال النصارى بالخلاص ؟ لأن من أوصاف النبى الآتى على مثال موسى أن

---

(١) ص ١٧ تاريخ الأرطقات مع دحضها المعنون انتصار الديانة، ترجمه من الإيطالية الخورى يوسف إلياس الدبس المارونى سنة ١٨٥٢ مطبعة الرهبنة اللبنانية ١٨٦٤ م.

(٢) تاريخ التمدن الإسلامى ج ١ ص ٥٤ طبعة دار الهلال بمصر.

يخلص المؤمنين به من أمم الكفر بالحرب والقتال. ولما أرادوا وضع نبوءات التوراة عنه على عيسى عليه السلام، ابتدعوا هذه البدعة. وهى: أن الخلاص ليس بالحرب وفتح البلاد بقوة السيوف والرماح؛ وإنما هو خلاص من الخطايا. وقد قام به المسيح على الصليب. وكل ذلك هو للغو فى نبوة محمد صلى الله عليه وسلم.

والعقل يستطيع دحض هذه العقيدة تماما. لأن وجود الله داخل بطن مريم تسعة أشهر؛ يستلزم منه: أن يكون غافلا عن شيءون العالم، فى هذه المدة. ووجوده مقتولا ومصلوبا؛ يستلزم منه: أن يكون عاجزا عن حماية نفسه. فضلا عن حماية غيره.

إن العقل ليقول:

١ - إن الإله عبارة عن موجود واجب الوجود لذاته، يجب أن لايكون جسما ولامتحيزا ولاعرضا. وعيسى عبارة عن هذا الشخص البشرى الجسمانى الذى وُجد بعد أن كان معدوما، وقُتل بعد أن كان حيا - على قولكم - وكان طفلا أولا، ثم صار مترعرعا ثم صار شابا. وكان يأكل ويشرب، ويحدث وينام ويستيقظ. وقد تقرر فى بدائه العقول: أن المحدَث لايكون قديما، والمحتاج لايكون غنيا، والممكِن لايكون واجبا، والمتغيرلايكون دائما.

٢ - إما أن يقال بأن الإله هو هذا الشخص الجسمانى المشاهد، أو يقال: حل الإله بكليته، أو حل بعض الإله وجزء منه فيه. والأقسام الثلاثة باطلة. أما الأول: فلأن إله العالم لو كان هو ذلك الجسم. فحين قتله اليهود، كان ذلك قولا بأن اليهود قتلوا إله العالم. فكيف بقى العالم بعد ذلك من غير إله ؟ ثم إن أشد الناس ذلا ودناءة هم اليهود. فالإله الذى تقتله اليهود هو إله يكون فى غاية العجز. وأما الثانى: وهو أن الإله بكليته حلّ فى هذا الجسم؛ فهو أيضا فاسد؛ لأن الإله. إن لم يكن جسما ولا عرضا؛ امتنع حلوله فى الجسم. وإن كان جسما فحينئذ يكون حلوله فى جسم آخر، عبارة عن اختلاط أجزائه بأجزاء ذلك الجسم. وذلك يُوجب وقوع التفرقة فى أجزاء ذلك الإله. وإن كان عَرَضا، كان محتاجا إلى المحل، وكان الإله محتاجا إلى غيره. وكل ذلك سخيف . وأما الثالث: وهو أنه حلَّ فيه بعض من أبعاض الإله وجزء من أجزائه. فذلك أيضا محال؛ لأن ذلك الجزء. إن كان معتبرا فى الإلهية فعند انفصاله

عن الإله، وجب أن لايبقى الإله إلها. وإن لم يكن معتبرا فى تحقيق الإلهية ، لم يكن جزءا من الإله.

٣ - لقد ثبت بالتواتر: أن عيسى - عليه السلام - كان عظيم الرغبة فى العبادة والطاعة لله تعالى. ولو كان إلها لاستحال ذلك. لأن الإله لايعبد نفسه. وهو قد قال للشيطان: «مكتوب: للرب إلهك، تسجد، وإياه وحده، تعبد» [متى ٤ : ١٠]

إن العقل يستطيع دحض هذه العقيدة بمثل ماقدمنا. ولكن النصارى أنفسهم يقولون: إن عقيدتنا فوق مستوى العقول، وإننا لانفهمها، وإنها سر يستحيل على العقل أن يتصوره وأن يتخيله، فضلا عن أن يسلّم بإمكانه. وإذا كان هذا هو رأيهم، فماذا نقول لهم ؟ ولماذا نجهد أنفسنا فى مناقشتهم بالعقل ؟ إنه يتعين علينا أن نناقشهم بنصوص من التوراة والإنجيل؛ لأن هذه الكتب موحى بها من الله - فى نظرهم - وهم يتعلمون منها، ويعلّمون بها.

يقول القس إلياس مقار تحت عنوان «الإيمان بالثالوث فى الإله الواحد»: «إن الله الواحد الشخص الروح. ذو ثلاثة أقانيم. وواضح أن هذه العقيدة مما تنفرد به المسيحية عن غيرها من الديانات والفلسفات القديمة والحديثة. إذ لامراء أن صفحات التاريخ لم تسجل على وجه الإطلاق عقيدة اعتنقها دين أو فكر كهذه التي يؤمن بها المسيحيون. على أننا ونحن نتأمل هذه العقيدة بشيء من التفصيل والتوضيح، لامندوحة لنا من الاعتراف بأننا إزاء سرّ من أعمق أسرار الوجود والحياة. وإذا كان «أوغسطينوس» و «كلفن» قد اعترفا بأن اللغة اللاتينية على مافيها من غنى وجمال؛ عاجزة كل العجز عن التعبير عن كنهها وعمقها؛ فإننا نقول ماهو أكثر. إذ نقول: إن بيان البشر أو الملائكة أعجز من أن يسبر غورها، إلا إذا أمكنه أن يبلغ المستحيل [١]»

إن التوراة تصرح بأن الله واحد لاشريك له فى ملكه، وأنه هو وحده خالق السموات والأرض، وأنه هو وحده يحيى ويميت، وهو على كل شيء قدير. وليس كمثله شيء. وهو السميع البصير.

---

(١) ص ٦٠ - ٦١ إيمانى.

١ - «اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد؛ فتحبّ الرب إلهك من كل قلبك، ومن كل نفسك، ومن كل قوتك. ولتكن هذه الكلمات التى أنا أوصيك بها اليوم على قلبك، وقُصّها على أولادك، وتكلم بها حين تجلس فى بيتك، وحين تمشى فى الطريق، وحين تنام، وحين تقوم. واربطها علامة على يدك، ولتكن عصائب بين عينيك، واكتبها على قوائم أبواب بيتك، وعلى أبوابك» [التثنية ٦ : ٤ - ٩]

٢ - «احمدوا الرب، لأنه صالح. لأن إلى الأبد رحمته. احمدوا إله الإلهة؛ لأن إلى الأبد رحمته. احمدوا رب الأرباب؛ لأن إلى الأبد رحمته. الصانع العجائب العظام وحده. لأن إلى الأبد رحمته» [مزمور ١٣٦ : ١ - ٦]

والأناجيل المعترف [١] بها تصرح بوحدانية الله، وأن عيسى عبد الله ورسوله:

١ - فى إنجيل يوحنا قال المسيح لله عز وجل: «وهذه هى الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقى وحدك، ويسوع المسيح الذى أرسلته» [يوحنا ١ : ٣] فقد بين عيسى عليه السلام أن الحياة الأبدية هى عبارة عن أن يعرف الناس: أن الله واحد حقيقى، وأن عيسى عليه السلام رسوله. وماقال: إن الحياة الأبدية أن يعرفوا أن ذاتك ثلاثة أقانيم ممتازة بامتيار حقيقى، أو أن عيسى. إنسان وإله. أو أن عيسى إله مجسم. وإذا ثبت أن الحياة الأبدية هى اعتقاد التوحيد لله، واعتقاد الرسالة للمسيح؛ فضدهما يكون موتا أبديا، وضلالا بينا.

٢ - فى إنجيل مرقس: «فجاء واحد من الكتبة وسمعهم يتحاورون. فلما رأى أنه أجابهم حسنا. سأله: أية وصية هى أول الكل ؟ فأجابه يسوع: إن أول كل الوصايا هى: اسمع ياإسرائيل الرب إلهنا رب واحد، وتحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك ومن كل قدرتك. هذه هى الوصية الأولى. وثانية مثلها هى: تحب قريبك كنفسك. ليس وصية أخرى أعظم من هاتين. فقال له الكاتب: جيدا يامعلم بالحق قلت؛ لأنه الله واحد وليس آخر سواه . ومحبته من كل القلب ومن كل الفهم ومن كل النفس ومن كل القدرة. ومحبة القريب كالنفس؛ هى أفضل من جميع

(١) الناموس: التوراة والأنبياء: كتب الأنبياء الذى أتوا من بعد موسى.

المحرقات والذبائح. فلما رآه يسوع أنه أجاب بعقل، قال له: لستَ بعيدا عن ملكوت الله» [مرقس ١٢: ٢٨ - ٣٤] وفى الأصحاح الثانى والعشرين من إنجيل متى قال المسيح بعد ذكر الحكمين السابقين: «بهاتين الوصيتين يتعلّق الناموس [١] كله والأنبياء» فعُلم: أن أول الوصايا - الذى هو مصرح به فى التوراة وفى جميع كتب الأنبياء، وهو الحق، وهو سبب قرب الملكوت - أن يعتقد الإنسان بأن الله واحد، ولاإله غيره.

٣ - قال عيسى عليه السلام: «وأما ذلك اليوم وتلك الساعة، فلا يعلم بهما أحد ولا الملائكة الذين فى السماء، ولا الابن [٢]. إلا الآب» [مرقس ١٣: ٣٢] وهذا القول ينادى على بطلان التثليث. لأن عيسى عليه السلام خصص علم الغيب بالله، ونفاه عن نفسه، كما نفاه عن عباد الله الآخرين، وسوى بينه وبينهم فى هذا. فلو كان المسيح إلها متجسدا، لعلم. ولو كانت كلمته هى التى تجسدت لعلم أيضا؛ لأن الكلمة عندهم قديمة أزلية ومنفصلة عن الله القديم الأزلى. وهى والله - على رأيهم - شيء واحد.

٤ - فى إنجيل متى: «وإذا واحد تقدم، وقال له: أيها المعلّم الصالح أى صلاح أعمل؛ لتكون لى الحياة الأبدية ؟ فقال له: لماذا تدعونى صالحا ؟ لَيس أحد صالحا إلا واحد. وهو الله» [متى ١٩: ١٦ - ١٧] فهذا القول يقلع أصل التثليث لأنه مارضى تواضعا أن يطلق عليه لفظ الصالح. ولو كان إلها، لما كان لقوله معنى، ولكان عليه أن يبين: لا صالح، إلا الآب وأنا وروح القدس.

٥ - فى إنجيل متى: «ونحو الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلا: إيلى إيلى لما شبقتنى ؟ أى إلهى إلهى لماذا تركتنى [٣] ؟... فصرخ يسوع أيضا بصوت عظيم وأسلم الروح» [متى ٢٧: ٤٦ - ٥٠] وفى إنجيل لوقا: «ونادى يسوع بصوت عظيم وقال: ياأبتاه فى يديك أستودع روحى. ولما قال هذا، أسلم الروح. فلما رأى قائد المئة

---

(١) الاناجيل المعترف بها هى:
١ - متى ٢ - مرقس ٣ - لوقا ٤ - يوحنا.

(٢) يقصد الابن فى قول داود «أنت ابنى»

(٣) اعلم: أن «إلهى إلهى لماذا تركتنى ؟» و «يا أبتاه فى يديك أستودع روحى» هما نبوءتان عن محمد ﷺ فى سفر المزامير. وقد طبقهما النصارى على المسيح وهو على الصليب. وهذا مبين فى كتابنا {اقتباسات كتّاب الأناجيل من التوراة}

ماكان؛ مجّد الله قائلا: بالحقيقة كان هذا الإنسان بارا» [لو ٢٣: ٤٦ - ٤] وهذا القول ينفى ألوهية المسيح رأسا. سيما على مذهب الأرثوذكس القائلين بالانقلاب؛ لأنه لو كان إلها لما استغاث بإله آخر، ولامتنع العجز عليه والموت. لأنه فى التوراة: «أما عرفت أم لم تسمع ؟ إله الدهر الرب خالق أطراف الأرض؛ لا يكلّ ولايعيا. ليس عن فهمه فحص» [إشَعيا ٤٠ - ٢٨]

٦ - قال المسيح لمريم المجدلية: «لاتلمسينى؛ لأنى لم أصعد بعدُ إلى أبى، ولكن اذهبى إلى إخوتى وقولى لهم: إنى أصعد إلى أبى وأبيكم، وإلهى وإلهكم» [يوحنا ٢٠ - ١] فسّوى بينه وبين الناس فى هذ القوَل «أبى وأبيكم، وإلهى وإلهكم» لكيلا يتقولوا عليه الباطل، فيقولوا: إنه إله أو ابن إله. فكما أن تلاميذه عباد لله، وليسوا بأبناء لله حقيقة، بل بالمعنى المجازى. كما يقول الشيخ لتلميذه يابنى؛ فكذلك هو عبد لله وليس بابن الله حقيقة. ولما كان هذا القول منه بعد ماقام من الأموات - على زعمهم - قبل رفعه إلى السماء بقليل. ثبت: أنه كان يصرح بأنى عبد الله إلى زمان الرفع. وهذا القول يطابق ماأوحى الله عنه فى القرآن الكريم: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ [(1)] )

٧ - قال عيسى عليه السلام: «لأن أبى أعظم منى» [يوحنا ١٤: ٢٨] ففيه أيضا نفى لألوهيته؛ لأن الله ليس كمثله شيء، فضلا عن أن يكون أعظم منه.

٨ - قال المسيح: «الكلام الذى تسمعونه، ليس لى، بل للآب. الذى أرسلنى» [يوحنا ١٤: ٢٤] ففيه أيضا تصريح بالرسالة، وبأن الكلام الذى تسمعونه وحى من جانب الله.

***

ومن يبحث عن ذات الله فى التوراة والإنجيل يجد حقيقة واحدة لااختلاف فيها. وهى: أن الله واحد، ولاشريك معه، وليس كمثله شيء: فإن أول آية فى التوراة تنص: «فى البدء خلق الله السموات والأرض» أى أن الله وحده هو الخالق، ولاشريك

---

(١) المائدة ١١٧

معه. وأنه هو وحده الذى بارك نوحا عليه السلام أول نبى صاحب دعوة عالمية «وبارك الله نوحا وبنيه» [تك ٩ : ١] وأنه هو وحده الذى تحدث عنه ملك ساليم [أورشليم = القدس] فقال عنه لإبراهيم عليه السلام: «مبارك أبرام من الله العلى مالك السموات والأرض. ومبارك الله العلى الذى أسلم أعداءك فى يدك» [تكوين ١٤: ١٩ - ٢٠] وأنه هو الذى تحدث مع إبراهيم «وقال له: أنا الله القدير سر أمامى، وكن كاملا» [تك ١٧ : ١] وأنه هو الذى قال عنه إبراهيم نافيا عنه الظلم: «أديان كل الأرض لايصنع عدلا ؟» [تك ١٨ : ٢٥] وهو نفسه الإله الذى طلب منه إسحق عليه السلام أن يبارك يعقوب. إذ قال ليعقوب: «ليعطك الله من ندى السماء» [تك ٢ : ٢٨] وهو نفسه الإله الذى نادى يعقوب عليه السلام: «قال: أنا الرب إله إبراهيم أبيك وإله إسحق» [تك ٢٨ : ١٣] وهو نفسه الإله الذى به بارك يعقوب أولاده، وأوصاهم حين حضره الموت: «ها أنا أموت ولكن الله سيكون معكم» [تك ٤٨ : ٢١] «ولما فرغ يعقوب من توصية بنيه، ضم رجليه إلى السرير وأسلم الروح» [تك ٤٩ - ٣٣] وهو نفسه الإله الذى ظهر لموسى عليه السلام فى طور سيناء، وقال له: «لاتقترب إلى ههنا. اخلع حذاءك من رجليك؛ لأن الموضع الذى أنت واقف عليه: أرض مقدسة. ثم قال: أنا إله أبيك إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب» [خروج ٣: ٥ - ٦] وأنه هو الذى كلم موسى قائلا: «أنا الرب إلهك الذى أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية لايكن لك آلهة أخرى أمامى» [خروج ٢٠: ١ - ٢] ولقد قال موسى: ( أرنى أنظر إليك ). فقال له: «لاتقدر أن ترى وجهى؛ لأن الإنسان لايرانى ويعيش» [خروج ٣٣: ٢٠] وبناء على ذلك: فإن من يكون مرئيا لايكون إلها. ويقول الله عن نفسه: «أنا أنا هو، وليس إله معى. أنا أميت وأحيى» [تث ٣٢: ٣٩] وقد وصفه موسى بقوله: «ليس مثل الله» [تثنية ٣٣: ٢٦]

هذا هو الله وحده. كما تحدثت عنه التوراة المنسوبة إلى موسى عليه السلام. إله واحد لاشريك معه، ولايقدر إنسان أن يراه. وليس كمثله شيء.

الأنبياء الذين أتوا من بعد موسى تحدثوا عن الله بمثل ماتحدث عنه السابقون،

ووصفوه بالأوصاف الواردة عنه فى توراة موسى. ففى زبور داود عليه السلام مانصه: «من قبل أن تولد الجبال أو أبدأت الأرض والمسكونة. منذ الأزل إلى الأبد أنت الله» [مزمور ٩٠: ٢] وفيه: إن كل شيء كان بكلمة الله «بكلمة الرب صنعت السموات، وبنسمة فيه كل جنودها» [مزمور ٣٣: ٦]

وفى سفر الملوك الأول يقول سليمان عليه السلام عن الله تعالى مانصه: «هل يسكن الله حقا على الأرض ؟ هو ذا السموات وسماء السموات لاتسعك» [الملوك الأول ٨: ٢]

وفى سفر إشعياء ما نصه: «حقا أنت محتجب ياإله إسرائيل» [إشعياء ٤٥: ١٥]

وفي سفر يونان: أن يونس عليه السلام لما ذهب إلى أهل نِينَوىَ «وقال بعد أربعين يوما تنقلب نينوى، فآمن أهل نينوى بالله» [يونان ٣: ٤ - ٥] وفى سفر ملاخى وهو آخر أسفار الأنبياء فى التوراة العبرانية: «أليس أب واحد لكلنا ؟ أليس إله واحد خلقنا ؟» [ملاخى ٢: ١٠]

فأنت ترى مما تقدم: أن ناموس موسى، والأنبياء، تحدثوا عن الله الواحد، وبينوا: أنه لاشريك له، وليس كمثله شيء، وهو فى كل مكان، ولا يُوصف بصفات الحوادث.

***

ترى بعد ذلك ماذا يقول المسيح بن مريم عليه السلام وهو آخر أنبياء بنى إسرائيل؟ إنه سارع على الفور فى بدء نبوته، وألقى خطبة على الجبل قال فيها مانصه: «لاتظنوا أنى جئت لأنقض الناموس، أو الأنبياء» [متى ٥: ١٧]

لم ينسخ كتاب موسى ولا كتب الأنبياء الذين أتوا من بعده. وبناء عليه: فإنه قد اعترف بالإله الواحد، الذي لا شريك له وليس كمثله شيء، كما اعترف به الرسل السابقون عليه. ولو كان هو مغيرا لهذه العقيدة، لما كان

يصرح بالتزامه بالناموس والأنبياء، وكان يصـرح بالعقيدة الجديدة التى يُريد أن يوضحها للناس. ولما كان هو قد التزم بالناموس والأنبيـاء؛ فإنه يكون مقرا بالوحدانية للإله جل جلاله.

وهذا هـو مـا صـرح به كتّـاب الأنـاجيل عنه. فـإن متى يقـول: «جاء إلى يسـوع كـتـبة وفـريسيُّـون الذين من أورشليم قائلـين: لماذا يتعدّى تـلاميذك تقـليد الشيوخ ؟ فإنهم لايغسلون أيديهم حينما يأكلون خبزا ؟ فأجاب وقال لهم: وأنتم أيضا: لماذا تتعدون وصية الله بسـبب تقليدكم ؟ فإن الله أوصى قائلا: أكرم أباك وأمك، ومن يشتم أبا أو أما؛ فليمت موتا، وأما أنتم فتقولون: من قال لأبيه أو أمه: قربان هو الذى تنتفع به منى. فلا يكـرم أباه، أو أمه. فقد أبطلتم وصية الـله بسبب تقليدكم» [مـتى ١٥: ١ - ٦] لقد رى متى: أن المسيح كان أستاذا. له تلاميذ، وأنه كان يعلمهم وصايا الله، الذى نقل شـريعـته إلى الناس مـوسى، وأنه وبخـهم على إبطالهم لوصـايا الله الواردة فى التـوراة، وعلى اتباعهم لكـلام علمائهم الذين شـرعّوا لهم مـالم يأذن به الله.

***

وفى كتب تواريخ النصارى، وتفـاسير أناجيلهم المعتـبرة: أن الأحزاب من بينهم قد اختلفوا من بعد رفع المسيح إلى السماء. واذكر ههنا شواهد يسيرة للبيان:

أ - فى كتاب تاريخ الأقباط:

١ - قال باريـليدس: «حين أراد اليـهود أن يصلبـوه - أى المسيح - اتخـذ صورة سمعـان القروى، وأعطاه صورته؛ فصُلب سمعـان، أما يـسوع فقد صعـد إلى السماء. وقد نشر باريليدس مذهبه بين الناس سرا؛ فتبعه كثيرن، واستمر هذا المذهب قائما حتى أواخر القرن الرابع [1]»

(١) ص ١٤٥ تاريخ الاقباط ج ١.

٢ - قال بولس السمساطى: «إن ابن الله لم يكن من الأزل. بل ولد إنسانا»[1]

٣ - قال آريوس: «الآب أقدم من الابن، لأنه خلق الابن من العدم، فالابن إذاً غير مساو للآب فى الجوهر. لأنه أدنى منه فى الطبيعة والمنزلة»[2]

٤ - قال مكيدونيوس: «إن الروح القدس عمل إلهى منتشر فى الكون، وليس أقنوما متميزا عن الآب والابن»[3]

٥ - قال نسطور: «إن مريم لم تلد إلها. بل مايولد من الجسد ليس إلا جسدا، ومايولد من الروح هو روح، إن الخليقة لم تلد الخالق، بل ولدت إنسانا هو آلة اللاهوت»[4]

٦ - قال أوطاخى: «إن طبيعة المسيح الناسوتية، اندمجت فى اللاهوتية»[5]

٧ - قال يوليانوس الهليكارنسوس سنة ٥١٩ م : «إن الطبيعة الإلهية اتحدت بجسد السيد المسيح، منذ حبل به، فتغير فى طبيعته، وصار عديم الفساد»[6]

٨ - قامت فى القرن السادس طائفة تعارض رأى يوليانوس وتقول: «إن جسد المسيح كان نظير جسدنا قابلا للفناء والفساد»[7]

٩ - روى مؤرخو اللاتين والأروام: أن البابا دميان البطريرك الخامس والثلاثين فى القرن السادس، اعتقد أن لكل من الأقانيم الثلاثة وجودا خاصا، وأن للثلاثة معا وجودا رابعا[8].

١٠ - وزعم «لوكيوس» فى القرن التاسع أن الروح القدس منبثق من الآب والابن[9].

ب - فى كتاب: تفسير إنجيل يوحنا للأنبا أثناسيوس مانصه:

---

(١) ١٤٨ ج ١.
(٢) ص ١٥١ ج ١.
(٣) ص ١٦٠.
(٤) ص ١٦١.
(٥) ص ١٦٤.
(٦) ص ١٦٥ - ١٦٦.
(٧) ص ١٦٦ - ١٦٧ ج ١.
(٨) ص ١٦٦.
(٩) ص ١٦٧.

١ - «الأبيونيون: - وهم جماعة من المؤمنين من أصل يهودى - اعتبروا التمسك بالفروض اليهودية، وطقوس الآباء ضرورة على المسيحين، ثم فى حماسهم الزا·· لموسى والأنبياء؛ اعتبروا السيد المسيح مجرد ابن داود [١] بدن وجود قبل التجسد، ومجرد نبى ممتاز كانوا ينتظرونه [٢] وسموا أنفسهم الأبيونيين، من الكلمة العبرانية Ebyon ومعناها فقير.

٢ - وشابههم فى أعتقادهم تلاميد يوحنا [٣] الذين بدورهم اعتبروا السيد المسيح شبيها بيوحنا، وتابعا له، وأنكروا لاهوته [٤]»

---

(١) اى وند فى مملكة اليهود العبرانيين.

(٢) ليس فى توراة موسى نبوءات عن المسيح عيسى عليه السلام إلا الرمز فى قوله «جاء الرب من سيناء وأشرق لهم من سعير. . . الخ» فالإشراق من سعير إشارة إلى علماء بنى إسرائيل الهارونيين ومنهم المسيح الذى اصطفاه الله نبيا.

(٣) يوحنا المعمدان هو النبى يحيى عليه السلام. . وهو غير كاتب إنجيل يوحنا. فالكاتب من تلاميذ المسيح.

(٤) من ٢١ - ٣٢ تفسير يوحنا.

# الفصل السادس
# فى
# أقانيم الأقدمين

ماالذى أوحى إلى النصارى بعقيدة الثالوث، وليس من سند لهم. لا من التوراة، ولا من الإنجيل ؟ وكيف أقنعوا الناس بهذه الفكرة ؟ ينبغى أن نقول أولا: إن العالم كله كان من قبل موسى - عليه السلام - لايعبد الله حق عبادته، ولايعرف الله حق معرفته. وأن الله قد أرسل موسى بالتوراة هداية لقومه وللعالم، وأن قومه لم يؤمنوا به كماينبغى، ولا العالم أيضا. يقول تعالى عن العرب: ( ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم، فيقولوا: ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا، فنتبع آياتك، ونكون من المؤمنين، فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا: لولا أوتى مثل ماأوتى موسى، أو لم يكفروا بما أوتى موسى من قبل ؟ قالوا: سحران تظاهرا. وقالوا: إنا بكل كافرون. قل: فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما. أتّبعه . إن كنتم صادقين [1] ) إن كفرهم بكتاب موسى. هذا الكتاب الذى كان من قبل القرآن هدى ورحمة، وكان هداية للإنس وللجن؛ يدل: على أن العرب كانوا مكلفين به. وكفروا به. وإذا كان هذا هو شأن العرب ذرية إبراهيم وإسماعيل - عليهما السلام - فما ظنك بغيرهم من الأمم ؟

ومن المعلوم للناس جميعا: أن بنى إسرائيل لم يقوموا بالدعوة إلى الله خير قيام. ولم يجاهدوا فى سبيله حق جهاده. من بعد سبى «بابل» فإنه لما جاءهم «نبوُخذ ناصّر» ملك «بابل» وساق أعيانهم وعلماءهم أسرى إلى «بابل» هنالك فكروا فى قصر الدعوة عليهم وحدهم، وللغرباء الساكنين معهم. وترك الأمم فى طغيانهم يعمهون.

ولقد ظهر عيسى - عليه السلام - بعد ستة قرون من سبى بابل، ووبخهم على

---

(١) القصص ٤٧ - ٤٨

احتكارهم الشريعة لأنفسهم، وترك العالم من حولهم فى ضلال مبين. ومع احتكارهم شريعة الله لأنفسهم؛ لم يعملوا بها. يقول لهم عيسى عليه السلام:

«ويل لكم أيها الكتبة والفَرّيسيون المراءون، لأنكم تُغلقون ملكوت السموات قدام الناس، فلا تدخلون أنتم، ولاتدعون الداخلين يدخلون» [متى ٢٣: ١٣] وقد أصلح عيسى ماإستطاع إصلاحه من عاداتهم وأحوالهم، ونظمهم وشرائعهم . وفسر لهم ماكانوا فيه يختلفون. وكان جزاؤه: أن اضطهدوه اضطهادا عنيفا، وحاولوا قتله مرارا. لولا أن كف الله أيديهم عنه. ومن بعد رفعه إلى السماء؛ اجتهد اليهود فى ضياع دعوته، ماوسعتهم قوتهم. إما بالسلاح وإما بالفكر. ولما كانوا عاجزين عن ضياع الدعوة بالسلاح ضياعا كليا؛ لوقوعهم تحت سيطرة الرومان. لجأوا إلى سلاح الفكر. يُلبسون به الحق بالباطل، ويحرفون به الكلم من بعد مواضعه. وعن مواضعه.

***

ظهر منهم «بولس» وهو يهودى صميم. يقول عن نفسه: «أنا رجل يهودى ولدت فى طرسوس» [أعمال ٢٢: ٣] وقد اعترف النصارى بظلمه لهم أول الأمر. فقالوا: «كان يسطو على الكنيسة، وهو يدخل البيوت، ويجر رجالا ونساء، ويسلمهم إلى السجن» [أعمال ٨: ٣] ولما علم بولس اليهودى أن اضطهاد النصارى لايجدى؛ تظاهر باعتناق النصرانية. وقال للنصارى: إننى حزين جدا على اليهود الذين لم يتنصروا «إنّ لى حزنا عظيما، ووجعا فى قلبى لاينقطع. فإنى كنت أودُّ لو أكون أنا نفسى محروما من المسيح لأجل إخوتى. أنسبائى حسب الجسد، الذين هم إسرائيليون، ولهم التبنى، والمجد والعهود والاشتراع والعبادة والمواعيد. ولهم الآباء، ومنهم المسيح حسب الجسد، الكائن على الكل. إلها مباركا. إلى الأبد» [رومية ٩: ١ - ٥] وبعد مابين لهم. أن المسيح «إلها مباركا إلى الأبد» بين لهم: أن العمل بالتوراة لايجوز ولافائدة منه. فقال بصريح العبارة: «إن كنتم قد متم مع المسيح عن أركان العالم، فلماذا كأنكم عائشون فى العالم، تُفرض عليكم فرائض. لا تمسّ، ولاتذق، ولاتجس. التى هى جميعها للفناء فى الاستعمال، حسب وصايا وتعاليم الناس» [كُولوسّى ٢: ٢٠ - ٢٢] وشدد على إلغاء أحكام التوراة. فقال: «فلا يحكم عليكم أحد فى أكل أو

شرب، أو من جهة عيد أو هلال أو سبت، التى هى ظل الأمور العتيدة» [كولوسى ٢: ١٦ - ١٧] وبين سبب إهماله التوراة فى قوله لأهل غلاطية: «المسيح افتدانا من لعنة الناموس. إذ صار لعنة لأجلنا» [غلاطية ٣: ١٣] وفى قوله لأهل أفسُس عن المسيح: «لأنه هو سلامنا الذى جعل الاثنين واحدا. ونقض حائط السياج المتوسط. أى العداوة، مبطلا بجسده ناموس الوصايا فى فرائض» [ أفسس ٢: ٤ - ١٥] وفى قوله للعبرانيين: «لأنه إن تغير الكهنوت؛ فبالضرورة يصير تغير للناموس أيضا» [عبرانيين ٧: ١٢] ثم يقول بعد ذلك لهم: «فإنه لو كان ذلك الأول بلا عيب؛ لما طُلب موضع لثان» [عبرانيين ٨: ٧] ويقول أيضا عن التوراة؛ إنها قربت من الاضمحلال: «وأما ماعتق وشاخ، فهو قريب من الاضمحلال» [عبرانيين ٨: ١٣]

واليهود زمن وجودهم فى بابل من سنة ٥٨٦ ق. م كانوا قد اطلعوا على عادات أهل بابل وتقاليدهم، وعلى أديانهم ومعتقداتهم، وقرأوا كتبهم. واطلعوا على آدابهم وفلسفاتهم، ولما رجعوا إلى بلادهم؛ نقلوا معهم أفكارا كثيرة اقتبسوها من بلاد بابل ومن بلاد فارس. لما وقعوا تحت أيديهم. ومن هذه الأفكار. عقيدة التثليث. هذه العقيدة هى التى ذكرتهم أن يجعلوا المسيح هو الآب وهو الابن، وهو الروح القدس. كذبا. هو الكل فى الكل. خالق السموات والأرض. ورازق الناس

وقد كان فى الزمن القديم تقارب بين الأمُم، فأهل بابل مرة يبسطون نفوذهم على جميع البلاد، ومرة يكون النفوذ للفرس، ومرة يكون النفوذ لليونان، ومرة للرومان. ولقد كانت الأفكار الرئيسية فى بلد مّا تنتقل إلى البلاد الأخرى نتيجة الغزو والاحتلال غالبا.

وقد كان اليهود منذ زمن بعيد مقطعين فى الأرض أمما. منهم الصالحون ومنهم دون ذلك. وكان منهم فريق فى مصر، لهم معابد ومدارس. وكذلك فى اليمن وفى فارس وغيرهم من البلاد الكبيرة. وما من شك فى أنهم كانوا يتزاورون، ويتبادلون المعارف والعلوم، وكانوا على علم تام بما يجرى فى العالم من حولهم، ومايتميز به كل إقليم.

لكن ماهو السبب الذى جعل اليهود يفكرون فى تأليه الآب والابن والروح القدس ؟

إن السبب - كما قد أوضحنا من قبل - هو أن الله عز وجل قد أعطاهم النبوة والكتاب. وأرشدهم إلى أن نبيا سوف يأتى من ذرية إسماعيل عليه السلام وإذا جاء؛ يؤمنون به، وينصرونه. ولما علموا أن زمنه قد اقترب، وأنه إذا جاء؛ سيكون له النفوذ عليهم. حاولوا تشكيك الناس فى اسمه، وفى بلده، وفى نسبه، وفى أوصافه، وفى زمن مجيئه. فادعوا: أن هذا النبى سيكون منهم لا من بنى إسماعيل.

ولقد اغتاظوا جدا من المسيح عيسى بن مريم عليه السلام. لأنه جاءهم بما لاتهوى أنفسهم. جاءهم بقوله: إن النبى المنتظر سيكون من نسل إسماعيل، وسيكون اسمه أحمد «پيركليت» وسيأتى من بعده قريبا، وسيهلك اليهود الذين يناوئونه، وسيملك على بلاد الشام كلها، وسينسخ شريعة موسى بن عمران.

من أجل ذلك طلبوا قتل المسيح عيسى وصلبه، واضطهدوا أتباعه، وفكروا فى طريقة تشوش على نبى بنى إسماعيل - عليه السلام - وتشكك الناس فيه. فلم يجدوا طريقة أحسن من جعل عيسى نفسه، هذا الذى فضح تحريفهم لكتاب الله؛ هو النبى المنتظر. ولانبى من بعده إلى يوم القيامة. وذلك ليظل لهم كيان مستقل، ولايذوبون فى المجتمع الجديد. مجتمع نبى الإسلام صلى الله عليه وسلم، والذين معه، ولينصرهم النصارى فى المستقبل إذا احتاجوا إليهم. لقد علموا؛ أن الله واحد لاشريك له، وعلموا: أن داود عليه السلام عبر عن النبى المنتظر بقوله: «أنت ابنى» وعلموا: أن عيسى عليه السلام عبر عن النبى المنتظر بأنه «پيركليت روح الحق» أو روح القدس. فماذا يفعلون ؟

لقد جعلوا تعبير الابن تعبيرا على الحقيقة، وقالوا: إن الابن هو عيسى لا محمد. وجعلوه أقنوما. وجعلوا كلمة «المعزّى» بدل «پيركليت» وقالوا: إنه «روح الله» على الحقيقة، لا «أحمد» صلى الله عليه وسلم. وجعلوا «أحمد» أقنوما. وصاغوا الثلاثة فى قالب واحد: هو الآب والابن والروح القدس.

لقد ذكَرت عقيدةُ التثليث فى العالم الوثنى القديم؛ اليهودَ أن يجعلوا المسيح بن

مريم عليه السلام هو الآب والابن والروح القدس. وقد أقبل كثير من الوثنيين على هذه العقيدة؛ لأنها ليست غريبة على أذهانهم، وليست بعيدة من عقولهم، وساعد على نشرها؛ اليهودُ المقيمون فى كل مكان، لأنهم يعلمون أن فى نشرها؛ امتداد لوجودهم، وحفظ لكيانهم. وإقبال للدنيا عليهم، ووفرة للمال فى أيديهم. فإن الأناجيل لا تفُهم إلا بعد الرجوع إلى التوراة، والرجوع إلى التوراة يعنى الرجوع إلى علماء اليهود الذين يفسرون ويشرحون. وكيف لايكون ذلك ؟ والمسيح نفسه فى الإنجيل قد أمر أتباعه بأن يسمعوا لكلام علماء اليهود، وأن يعلّموا به. فقال: «على كرسىّ موسى. جلس الكتبة والفريسيُّون. فكلَ ماقالوا لكم أن تحفظوه؛ فاحفظوه، وافعلوه، ولكن حسب أعمالهم لاتعملوا؛ لأنهم يقولون، ولايفعلون ؟» [متى ٢٣ : ٢ - ٣]

يقول الأستاذ عباس محمود العقاد: «لما كشفت أمريكا الوسطى؛ وجد الأسبان فيها أقواما يتعبدون على أديان لايعرفونها، فخف القساوسة والمبشرون إلي البلاد الجديدة ليبحثوا فى أديانهم، ويحولوا أقوامها إلى العقيدة المسيحية، فأدهشهم بعد قليل من الدراسة أن يروا أن لهم شعائر على شيء من الشبه بنظائرها فى الديانة المسيحية، وذلك كالتكفير عن الخطيئة والخلاص، وغيرها [1]»

ويعترف النصارى بأن العالم قديما كان يعرف عقيدة التثليث، ولكنهم مع اعترافهم يقولون: بأن هناك مغايرة تامة بين عقيدة التثليث عندهم، وبين عقيدة التثليث فى العالم. وإننا لنسلم لهم بهذه المغايرة، لأن الذى يقتبس فكرة غيره، ليضع فيها مبادئ دعوته، قد لايسلم من أن يضيف شيئا أو ينقص شيئا. ولكننا لانعفيهم من القول بأن عقيدة التثليث التى كانت منتشرة فى العالم؛ هى التى ذكرتهم، حين أرادوا قصر النبوة عليهم ؛ أن يجعلوا الإله الواحد الذى أخبر عنه موسى وعيسى، والابن الذى أخبر عنه داود، والروح القدس الذى أخبر عنه عيسى؛ أن يجعلوا الكل واحدا. يقول القس إلياس مقار: «فالمصريون القدماء كانوا يؤمنون بثالوث مقدس، ممثل فى أوزوريس، وإيزيس، وحوريس. ولكن هؤلاء لم يكونوا إلها واحدا.

(١) عقائد المفكرين فى القرن العشرين ص ٦١ - ٦٢

بل كانوا ثلاثة آلهة تمثل العائلة البشرية. إذ كان أوزوريس الأب، وإيزيس الأم، وحوريس الابن. كما أن الهنود وهم كما نعرف أكثر الناس قبولا لعقائد التطور، والتناسخ، قد آمنوا بالآلهة: «براهما» و «شنوا» و «شيوا» ولكن هذه لم تكن عندهم سوى التطورات المتلاحقة فى الكون من ناحية «وجوده» و «بقائه» و «فنائه» وكان كل واحد من هذه الآلهة يمثل مظهرا منفردا من هذه المظاهر. وقد ابتدع بعض الفلاسفة من القدماء والمحدثين صورا غامضة خيالية. فيها هذا المظهر أو ذاك من التثليث. كما ذكر أفلاطون فى طيماوس، أو كما جاء فى بعض كتابات «فيلو» و «كومت» و «هيجل» وغيرهم [1]»

لقد اعترف القس إلياس مقار بأن المصريين القدماء كانوا يؤمنون بعقيدة التثليث، وأن الهنود كانوا يؤمنون بعقيدة التثليث. وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على شيوع هذه العقيدة فى العالم. تلك العقيدة التى جعلت العالم يقبل على النصرانية حينما صاغها اليهود على مثالها، لأنها لاتتصادم أساسا مع عقائد آبائهم وأجدادهم.

وإننا لنورد ههنا نبذة تاريخية موجزة عن تعدد الآلهة فى العالم، لنرى كيف أن الدين النصرانى حل محل العقيدة البدائية القديمة. كما يقول تعالى فى القران الكريم ( يضاهئون قول الذين كفروا من قبل ) [2]

فى كتاب المسيحية للدكتور أحمد شلبى ماخلاصته:

١ - أما موضوع تعدد الآلهة. فموضوع يكاد يكون عاما فى جميع الثقافات القديمة، قال به المصريون القدماء، وقال به الآشوريون، والبابليون والفرس والهنود والصينيون واليونانيون. على اختلاف فى عدد الآلهة ومكانتهم، واختلاف فى تصور صلة بعضهم ببعض، أو صلتهم بالبشر [3].

---

(١) ص ٦٠ إيمانى

(٢) التوبة ٣٠

(٣) تاريخ الفلسفة للدكتور ابراهيم مذكور ص ٦ - ١٩

٢ - أما التثليث فلعله كان تحديدا لهذا التعدّد، الذى بُولغ فيه أحيانا. ولعل البابليين هم أول من قال بالثالوث. وذلك فى الألف الرابع قبل الميلاد.

٣ - نشأ مذهب فى العالم هو وسط بين تثليث البابليين، وبين عقيدة التوحيد عند اليهود هو «التعدد فى وحدة، والوحدة فى تعدد» وقد قال به الهنود قبل المسيح بأكثر من ألف عام. فقد كان عندهم «براهما» و «فشنو» و «سيفا» وكانوا يعدونهم ثلاثة جوانب لإله واحد، أو كانوا يعدون «براهما» واحدا. له ثلاثة أقانيم. فهو «براهما» من حيث هو موجود، وهو «فشنو» من حيث هو حافظ، وهو «سيفا» من حيث هو مهلك.

٤ - لما فتح الإسكندر الأكبر مصر. أقام بطليموس الأول فى الإسكندرية مدرسة، وأقام معبدا عظيما هو معبد الرابيوم، كان يُعبد فيه نوع ما. من ثالوث الأرباب مكون من: سيرابيس، وإيزيس، وحوروس. ولم يكن الناس يعدونهم أربابا منفصلة، بل هيئات ثلاثا لإله واحد.

٥ - فى مدرسة الإسكندرية. ظهر مذهب «أفلوطين» وعلى يده كان تجديد مذهب «أفلاطون» وخلاصة مذهبه:

أ - أن فى الوجود «الواحد» أو «الأول» وهو جوهر كامل فياض، وفيضه يحدث شيئا غيره، وهو مبدأ الوجود .

ب - والشيء المحدث عنه «عقل» شبيه به.

ت - وهذا يفيض بدوره فيحدث صورة منه هى «نفس» وتفيض النفس فتصدر عنها الكواكب والبشر، أو بعبارة سهلة موجزة : ثلاثة فى واحد، وواحد فى ثلاثة:

٦ - ظهر رجل يهودى يسمى «بولُس» تظاهر باعتناق النصرانية. وقد أوتى ذلك الرجل قوة عقلية عظيمة، كما كان شديد الاهتمام بحركات زمانه الدينية. فتراه على علم عظيم باليهودية والميتراسية وديانة ذلك الزمان التى تعتنقها «الإسكندرية» فنقل إلى المسيحية كثيرا من أفكارهم ومصطلح تعابيرهم [١]

---

(١) ص ٩٣ - ٩٦ المسيحية - الدكتور أحمد شلبى - طبع ونشر مكتبة النهضة المصرية سنة ١٩٦٥ ميلادية.

ومتى بدأ اعتبار عيسى المسيح إلها متجسدا ؟

ذلك سؤال هام. أجاب عنه كثير من الباحثين بأنه من زمن بولس. يقول الدكتور أحمد شلبى: «وضع بولس بذرة ألوهية المسيح، وصادفت البذرة أرضا خصبة، فى عقول أولئك الذين لهم معرفة بالفلسفات والاتجاهات التى سبقت المسيحية، وساعد على نمو هذه الأفكار، ماصادفه المسيحيون الأوائل من الاضطهادات المدمرة[1]»

ولكننا نقول: إن الرومان فى فلسطين ألّه بعضهم المسيح، فى حياة المسيح نفسه، من قبل وجود دعوة بولس. ولم يكن غرض بولس تأليه المسيح. وإنما كان غرضه هو تطبيق نبوءات التوراة التى هى لمحمد صلى الله عليه السلام على عيسى عليه السلام وإبطال العمل بالتوراة. ذلك أن الرومان كانوا يحتلون بلاد اليهودية من سنة ٦٣ ق. م، وفى عهدهم ظهر يسوع المسيح. وكان الرومان الذين هم الورثة الشرعيون لفلسفات اليونان يقولون بتجسّد الآلهة. ولقد أشاع الرومان هذا القول فى حياة المسيح، ومن بعده، بل زعم بعضهم: أن بولس هذا إله متجسد. ولقد انتهز محرفو النصرانية هذه الفرصة السانحة، ونسبوا إلى «بُولس» أنه نادى بألوهية المسيح جهرا وبدون خوف، اعتمادا على أن الرومان يألفون هذه العقيدة، وسوف يساعدون على نشرها. وزعموا: أنه استعان بالفلسفة الشائعة فى العالم عن التثليث؛ لتثبيت أركان هذه العقيدة. أى أن بولس - فى زعمهم - لم يجهر بتجسد المسيح إلا من بعد مارأى الرومان يجهرون بتجسد المسيح. فى حياة المسيح نفسه.

يقول بَرنابا فى إنجيله: أشاع جنود الرومان الذين يحتلون أورشليم آنئذ «أن يسوع هو الله قد جاء ليفتقدهم. فحدث بسبب ذلك فتنة كبرى، حتى أن اليهودية كلها تدججت بالسلاح مدة الأربعين يوما. فقام الابن على الأب، والأخ على الأخ، لأن فريقا قال: إن يسوع هو الله قد جاء إلى العالم، وقال فريق آخر: كلا بل هو ابن الله. وقال آخرون: كلا لأنه ليس لله شبه بشرى، ولذلك لايلد. بل إن يسوع الناصرى؛ نبى الله» ووقف عيسى خطيبا ليخمد هذه الفتنة فقال: «أشهد أمام السماء، وأشهد كل

(١) ص ١٠٤ - ١٠٥ المسيحية.

شـــيء على الأرض: أنى برئ من كل ماقـد قلتم. لأنى إنسان مولود من امرأة فـانية بشرية، وعرضة لحكم الله. أكابد شقاء الأكل والمنام وشقاء البرد والحر. كسائر البشر، لذلك متى جاء الله لـيدين؛ يكونُ كلامى كحسـام يحرق كل من يؤمن بأنى أعظم من إنسان» [برنابا ٩٣]

ويحكى بَرنابا: أن كـاهن اليهـوديـــة والوالى والملك قـالوا لعيـسى عليــه الســلام: «لاتزعج نفسك يايسوع قدوس الله. لأن هذه الفتنة لاتحدث فى زمننا مرة أخرى. لأننا سنكتب إلى مجلس الـشيوخ الرومانى المقـدس بإصدار أمر ملكى: أن لا أحـد يدعوك فيما بعد: الله، أو ابن الله. فقال حينئذ يسوع: إن كلامكم لايُعزينى. لأنه يأتى ظلام حيث ترجون النور. ولكن تعزيتى هى مجئ الرسـول الذى سيُبيد كل رأى كاذب فىّ، وسيمتد دينه، ويعم العالم بأسره» [برنابا ٩٦ / ٩٧] وقد أشار إلى هذا المرسوم الملكى صاحب تاريخ الأقباط [١]

ويقول لوقـا فى سفـر أعمال الرسل: «فـالجموع لما رأوا مـافعل بولس؛ رفـعوا صوتهم بلغة ليكأونية قائلين: إن الآلهة تشبهوا بالناس، ونزلوا إلينا» [أعمال ١٤ : ١١]

***

ومتى بدأ اعتبار الروح القدس إلها ؟

سؤال أجـبنا عنه من قبل: بدأ اعـتبـار الروح القدس إلها فى المجـمع المسكونى الثانى سنة ٣٨١ ميلادية. ولكننا هنا نوضح أمرا هاما جديرا بالنظر والاعتبار.

وهو أن بطريرك الاسكندرية فى هذا المجمع أعلن مايلى:

«ليس روح القدس عندنا بمعنى غير روح الله، وليـس روح الله شيئا غير حياته، فإذا قلنا: إن روح القدس مخلوق، فقد قلنا: إن روح الله مخلوق. وإذا قلنا: إن روح الله مخلوقة. قلنا: إن حيـاته مخلوقة، وإذا قلنا: إن حياته مخلوقـة؛ فقد زعمنا: إنه غير حى. وإذا زعـمنا أنه غير حى؛ فقـد كفرنا به. ومن كفـر به؛ وجب عليه اللعن» أ.هـ.

---

(١) انظر الجزء الأول من تاريخ الاقباط ص ٦٩ - ٧٠

يقول الأستاذ الشيخ محمد أبو زهرة فى كتابه «محاضرات فى النصرانية» معلقا على كلام البطريرك:

«ومن النظرة فى هذه السلسلة المنطقية بمقدماتها ونتائجها، يظهر أن أساسها ومقدمتها الضرورية - وهى أن روح القدس هى روح الله -؛ مقدمة ساقطة، لايوافقه عليها أغلب الناس، ولايستطيع أن يقيم الدليل عليها. فالعقيدة السائدة الصحيحة هى: أن روح القدس؛ خلقه الله. واتخذه ليكون رسولا بينه وبين من يريد أن يلقى عليه وحيا، من خلقه أو أمرا كونيا [1]»

يقصد البطريرك - فى الظاهر -: أن «روح الله» التى هى حياته، هى التى يشير إليها سفر التكوين «فى البدء خلق الله السموات والأرض، وكانت الأرض خربة وخالية، وعلى وجه الغمر ظلمة، وروح الله يرف على وجه المياه» [تكوين ١ : ١ - ٢] والتى يشير إليها الزبور: «ترسل روحك؛ فتُخلَق. وتجدد وجه الأرض» [مزمور ١٠٤ : ٣٠] ويقصد الأستاذ الشيخ محمد أبو زهرة: أن «روح الله» هى جبريل - عليه السلام - ولكن البطريرك فى الحقيقة لايقصد من وراء ذلك إلا «المعزى[2] الروح القدس» الذى قال عنه المسيح: «إن لى أمورا كثيرة أيضا لأقول لكم. ولكن لاتستطيعون أن تحتملوا الآن، وأما متى جاء ذلك روح الحق؛ فهو يرشدكم إلى جميع الحق؛ لأنه لايتكلم من نفسه، بل كل مايسمع؛ يتكلمُ به، ويخبركم بأمور آتية» [يوحنا ١٦ : ١٢ - ١٣] ولذلك القصد؛ كان الانشقاق فى المجمع؛ لأن كل المجمع يهودا كانوا أم نصارى هم مجمعون على أن روح الله، التى يشير إليها سفر التكوين: هى ريح شديدة عاتية، والتى يشير إليها الزبور هى بالمعنى المجازى: القوة والقدرة.

---

(١) محاضرات فى النصرانية ص ١٣٤.

(٢) المعزى: باركليت العبرانية أو باركليتوس اليونانية، وأُذكّر أن المسيح نطق: بيركليت العبرانية أو بيركليتوس اليونانية. وبيركليت أحمد، وباركليت المعزى، والمؤيد والمحامى... الخ

ولقد انتهز بولس فرصة اعتقاد الرومان فى التثليث وانتهز فرصة غضب اليهود على تعاليم المسيح، وجعل نبوءات التوراة عن نبى بنى إسماعيل - عليه السلام - على شخص عيسى المسيح نفسه. وذلك بجعله كل شيء، حتى لايفكر الناس فى نبى من بعده.

( أ ) قال: إن تعبير الابن فى عبارة الزبور «أنت ابنى» المراد بها: المسيح، وكذلك كل عبارات الزبور عن الابن. ووجّه رسالته إلى العبرانيين مصدّرة بهذا المفهوم قائلا: «الله بعد ماكلم الآباء بالأنبياء قديما بأنواع وطرق كثيرة؛ كلمنا فى هذه الأيام الأخيرة فى ابنه، الذي جعله وارثا لكل شيء» [عب ١ : ١ - ٢]

( ب ) وقال: إن النبى الذى وعد به موسى فى قوله: «يُقيم لك الرب إلهك: نبيا» هو عيسى المسيح. قال: «وموسى كان أمينا فى كل بيته كخادم. شهادة للعتيد أن يتكلم به، وأما المسيح فكابن على بيته؛ وبيته نحن. إن تمسكنا بثقة الرجاء، وافتخاره ثابتة إلى النهاية» [عب ٣: ٥ - ٦]

( ت ) وقال: إن الروح القدس هو نفسه يسوع المسيح، هذا الروح الذى عبر عنه يوحنا المعمدان بقوله: «الذى يأتى بعدى هو أقوى منى، الذى لست أهلا أن أحمل حذاءه» [متى ٣: ١١] والذي عبر عنه المسيح نفسه بقوله: «وأما المعزى الروح القدس. الذى سيرسله الآب باسمى؛ فهو يعلمكم كل شيء، ويذكركم بكل ماقلته لكم» [يوحنا ١٤ : ٢٦] قال بولس: إن ذلك يعنى يسوع المسيح «جاء إلى أفسس. فإذ وجد تلاميذ قال لهم: هل قبلتم الروح القدس لما آمنتم ؟ قالوا له: ولاسمعنا أنه يوجد الروح القدس. فقال لهم: فبماذا اعتمدتم ؟ فقالوا: بمعمودية يوحنا. فقال بولس: إن يوحنا عمّد بمعمودية التوبة قائلا للشعب: أن يؤمنوا بالذى يأتى بعده. أى بالمسيح يسوع» وبعدما فسر المعزى الروح القدس بأنه المسيح يسوع. وضح: أن حلول الروح القدس الذى هو المسيح يسوع نفسه، يكون على التلاميذ المؤمنين فى شكل لغات ينطقون بها بدون تعليم «فلما سمعوا اعتمدوا باسم الرب يسوع، ولما وضع بولس يديه

عليهم؛ حلّ الروح القدس عليهم، فطفقوا يتكلمون بلغات ويتنبأون» [أعمال ١٩: ١ - ٦] لغة عبرانية ويونانية وقبطية وهكذا. بدون تعليم.

وبعدما طبق كل نبوءات التوراة التى هى لمحمد صلى الله عليه وسلم على عيسى عليه السلام.

( ث ) وضح غرضه بقوله: «يسوع المسيح هو هو. أمسا واليوم وإلى الأبد، لاتساقوا بتعاليم متنوعة وغريبة» [عب ١٣: ٨] أى أنه لانبوة قط بعد يسوع المسيح، ولاتعاليم قط غير تعاليم بولس. ولما وجد كثيرين يناوئون تعاليمه، كتب إلى أهل غلاطية يقول: «يُوجد قوم يزعجونكم، ويريدون أن يحولوا إنجيل المسيح، ولكن إن بشرناكم نحن أو ملاك من السماء بغير ما بشرناكم؛ فليكن أناثيما، كما سبقنا، فقلنا. أقول الآن أيضا: إن كان أحد يبشركم بغير ماقبلتم، فليكن أناثيما» أى ملعونا [غلاطية ١: ٦ - ٨]

وهذه نماذج من العقائد الوثنية القديمة، يتبين منها المشابهة بينها وبين التعاليم النصرانية الحالية:

١ - ذكر الدكتور أحمد شلبى فى كتابه «المسيحية» ماخلاصته:

أولا : ظهرت البوذية قبل المسيحية بأكثر من خمسة قرون ويلاحظ «غوستاف لوبون» تشابها واضحا بين الديانتين من ناحية الشكل، ومن ناحية الموضوع. ونقتبس منه قوله: «إنك تلاحظ تماثلا عجيبا من كل وجه، بين صيام عيسى فى البرية، حيث حاول الشيطان أن يغويه ثلاث مرات، وصيام بوذا فى الآجام، حيث حاول الشيطان أن يغويه ثلاث مرات أيضا»... الخ

ثانيا: يقول Hwaia Kama Uddin فى كتابه The soures of Christianity. P. 15 «يسرنى إن أسجل: أنه من بين المسيحيين، الذين تعرضوا لكتابى هذا بالنقد والمناقشة؛ لايوجد واحد عارض الحقائق التى ذكرتها به. تلك التى قادتنى إلى أن أقرر: أن أكثر تعاليم المسيحية الحالية؛ مستعار من الوثنية»

ثالثا: يقول المؤلف السابق ومؤلف آخر اسمه Reopcrtson :

«إن المسيحية استعارت شعائرهـا وعقائدها من الوثنية» ويذكران تفاصيل عن الشعائر والعقائد المستعارة هكذا:

قبـل ظهـور المسيح كانت هناك معـابد كثيرة، تقـدس عددا كبيـرا من الآلهة. فهنـاك مـثلا «آبلو» الذى كان يقـدسه الإغريق، و «هيـركوليس» معبـود الرومان، و «مـثرا» مـعـبود الفـرس، و«أدونيس» مـعبـود الـسـوريين، و«أوزيريس» و «إيزيس» و «حوريس» معبودات المصريين، و«بعل» معبـود البابليين، وسواهم كثيرون. وكانت هذه الآلهـة تعتبـر كلها من نسل الـشمس. وفى هذه الأديان أو أكـثرها ، كانت توجـد المعتقدات الآتية:

١ - كل هذه الآلهة يُنسب لهـا: أنها ولدت فى نفس الفترة ( الشـهر أو الموسم ) التى ينسب لعيسى أنه وُلد فيها.

٢ - كل هؤلاء ولدوا فى كهف أو حجرة تحت الأرض.

٣ - كلهم كانوا ينعتون: المخلِّص - المنقذ - الوسيط.

٤ - كلهم عاشوا حياة فيها عناء من أجل الجنس البشرى.

٥ - كلهم قهروا بقوى الشر والظلام.

٦ - ألقى بهم بعد هزيمتهم فى المدافن أو النيران السفلى.

٧ - هبوا جميعا من مدافنهم بعد الموت، وصعدوا إلى عالم السماء.

٨ - أسسوا جميعا خلفاء لهم ورسلا ومعابد.

ويتضح من هذا: أن المسيحية اقتبست كل هذه المعتقدات.

***

ويمكن أن نعطى تفاصيل أوسع عن أحد المعتقدات السابقة؛ لنرى مدى صلة المسيحية بها:

ديانة متراس:

فارسية الأصل، وقد ازدهرت فى بلاد فارس قبل الميلاد بحوالى ستة قرون [1]. ثم

---

(١) لاحظ أنه زمن وجود اليهود فى بابل

نزحت إلى روما حوالى سنة ٧٠ ق. م، وانتشرت فى بلاد الرومان، وصعدت إلى الشمال حتى وصلت بريطانيا. وقد اكُتشفت بعض آثارها فى مدينة: يورك. ومدينة: شستر. وغيرهما من مدن انجلترا. وتذكر هذه الديانة: إن متراس:

١ - كان وسيطا بين الله والبشر.

٢ - وأن مولده كان فى كهف أو زاوية من الأرض فى ٢٥ ديسمبر.

٣ - كان له اثنا عشر حواريا.

٤ - مات ليخلّص البشر من خطاياهم.

٥ - دفن ولكنه عاد للحياة وقام من قبره.

٦ - صعد إلى السماء أمام تلاميذه، وهم يبتهلون له ويركعون.

٧ - كان يدعى مُخلّصا ومنقذا.

٨ - ومن أوصافه: أنه كان كالحمل الوديع.

٩ - كان أتباعه يُعَمَّدون باسمه.

١٠ - وفى ذكراه كل عام؛ يُقام عشاء مقدس.

ويقول Ropertson : إن ديانة متراس لم تنته فى روما، إلا بعد أن انتقلت عناصرها الأساسية إلى المسيحية [١].

ديانة بعل:

وإذا كانت ديانة متراس قد أمدّت المسيحية بهذه التعاليم، فإن ديانة بعل إله البابليين كانت معينا للمسيحية فى موضوع هام من موضوعاتها العاطفية. ذلك هو قصة محاكمة عيسى وصلبه، وقد وضع البابليون قصة محاكمة بعل فى تمثيلية مؤثرة كانت تُمثّل كل عام قبل مولد المسيح بقرون عديدة، وكانت تمثيلية حافلة بالغموض والحُزْن. وقد اكُتشفت فى مطلع هذا القرن بأرض بابل لوحتان يرجع تاريخهما إلى القرن التاسع قبل الميلاد. وسجلت عليهما قصة محاكمة بعل ونهايته. وقد أُخذ اليهود إلى سجن «بابل» منذ عهد نبوخذنصر. وهناك رأوا هذه التمثيلية تُعرض كل مطلع ربيع، وعندما

---

(١) هذا يؤكد كلام برنابا فى أن الرومان ألهوا عيسى - عليه السلام - فى حياته.

## محاكمة بعـل

١ - أخذ بعل أسيرا.

٢ - حوكم بعل علنا.

٣ - جرح بعل بعد المحاكمة.

٤ - اقتيد بعل لتنفيذ الحكم على الجبل

٥ - كان مع بعل مُـذنب، حُكم عليه بالإعـــدام، وجرت العادة أن يُعفى كل عام عن شخص حكم عليه بالموت. وقد طلب الشـعب إعدام بعل، والعـفو عن المذنب الآخر.

٦ - بعد تنفـيذ الحكم على بعل، عمّ الظـلام، وانطلق الـرعـــد، واضـطرب الناس.

٧ - حُـرس بعـل فى قـبـره، حـتى لايسرق أتباعُه جثمانَه.

٨ - إلآهات جلسن حول مـقبرة بعل، يبكينه.

٩ - قام بعل من الموت وعاد إلى الحياة مع مطلع الربيع وصعد إلى السماء.

## محاكمة عيسى

١ - أُخذ عيسى أسيرا.

٢ - وكذلك حُوكم عيسى.

٣ - اعتُدِى على عِيسى بعد المحاكمة.

٤ - اقتيد عيسى لصلبه على الجبل

٥ - وكـان مع عـيسـى قاتل اسـمـه: «باراباس» محكوم عليـه بالإعدام ورشح «بيلاطُس» عيسى؛ ليعفو عنه كالعادة كل عام.

ولكن اليهود طلبـــوا العفو عن باراباس وإعدام «عيسى»

٦ - عقب تـنفيذ الحكـــم علـــى عيسى؛زلزلت الأرض وغامت السماء.

٧ - وحرس الجنود مـقبـرة عيـسى، حتى لايسرق حواريوه جثمانه.

٨ - مـريم المجـدلية، ومـريم أخـرى جلستا عند مقبرة عيسى تنتحبان عليه.

٩ - قـام عيـسى من مـقبـرته فى يوم أحد، وفى مطلع الربيع أيضا وصعد إلى السماء.

ديانة بوذا:

رابعـا: وهناك مقـارنة أخرى، هذه المرة بين «بوذا»، وبين «عـيسى» وقـد أورد هذه المقارنة كل من: Kamal ud - din khwaja, Edward Thomas, T. W. Doane

| بـــوذا | عيســـى |
| --- | --- |
| ١ - عند مولد «بـوذا» ظهر نجم فى السـمـاء يبشـر به وقـد رُئى هذا النجم يسير نحـو مكان مولده. وتبعه من رآه، ليسجدوا للوليد. | ١ - وعند مـولد «عيسى» ظهر هذا النجم أيضا يبشر بمولد المخّلص، وقاد جـماعـات المجوس نحـو مكان ولادته؛ فرأوا الطفل وسجدوا له. |
| ٢ - ولد بوذا فى اليـوم الخامس والعـشرين من ديسـمـبر كـما تذكـر الأساطير الهندية. | ٢ - ولد عـيسـى فى الخـامس والعشرين من ديسمبر أيضا. |
| ٣ - عند مـولد بـوذا احـتـفلت الملائكة بولادته وسبحت بحمده قائلة: إن المبارك قد ولد اليـوم ليمنح السلام للناس والمسرة للأرض. | ٣ - وعند مـولد عيسـى ظهرت الملائكة فى الجـو مسبـحة فى الحـقول بالقرب من «بيت لحـم» وكانت تسبح بحـمـد «المبـارك» وتقـول: «للناس المسرة، وعلى الأرض السلام» |
| ٤ - كان مـولد بوذا خطرا على الملك والسلـطان فـهـدده ملك «بـنبـا سارا» وأراد قـتله حتى لايكون سبـبا فى القضاء على سلطانه. | ٤ - وكان عـيسى خطرا كـذلك على الملك «هِـيـرودوس» ولذلك أراد هيـرودوس قـتله، لولا أنه فـر إلى «مصر» مع أمه. |
| ٥ - وعندمـا كـان بـوذا على وشك أن يبدأ دعوته ظهـر له الشيطان | ٥ - وعند بدء دعـوة «عـيـسى» ظهر له الشيطان محاولا تضليله. |

ليحاول تضليله.

٦ - قال مارا لبوذا: ابتعد عن الدعوة الدينية؛ لتصبح إمبراطور العالم.

٧ - ولم يهتم بوذا بمارا وصاح به: ابتعد عنى.

٨ - وبعد أن انتصر «بوذا» على «مارا» أمطرت السماء زهورا، وعبق الهواء بعبير طيب.

٩ - وصام «بوذا» فترة طويلة

١٠ - وتعمّد «بوذا» بالماء المقدس. وفى أثناء تعميده كانت روح الله حاضرة، التى هى روح القدس.

١١ - وتُقبل صلاة البوذيين، وتقودُهم إلى الفردوس مادامت تُقدم باسم بوذا.

١٢ - وعندما مات بوذا ودفن؛ شقّ قبره بقوة من قوى مافوق الطبيعة، وعاد للحياة.

١٣ - وصعد بوذا إلى السماء بعد أن أتم دعوته على الأرض.

٦ - وقال الشيطان لعيسى: إذا عبدتنى، سأجعلك مَلِكا للعالم كله.

٧ - ولم يسمع عيسى لكلمات الشيطان وصاح به: إخسأ أيها الشيطان.

٨ - وبعد أن انتصر عيسى على الشيطان؛ هبطت الملائكة لعيسى وكرمته.

٩ - وصام عيسى أربعين يوما بلياليها

١٠ - وعمّد يحيى عيسى فى نهر الأردن. وكان ذلك أيضا فى حضرة روح الله لتى هى روح القدس.

١١ - وتقبل صلاة المسيحين مادامت باسم عيسى، وينالون بسببها الفردوس.

١٢ - وعندما مات عيسى ودفن؛ أزاحت قوة من قوى مافوق الطبيعة؛ الحجارة عن قبره، وعاد عيسى إلى الحياة.

١٣ - وصعد عيسى كذلك بعد انتهاء دعوته على الأرض.

١٤ - وسيعود بوذا إلى الأرض فى آخر الزمان؛ ليواصل دعوته، ويستعيد مجده، ويملأ الأرض سعادة ونعيما.

١٥ - وسيوكل حساب الناس إلى بوذا بعد البعث.

١٦ - وبوذا لا أول له ولا نهاية . وهو خالد.

١٧ - ويروى عن بوذا أنه قال: إننى أحمل سيئات البشر عنهم؛ ليصلوا إلى السلامة.

١٨ - ويروى عن بوذا قوله: إخف أعمالك الطيبة، وأعلن على الناس سيئاتك التى ترتكبها.

١٩ - وأوصى بوذا أتباعه بالشفقة والحب حتى مع أعدائهم.

٢٠ - ونصح بوذا حوارييه وأتباعه أن يطرحوا الدنيا جانبا، ويتنازلوا عن غناهم، ويؤثروا الفقر؛ ليقبلوا فى الدعوة.

٢١ - وكان هدف بوذا الأسمى: أن يكون ماسمته الفلسفة البوذية؛ ملكوت السماء.

٢٢ - ونادى بوذا بعدم الزواج. وشبه الزواج بالاحتراق فى الفحم، ولم يجزه إلاّ عند خوف الزنا.

١٤ - وسيعود عيسى كذلك؛ ليحكم الأرض من جديد، وينشر دعوته ويعم الأرض بالخير والسلام.

١٥ - وسيوكل لعيسى أن يُحاسب الناس أيضا فى الدار الآخرة.

١٦ - وعيسى لا أول له ولا نهاية. وهو خالد خلود الآب.

١٧ - وعيسى مخلص البشر الذى قدم نفسه فداء؛ ليكفر عن خطيئة أبيهم آدم.

١٨ - ومما علمه عيسى لأصحابه: أن يخفوا أعمالهم الطيبة، ويعلنوا مساوئهم وخطاياهم.

١٩ - وقال عيسى لأتباعه: «أحبُّوا أعداءكم، وباركوا لاعنيكم، وأحسنوا لمن يبغضكم»

٢٠ - واشترط عيسى على من يريد الدخول فى الدعوة: أن يتصدق بماله، ويؤثر الفقر؛ ليدخل ملكوت الله.

٢١ - ودعا عيسى منذ مطلع رسالته أتباعه؛ ليدخلوا ملكوت السماء.

٢٢ - وروى عن عيسى قوله: إنه من الأفضل للرجل: ألا يمس امرأة، ولكن إذا خاف الزنا؛ جاز له أن يتزوج. فالزواج خير من الاحتراق بالنار [1].

***

---

(١) ص ١٣١ - ١٣٩ المسيحية.

عاد اليهود إلى ديارهم كانت هذه القصة عالقة بأذهانهم ومؤثرة فى حياتهم. فانعكست على أدبهم وعلى حياتهم العامة، وعقب نهاية المسيح ظهرت تمثيلية بعل بنفس عناصرها، مع اسم جديد وضع مكان «بعل» وهذا الاسم هو «المسيح» حتى ليمكن القول: أن قصة صلب المسيح كما توردها الأناجيل هى قصة منتحلة تماما.

وفيما يلى بعض عناصر التشابه بين القصتين:

٢ - ويقول حبيب سعيد فى كتابه «أديان العالم»:

«لما غزت الديانة البوذية بلاد الهند، حفزت الهندوسية لأن تخرج فكرة «المظاهر المتجسدة للآلهة incarnations» وهى فكرة لم تظهر فى الوجود إلا حوالى سنة ٥٠٠ ق. م وقامت هذه الفكرة على أن «فيشنو» vishnu هو الإله الحافظ و «سيفا» Siva هو الإله المدمرّ. كونا بالاشتراك مع «براهما» الإله الخالق؛ ثالوثا، بدت مظاهره المتجسدة فى أوضاع شتى [١]»

ويقول حبيب سعيد عن الرهبنة فى البوذية:

«وللبوذية نظام معين من حيث رجالها وخدامها. وكان محتما على من يريد الدخول إلى إحدى رتب النظام الدينى: أن يستشير أولا والديه. وقد عاش أولئك النساك فى الأديرة التى شرع فى تشييدها فى زمن «غوتاما» نفسه. وارتدوا الثوب الأصفر البسيط، أما عملهم فكان علاوة على صيانة الأماكن المقدسة: الدرس والتأمل [٢]»

ويقول حبيب سعيد عن انتشار البوذية:

«وليس لدينا من تاريخ البوذية المتأخر إلا القليل من المعلومات. منها: أن إمبراطورا شهيرا يدعى «أسوكا» بسط سلطانه على بلاد الهند كلها، حوالى سنة ٢٥٠ ق. م وشجع البوذية بكل قواه. فكان لها كما كان الإمبراطور قسطنطين للمسيحية [٣]»

---

(١) ص ٦٦ - ٦٧ أديان العالم تأليف حبيب سعيد - المطبعة الفنية الحديثة بمصر - صادر عن دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية بالقاهرة.

(٢) ص ١٠٦ أديان العالم

(٣) ص ١٠٦ أديان العالم.

ويقول حبيب سعيد تحت عنوان «عقيدة الثالوث فى غير المسيحية»:

«هذه العقيدة منتشرة فى أهم الأديان الوثنية قديما، وحديثا. ففى ديانة الفينيقيين نرى أنه كان لكل عاصمة من عواصمهم ولكل مستعمرة؛ ثالوث. وقد وجد المنقبون فى «جبيل» ثالوثا وهو إيل وتموز وعولم - أى القدير - والسيد، والأزلى. وثالوث المصريين: أوزيريس وإيزيس وحوريس وثالوث الهنود: بوذا وبرهما وفيشنا. وعند الصينيين ثالوث يعبرون عنه بمثلث متساوى الأضلاع والزوايا(1)»

وقد أشار النبى حِزقيال فى سفره إلى عباده تموز فقال: «وقال لى: بعد تعود تنظر رجاسات أعظم. هم عاملوها. فجاء بى إلى مدخل باب بيت الرب الذى من جهة الشمال. وإذا هناك نسوة جالسات يبكين على تموز» [حزقيال ٨: ١٣ - ١٤]

***

ويقول النصارى: إن الذى وقف ضد «آريوس» الذى كان ينادى بالتوحيد هو القديس «أثناسيوس» ولولا أثناسيوس لضاعت النصرانية الحالية إلى الأبد، ويقولون: إن إثناسيوس هذا كان وثنيا، وأن أباه وأمه أيضا كانا وثنيين.

ففى كتاب «التربية الدينية المسيحية» مايلى: «كلنا يعلم ما للقديس إثناسيوس الرسولى من مكانه ممتازة فى الكنيسة المقدسة على مر العصور؛ لأنه رمز الصلابة فى التمسك بالحق والنضال لأجله، حتى لقب أثناسيوس: «ضد العالم» كان أثناسيوس أولاً وثنيا ولد بالإسكندرية سنة ٢٩٦ م من أبوين وثنيين، ومات أبوه فى طفولته، وكفلته أمه. ولقد حضر هذا القديس مع البابا ألكسندروس مجمع نيقيه سنة ٣٢٥ م الذى ضم ٣١٨ أسقفا للرد على بدعة رجل يدعى «آريوس» فكان القديس أثناسيوس هو الجندى الصالح ليسوع المسيح، وكان للقديس أثناسيوس أيضا الفضل فى صياغة «قانون الإيمان» كما نعرفه الآن، من بداية قوله: «بالحقيقة نؤمن..» حتى قوله: «نعم نؤمن بالروح القدس» وفى أواخر سنة ٣٢٩ م اختير بطريركا خليفة للبابا ألكسندروس(2)»

---

(١) ص ٢٨٤ أديان العالم.

(٢) ص ١٩٣ - ١٩٤ التربية الدينية المسيحية - طبعة وزارة التربية بمصر ١٩٧٣م.

# الفصل السابع
# فى
# رفـــع الشـــبهات

يتمسك النصارى بتـوراة موسى عليه السلام [الأسفـار الخمـسة] مع تمسـكهم بالأناجيل الأربعة، ويتمسكون بأسفار الأنبياء الذين كانوا من بعد موسى إلى عيسى. ويطلقون عليـها لقب «التوراة» مـجازا. ويستدلون على الـوهية عيسى بن مـريم عليه السـلام بآيات من أسفـار الأنبـياء، وليـس بآيات من توراة موسى. ومـايحق لنا بعـد ماألزمـناهم بوحدانيـة الله وعبـودية عيـسى له بآيات من التوراة المتـداولة فى أياديهم، والأناجيل المتداولة؛ أن نُغفل الرد على هذه الآيات التى يستدلون بها:

***

ونقول أولا وقبل كل شيء: إن استدلالهم من أسفار الأنبياء؛ خطأ. بدليلين:

الدليل الأول: إن توراة موسى [الأسفار الخمسة] هى المعوّل عليها فى العقيدة والشريعة، وأسـفار الأنبياء مصـوغة على مثالها فى العـقيدة والشريعة، إلا مـخالفات طفيـفة من حِزقيـال - كما أعلم - فى بعض الطقـوس. ويؤمن بكتاب موسى جـميعُ اليهود بلا استثناء، وجميع النصارى أيضا؛ لأن المسيح عيسى بن مريم - عليه السلام - قال لهم مانصه: «علـى كرسىٍّ موسى جلس الكتبة والفريسيـون. فكل ماقالوا لكم أن تحفظوه، فاحفظوه وافعلوه» [متى ٢٣ : ٢ - ٣] لقد أوصاهم بالحفظ وبالفعل.

وقال لهم: «فكل مـاتريدون أن يفعل الناس بكم. إفعلـوا هكذا أنتم أيضا بهم. لأن هذا هو الناموس والأنبياء» [متى ٧ : ١٢]

وقال لهم: «أليس مكتوبا فى نامـوسكم ؟ ولا يمكن أن ينقض المكتوب» [يوحنا ١٠ : ٣٤ - ٣٥]

وقال لهم أيضا: «لاتظنوا أنى جئت لأنقض الناموس، أو الأنبياء» [متى ٥: ١٧]

فالواجب على النصارى وجوبا مؤكدا - اقتداء بنبيهم عيسى المسيح - أن يأخذوا عقيدتهم من التوراة، وأن يأخذوا شريعتهم من التوراة [١]. وإذا التبس عليهم أمر مّا فى الإنجيل؛ فإنه يجب عليم أن يرجعوا إلى التوراة رجوعا كليا؛ للتفسير وللإيضاح. وذلك لأن المسيح ماجاء للنسخ بل للإصلاح.

الدليل الثانى: إن أسفار الأنبياء. هؤلاء الأنبياء الذين أتوا من بعد موسى؛ ليست أسفار عقائد وشرائع باستقلال عن كتاب موسى [الأسفار الخمسة] بل هى أسفار تاريخية ورؤى حلم، ومواعظ، وهى أسفار مشكوك فى صحتها من اليهود ومن النصارى، وإن كانوا يُطلقون عليها اسم التوراة مجازا. من باب إطلاق اسم الجزء على الكل. وبيان ذلك [٢]:

١ - يرفض اليهود السامريون - وهم عشرة أسباط من مجموع اليهود الاثنى عشر سبطا - هذه الأسفار، ويعتقدون أنها محرفة. ولايؤمنون إلا بأسفار موسى الخمسة وهم:

١ - التكوين ٢ - والخروج ٣ - واللاويين ٤ - والعَدَد.

٥ - والتثنية

وهذه الأسفار الخمسة هى التوراة حقيقة فى نظرهم، ونظر اليهود العبرانيين أيضا - يهود السبطين -

٢ - ويرفض اليهود العِبرانيون، ونصارى البرونستانت مايلى:

---

(١) إذا أخذوا شريعتهم من التوراة فذلك مفيد لهم. لأن فى شريعة التوراة ؛ الإيمان بمحمد نبى الإسلام صلى الله عليه وسلم إذا جاء. انظر { تكوين ١٧: ١٨ - ٢٠ تكوين ٤٩: ١٠ تثنية ١٨: ١٥-٢٢ مع مراعاة تثنية ٣٤: ١٠-١٢ نشيد موسى تثنية ٣٢ - تثنية ٣٣: ١-٣ عدد ٢٤: ١٧ }

(٢) انظر: مرشد الطالبين إلى الكتاب المقدس الثمين - اقرأه فى دير الرهبان الدومنيكيين - خلف مدينة البعوث الإسلامية بمصر - واقرأ مختصره في مكتبة كلية اللاهوت خلف مخزن الترماى بالعباسية بمصر.

١ - جزء من سفر أستير ٢ - باروخ ٣ - جزء من سفر دانيآل
٤ - طوبيا ٥ - يهوديت ٦ - الحكمة
٧ - ابن سيراخ ٨ - المكّابين الأول ٩ - المكابيين الثانى.

٣ - ويؤمن اليهود العبرانيون ونصارى البروتستانت بالأسفار الآتية:

١ - الأسفار الخمسة لموسى عليه السلام ٢ - يشوع ٣ - القضاة ٤ - راعوث ٥ - صموئيل الأول ٦ - صموئيل الثانى ٧ - الملوك الأول ٨ - الملوك الثانى ٩ - أخبار الأيام الأول ١٠ - أخبار الأيام الثانى ١١ - عَزرا ١٢ - نَحَمْيا ١٣ - أستير ١٤ - أيوب ١٥ - المزامير [الزبور] ١٦ - الأمثال ١٧ - الجامعة ١٨ - نشيد الإنشاد ١٩ - إرمياء ٢٠ - مراثى إرمياء ٢١ - حِزقيال ٢٢ - دانيآل ٢٣ - هُوشع ٢٤ - يوئيل ٢٥ - عاموس ٢٦ - عوبُديا ٢٧ - يونان ٢٨ - ميخا ٢٩ - ناحوم ٣٠ - حَبقّوق ٣١ - صَفنيا ٣٢ - حَجَّى ٣٣ - زكريا ٣٤ - ملاخيِ

٤ - الأسفار الخمسة وحدهم عند السامريين، يُسمون بالتوراة السامرية. والأسفار الخمسة مع مجموع الأربعة والثلاثين سفرا؛ يسمون بالتوراة العبرانية . والأسفار الخمسة مع مجموع الأسفار المرفوضة عند اليهود العبرانيين ونصارى البروتستانت ومع مجموع الأربعة والثلاثين سفرا، يسمون بالتوراة اليونانية. والتوراة اليونانية مقدسة عند نصارى الأرثوذكس والكاثوليك.

٥ - اجتمع النصارى سنة ٣٢٥ م وقبلوا سفر: يهوديت ، وردوا الأخرى الزائدة فى اليونانية.

٦ - اجتمع النصارى سنة ٣٦٤ م واتفقوا على قبول سفر يهوديت وزادوا عليه: أستير

٧ - اجتمع النصارى سنة ٣٩٧ م واتفقوا على قبول يهوديت وأستير وزادوا عليهما: الحكمة وطوبيا وباروخ وابن سيراخ والمكّابيين الأول والثانى؛ وعلماء هذا المجمع جعلوا سفر باروخ بمنزلة جزء من سفر إرمياء.

٨ - فى مجمع ترلو: اتفق النصارى على ماذكر، ولكنهم فصلوا كتاب باروخ عن كتاب إرمياء.

٩ - كتب الأنبياء فى التوراة العبرية لم يقرر اليهود قانونيتها للنصارى إلاّ من بعد رفع المسيح إلى السماء سنة ٩٠ ميلادية، فكيف يستدل منها النصارى على شيء، وهى ماكانت قانونية مقدسة فى عهد المسيح ؟

***

وإنى لأذكر لك شيئا من كلام علمائهم فى هذا الشأن؛ لترى كيف يدافعون عن قدسية الكتاب. وهم فى شك منه مريب.

يقول القس إلياس مقار مانصه:

«وكلمة قانون بالنسبة للكتاب المقدس؛ مأخوذة من كلمة يونانية، معناها «مسطرة» أو «قصبة» أو «عصا مستقيمة» وقد استعملت فى فجر المسيحية، بمعنى قياس الرأى المستقيم، وأخذت بمعنى «بيان الأسفار التى قبلتها الكنيسة المسيحية، واعتبرتها أجزاء الكتاب المقدس» وقد استلمت الكنيسة المسيحية من اليهود أسفار العهد القديم التى قرر اليهود فى مجمع «يمنية» عام ٩٠ م قانونيتهما. ولابد من الإشارة هنا: لماذا رفضت الكنائس البروتستانتية مايطلق عليه أسفار «الأبوكريفا» وأبعدتها عن الدرج فى قانون الوحى المقدس ؟ فنقول: إن الأبوكريفا لم تضف إطلاقا إلى النص العبرانى للكتاب المقدس فى العهد القديم، ولكنها أضيفت إلى الترجمة السبعينية اليونانية. وبعض الآباء الأوائل قد استعملها ككتب أدبية دينية. ولكنها لايمكن أن تكون كتبا مقدسة موحى بها من الله [(١)]»

وبعدما بينا عدم الصحة فى اعتمادهم على «أسفار الأنبياء» الذين أتوا من بعد موسى، نريد أن نُعرِّف ههنا ببعض هذه الأسفار التى هى عمدة استدلالاتهم ، ونبين منها - لا من كلام العلماء - أنها مختلفة المعانى ومضطربة الأفكار، ومنسوبة إلى أصحابها، وهم برءاء مما فيها.

---

(١) ص ٢٥٤ - ٢٥٥ إيماني.

(١) إشَعياء:

بدأ إشعياء نبوته فى حكم الملك عزّيا، ويُوثام، وآحاز، وحزقيا. من ملوك أورشليم. كما جاء فى مقدمة لسِفْر. وهى «رؤيا إشعياء بن آموص التى رآها على يهوذا وأورشليم، فى أيام عزيا ويوثام وآحاز وحزقيا ملوك يهوذا» ولم يقتصر سفر إشعياء على التنبؤ بالحوادث المستقبلة، بل وضع كتابا فى تاريخ الملك عزيا. وهذا الكتاب مفقود. جاء فى سفر الأخبار الثانى: «وبقية أمور عُزِّيَّا الأولى والأخيرة كتبها إشعياء بن آموص النبى» [٢٦: ٢٢] وأتى بعد الملك حزقيا. سبعة ملوك قبل أن يأتى نبو خذ ناصر ملك بابل لينهى عرش ملوك يهوذا، ولقد ظل اليهود فى الأسر سبعين سنة، كما ورد فى التوراة [1]. إلى أن جاء الملك كوروُش، وسمح لهم بالعودة إلى ديارهم، وأقوى طعنة موجهة إلى هذا السفر: أنه حكى عن تدمير أورشليم على يد نبوخذ ناصر، وحكى أمل اليهود فى العودة، وذكر الملك الفارسى كوروش، وأثنى عليه ثناء عاطرا، مما يدل على أن هذا السفر كتب بعد السبى البابلى، وأُدخل عليه مالم يشهده إشعياء. إنه يحكى على لسان الله عز وجل: «يقول عن أورشليم ستبنى، وللهيكل ستؤسس. هكذا يقول الرب لمسيحه لكورش الذى أمسكتُ بيمينه لأدوس أمامه أمما، وأحقاء ملوك» [٤٤: ٢٨، ٤٥: ١] إنه فى الأصحاحات من ١ - ٣٩ نجد تنديدا بملوك يهوذا، وسخرية من اليهود. وفى الأصحاحات من ٤٠ - ٥٠ نجد الإشارة إلى الهيكل وأورشليم وقد خربا، والشعب أسير فى بابل، وإشعياء لاذكر له. وفى الأصحاحات من ٥٦ - ٦٦ نحس صدى رجوع المسبيين وإعادة بناء الهيكل.

لابد إذاً من القول بكتّاب كثيرين لهذا السفر، وإلا كان كاتبه حيا، وميتا، فى آن واحد. وبالإضافة إلى ماقدمنا نجد تناقضا كثيرا بين معانيه. ففى الترجمة العربية مثلا: «والآن قال الرب، جابلى من البطن عبدا له لإرجاع يعقوب إليه، فينضم إليه إسرائيل؛ فأتمجد فى عينى الرب، وإلهى بصير قوتى» [٤٩: ٥] وهى هكذا فى الترجمة الإنجليزية. . «ولو لم ينضم إسرائيل أتمجد» الأولى: إثبات المجد لله بانضمام إسرائيل،

---

(١) فى القرآن الكريم ( مئة عام ) فى قصة الذى مرّ على القرية وهى خاوية على عروشها

والثانية: إثبات المجد لله ولو لم ينضم إسرائيل.

(٢) الزبــور:

إن سفر المزامير تلاحظ فيه مايلى:

١ - المزمور رقم ٩ ورقم ١٠ فى النسخة العبرية، هو مزمور واحد فى النسخة اليونانية ويحمل رقم ٩.

٢ - المزمور رقم ١٤٧ فى النسخة العبرية، مقسم إلى اثنين فى النسخة اليونانية ويحمل رقم ١٤٦، ١٤٧.

٣ - عدد ٧٣ مزمور منسوبة إلى داود عليه السلام، وفى نهاية المزمور ٢ نجد هذه العبارة: «تمت صلوات داود بن يَسَّى» ومعنى هذا: أن ماهو منسوب إلى داود، ينتهى عند هذا الحد، والباقى ليس له.

٤ - عدد ١١ مزمور لبنى قورح.

٥ - عدد ٢ مزمور لسليمان عليه السلام.

٦ - عدد ١٢ مزمور لآساف.

٧ - عدد ١ مزمور لإيثان الأزراحى.

٨ - عدد ١ مزمور لموسى عليه السلام.

٩ - المزمور ١٣٧ يثبت أن سفر الزبور كُتب بعد سبى بابل. وفيه:

«على أنهار بابل هناك جلسنا. بكينا أيضا عندما تذكرنا صهيون. على الصَّفصاف، فى وسطهما علّقنا أعوادنا. لأنه هناك سألنا الذين سبونا كلام ترنيمة، ومعذبونا سألونا فرحا قائلين: رنموا لنا من ترنيمات صهيون»

ولقد كان داود عليه السلام سنة ١٠٩٦ قبل الميلاد، ولقد كان سبى بابل سنة ٥٨٦ قبل الميلاد [١]

---

(١) تاريخ الإسرائيليين - شاهين مكاريوس. وانظر ج ١ من تاريخ الأقباط لزكى شنوده.

(٣) الأمثال:

ينسب هذا السفر لسليمان عليه السلام. ولكنه لايدل على أن كاتبه هو سليمان، لقد بدأه كاتبه بقوله: «أمثال سليمان بن داود ملك إسرائيل» وفى بدء الأصحاح العاشر يقول: «أمثال سليمان» وهذا يعنى: إما أن بدء الأمثال من الأصحاح العاشر، وماسبق أضيف إلى سليمان، أو أن بدء الأصحاح العاشر كلام جديد لغير سليمان. وفى بدء الأصحاح الخامس والعشرين يقول الكاتب: «هذه أيضا أمثال سليمان التى نقلها رجال حزقياملك يهوذا» وهذا يدل بيقين على أن جمع الأمثال وترتيبها، كان فى عهد الملك حزقيا، وهو الملك الثانى عشر بعد سليمان عليه السلام، ونجد فى بدء الأصحاح الثلاثين هذه العبارة: «كلام أجور ابن متقية مسّا، وحى هذا الرجل إلى إيثيئيل... إلى إيثيئيل وأكال» وهذا يفيد أن أمثال سليمان انتهت إلى هذا الحد، لكن سفر الأمثال يستطرد فيذكر كلام أجور فى ثلاث وثلاثين فقرة، وبعد ذلك يذكر كلاما لحكيم آخر. هو موئيل ملك مسا. ويبدأ الحديث عنه قائلا: «كلام لموئيل ملك مسا. علمته إياه أمّه» [٣١: ١] وهو يفيد أن الأم هى المعلمة، لا الله عز وجل هو الذى أوحى وعلم.

(٤) ميخا:

إن مقدمة سفر ميخا، لاتدل على أن ميخا نفسه هو الذى كتبه، بل تدل على أن شخصا كتبه ونسبه إلى ميخا، وهذه هى المقدمة: «قول الرب الذى صار إلى ميخا المورشتى فى أيام يوثام، وآحاز، وحزقيا، ملوك يهوذا الذى رآه على السامرة وأورشليم» وفضلا عن ذلك فإنه يصرح بالإله الواحد الذى تحدث عنه موسى فى التوراة: «بم أتقدم إلى الرب، وأنحنى للإله العلى ؟» [٦: ٦] «من هو إله مثلك غافر الإثم، وصافح عن الذنب» [٧: ١٨]

***

هذه هى الأسفار الأربعة التى يستشهد منها القس «إلياس مقار» على ألوهية عيسى عليه السلام. وإننا الآن سنذكر الآيات التى استشهد بها، ونبين ماإذا كان استشهاده فى موضعه أم فى غير موضعه.

الدليل الأول:

من سفر إشعياء. يقول: وأية عبارات أوضح أو أصرح على تجسد الإله القدير السرمدى الأبدى، واتحاد الناسوت باللاهوت من قول إشعياء النبى: «لأنه يولد لنا ولد، ونعطى ابنا، وتكون الرياسة على كتفه، ويدعى اسمه عجيبا مشيرا إلها قديرا، أبا أبديا، رئيس السلام ؟» [إش ٩ : ٦] ودعى ذات الشخص فى موضع آخر من سفر إشعياء: عمّانوئيل، الذى تفسيره: الله معنا. إذ قيل: «ها العذراء تحبل، وتلد ابنا، وتدعو اسمه عمانوئيل» [إش ٧: ١٤]

لقد بينا من قبل: أن سفر إشعياء مشكوك فيه، وأن اليهود لم يعتبروا قانونية هذا السفر، ولم يسلّموه إلى النصارى إلاّ فى مجمع «يمنية» سنة ٩٠ ميلادية. وبينا: أن المسيح فى حياته لم يتحدث عن الله الواحد إلاّ بمثل ماتحدث به موسى فى التوراة، وقد صرح بقوله: «ماجئت لأنقض الناموس» [متى ٥: ١٧] وهنا نقول:

إن نص كلام إشعياء هكذا: «هيّجو أيها الشعوب، وانكسروا، وأصغى ياجميع أقاصى الأرض، احتزموا وانكسروا. احتزموا وانكسروا، تشاوروا مشورة فتبطل، تكلموا كلمة فلا تقوم؛ لأن الله معنا. . . لأنه يولد لنا ولد، ونعطى ابنا، وتكون الرياسة على كتفه، ويدعى اسمه عجيبا، مشيرا، إلها قديرا، أبا أبديا، رئيس السلام. لنمو رياسته وللسلام لانهاية على كرسى داود، وعلى مملكته؛ ليثبتها ويعضدها بالحق والبر، من الآن. إلى الأبد»

إن النص يوضح: أن النبى الذى وعد به موسى - عليه السلام - فى سفر التثنية «يقيم لك الرب إلهك: نبيا. . . الخ» هذا النبى سيكون محاربا عظيما [1]، وبطلا منتصرا، وأن الأمم ستتحد ضده، وستصنع مؤامرات للقضاء عليه. ولكنه ينتصر عليهم انتصارا عظيما. هذا النبى كتب اليهود أنه سيكون منهم من ذرية داود عليه السلام وخلعوا عليه أوصافهم ووضعوا عليه تعابيرهم، إمعانا منهم فى أنه سيكون منهم. وعلى العالم أن يحترمهم من أجل هذا «لأنه يولد لنا ولد» وهذا الولد هو الذى تحدث

---

(١) فى القرآن الكريم { وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا }

عنه داود عليه السلام - إن كان هو الكاتب - بقوله «أنت ابنى»، «وتكون الرياسة على كتفه» أى سيكون رئيسا إلى الأبد، وسيكون «إلها» مثل ماكتبوا عنهم على لسان الله تعالى: «أنا قلت: إنكم آلهة، وبنو العلى كلكم»، ومثل قول الله لموسى: «أنا جعلتك إلها لفرعون» فكأنهم يريدون أن يقولوا: إن هذا النبى منا حقيقة، ويستحق أن يطلق عليه لقب «إله» كما يطلق على أى فرد فينا، ولما كان هو مماثلا لموسى؛ فإنه يستحق لقب «إلها قديرا» وأن النبى سيظل ملكه ثابتا على «كرسى داود»

ولايمكن أن يشير هذا النص إلى عيسى عليه السلام لأنه ليس مماثلا لموسى، ولأنه أيضا لم يجلس على كرسى داود، لحظة من ليل أو نهار. يقول لوقا: «وقال له واحد من الجمع: يامعلم قل لأخى أن يقاسمنى الميراث. فقال له: ياإنسان. من أقامنى عليكما قاضيا أو مقسما ؟» [لوقا ١٢ : ١٣ - ١٤] ويقول يوحنا: «وأما يسوع فإذ علم أنهم مزمعون أن يأتوا ويختطفوه، ليجعلوه ملكا؛ انصرف أيضا إلى الجبل وحده» [يوحنا ٦ : ١٥]

وأما عن قول القس إلياس مقار: «ودعى ذات الشخص فى موضع آخر من سفر إشعياءعمانوئيل. الذى تفسيره الله معنا» فإنه لمن المستحسن أن نذكر ماقبل النص ومابعده من كلام إشعياء، لنعرف الانفصال بين المدعو «إلها قديرا» وبين المدعو «عمانوئيل» يقول إشعياء: «وحدث فى أيام آحاز بن يوثام بن عزيا ملك يهوذا أن رصين ملك أرام صعد مع فقح ابن رمليا ملك إسرائيل إلى أورشليم لمحاربتها، فلم يقدر أن يحاربها، وأخبر بيت داود، وقيل له: قد حلّت أرام فى أفرايم، فرجف قلبه، وقلوب شعبه كرجفان شجر الوعر قدام الريح، فقال الرب لإشعياء: أخرج لملاقاة آحاز أنت وشآر ياشوب ابنك إلى طرف قناة البركة العليا إلى سكة حقل القصار، وقل له: احترز واهدأ، لاتخف، ولايضعف قلبك من أجل ذنبى هاتين الشعلتين المدختين، بحمو غضب. رصين وأرام وابن رمليا، لأن أرام تآمرت عليك بشر مع أفرايم وابن رمليا. قائلة: نصعد على يهوذا ونقوضها، ونستفتحها [1] لأنفسنا، ونملك فى وسطها ملكا

---

(١) لاحظ : ( يستفتحون على الذين كفروا )

ابن طبيئيل، هكذا يقول السيد الرب: لاتقوم، لاتكون، لأن رأس أرام دمشق ورأس دمشق، رصين، وفى مدة خمس وستين سنة ينكسر أفرايم، حتى لايكون شعبا، ورأس أفرايم السامرة، ورأس السامرة: ابن رمليا. إن لم تؤمنوا، فلا تأمنوا [١].

ثم عاد الرب فكلم آحاز قائلا: اطلب لنفسك آية من الرب إلهك. عمّق طلبك أو رفعه، إلى فوق. فقال آحاز: لاأطلب ولا أجرب الرب، فقال: اسمعوا يابيت داود. هل هو قليل عليكم أن تضجروا الناس، حتى تضجروا إلهى أيضا ؟ ولكن يعطيكم السيد نفسه آية: هاالعذراء تحبل وتلد ابنا، وتدعو اسمه عمانوئيل، زبدا وعسلا يأكل. متى عرف أن يرفض الشر ويختار الخير؛ تخلى الأرض التى أنت خاش من ملكها» [إشعياء ٧ : ١ - ١٦]

هذا هو النص بتمامه. فماذا ترى ؟ ألست ترى أن هذه معجزة لآحاز الملك بهلاك أعدائه فى حياته ؟ ثم بين الله له المدة التى يتم فيها هلاك الأعداء، وهى مدة تقدر من حين ولادة الابن من العذراء إلى أن يميز هذا الابن: الخير من الشر «متى عرف؛أن يرفض الشر ويختار الخير؛ تخلى الأرض التى أنت خاش من ملكها» وقد تم ذلك فى حينه. ويغض النظر عن سياق الكلام الذى هو واضح فيماأبديناه؛ لأن إشعياء كان سنة ٧٦٠ ق. م. فإننا نقول:

١ - إن اللفظ العبرى الذى ترجم فى اللغة العبرية بالعذراء: هو «علمه» مؤنث علم، والهاء فيه للتأنيث. ومعناه عند علماء اليهود: المرأة الشابة. سواء أكانت عذراء أو غير عذراء. وقد ترجم بالمرأة الشابة فى التراجم اليونانية الثلاثة، ترجمة إيكوئلا سنة ١٢٩ ميلادية، وترجمة تهيودوشن سنة ١٧٥ ميلادية، وترجمة سميكس سنة ٢٠٠ ميلادية.

٢ - ماسمى أحد عيسى عليه السلام باسم «عمّانوئيل» بل سمى بيسوع «وتدعو اسمه يسوع» [متى ١ : ٢١] قال ذلك الملاك ليوسف النجار، وقال لأمه: «ستحبلين وتلدين ابنا، وتسمينه يسوع» [لوقا ١ : ٣١] ولم يدع عيسى فى حين من الأحيان: أن

(١) قال الله فى القرآن الكريم: ( ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم )

اسمه عمانوئيل.

وقد قلنا من قبل: أإن سفر إشعياء مشكوك فيه. وهذا النص نفسه يوضح ذلك. فقد جاء فيه: «وفى مدة خمس وستين سنة، ينكسر أفرايم [1] حتى لايكون شعبا» وهذا متناقض مع ماجاء فى سفر الملوك الثانى، من أن سلطان أشّور تسلط على أفرايم فى السنة السادسة من جلوس حزقيا. ففنيت آرام فى مدة إحدى وعشرين سنة [١٧ / ١٨]

الدليل الثانى:

من سفر المزامير. يقول القس إلياس مقار: «وماقول اليهود فيما ورد فى سفر المزامير. وهم أول دعاة التوحيد وحماته فى التاريخ «قال الرب لربى: إجلس عن يمينى حتى أضع أعداءك موطئا لقدميك» ؟ [مزمور ١١٠ : ١] وكيف يمكن أن نجد لهذا التعبير حلا من غير الإيمان بالمخاطبة الأزلية بين الآب والابن، واليقين بأن الله الناطق - وهو ماتسلم به كافة الأديان - كان يكلم ذاته الإلهية» ؟

وقد سبق أن تحدثنا عن هذا الموضوع. وقلنا: إن ترجمة الكاثوليك سنة ١٩٦٨ م هكذا «قال الرب لسيدى. . . . الخ» وأن عيسى عليه السلام وضح أن هذا إشارة إلى مجئ النبى الأمى الآتى من بنى إسماعيل عليه السلام لا من من نسل داود عليه السلام لأن الولد لايكون سيد أبيه. فضلا عن ذلك: فإنه كيف يكلم الله نفسه ؟ وإذا كلم الابن؛ فإنه بالكلام يكون مستقلا عن الابن. والأرثوذكس يقولون: إن الله هو المسيح ابن مريم ؟

الدليل الثالث:

من سفر الأمثال. يقول القس إلياس مقار: «بل ماقولهم فيما جاء فى سفر الأمثال من كلام أجور ابن متقية مسا: «إنى أبلد من كل إنسان. وليس لى فهم إنسان، ولم أتعلم الحكمة، ولم أعرف معرفة القدوس. من صعد إلى السموات ؟ ومن جمع الريح فى حفنتيه ؟ من صر المياه فى ثوب ؟ ومن ثبت جميع أطراف الأرض ؟ ماسمه ؟ وماسم ابنه إن عرفت ؟» [أمثال ٣٠ : ٢ - ٤]

---

(١) يهود السامرة.

وقد سبق أن تحدثنا عن (١) «ماسمه ؟» (٢) وعن «ما اسم ابنه ؟ »

وبينا: إن الابن هو ماعناه داود عليه السلام بقوله عن Messiash المسيا المنتظر[١]: «أنت ابنى» أى حبيب إلىّ، مقرب عندى، وليس الابن على الحقيقة، والاسم يشير به إلى الله وحده.

الدليل الرابع:

**من سفر ميخا. يقول القس إلياس مقار: «أو ماجاء على لسان ميخا النبى: «أما أنت يابيت لحم أفراتة، وأنت صغيرة، أن تكونى بين ألوف يهوذا. فمنك يخرج لى الذى يكون متسلطا على إسرائيل، ومخارجه منذ القديم، ومنذ أيام الأزل؟» [ميخا ٥: ٢] هذه وغيرها من النبوءات المتعددة، لم تتحدث فحسب عن مجئ المسيح الموعود به للعالم، بل قطعت فى الحديث بتجسده ولاهوته أيضا [٢]»**

**ومعنى قول ميخا: «ومخارجه منذ القديم، ومنذ أيام الأزل «هو أن الله وعد به منذ زمن بعيد، من عهد آبائهم وأجدادهم الأوائل.**

**وأما ولادة عيسى عليه السلام فى «بيت لحم» فهذا لم يجمع عليه النصارى أنفسهم. يقول الدكتور فردريك. و. فارار: «ليس من النادر فى فلسطين أن يكون الخان «حظيرة البقر» جميعه - أو على الأقل الجزء الذى تبيت فيه الحيوانات - إحدى المغارات التى يكثر وجودها فى التلال الجيرية. والظاهر: أن هذا ماكان فى بيت لحم الصغرى فى أفراتة اليهودية، ويقرر جوستاف مارتير الذى ولد فى شكيم، فشب خبيرا بفلسطين، والذى عاش فى الجيل الأول بعد الميلاد [ولد سنة ١١٣ ومات فى سنة ١٦٦] أن مولد المسيح قد تم فى إحدى هذه المغارات أو الكهوف. وهذا هو التقليد القديم فى جميع الكنائس الشرقية والغربية. وهو أيضا. إحدى الحقائق التى وإن لم تكن مسجلة فى**

---

(١) Messiah that is the Christ وهو لقب محمد صلى الله عليه وسلم

انظر كتاب «المسيا المنتظر» نشر مكتبة الثقافة الدينية بالقاهرة

(٢) ص ١١٦ - ١١٧ إيمانى.

الانجيل إلاّ أنها مرجحة [1]»

ثم إن ميخا يقول: «فمنك يخرج لى الذى يكون متسلطا على إسرائيل» وهل خرج المسيح من بيت لحم، وملك على بنى إسرائيل ؟

وبعد مابينا عدم الصحة فى اعتمادهم على كتب الأنبياء الذين أتو من بعد موسى، وذكرنا كل الأدلة التى ذكرها القس إلياس مقار، تحت عنوان «الدليل المستمد من النبوات فى العهد القديم [2]» نذكر تعريفا موجزا للأناجيل الأربعة المقدسة عندهم، ونذكر أمثلة يسيرة على تناقضها واختلافاتها:

١ - انجيل متى:

يقول الدكتور جورج بوست فى قاموس الكتاب المقدس: «متى»: «اعطية الله» هو أحد الاثنى عشر رسولا [تلميذا] وكاتب الإنجيل الأول المنسوب إليه، وكان اسمه فى الأول «لاوِى»، وتغير إلى متى، عندما تقلد وظيفة الرسول. إنجيل متى: يرجح: أن هذا الإنجيل كتب فى «فلسطين» لأجل المؤمنين من الملة اليهودية الذين اعتنقوا الديانة اليهودية المسيحية [3]. واختلف القول بخصوص لغة هذا الإنجيل الأصلية. فذهب بعضهم: إلى أنه كتب أولا بالعبرانية أو السريانية التى كانت لغة فلسطين فى تلك الأيام، وذهب آخرون: إلى أنه كتب فى اليونانية كما هو الآن، وذهب بعض القدماء: إلى أنه كتب فى السنة الثامنة بعد الصعود، وآخرون إلى أنه كتب فى الخامسة عشرة، ويظن البعض: أن إنجيلنا الحالى كتب بين سنة ٦٠ وسنة ٦٥ م وأن إنجيلى مَرقس ولوقا كتبا فى نفس تلك المدة» أ. هـ

(١) حياة المسيح ص ٢١.

(٢) وغير إلياس مقار يستدل من كتاب موسى على التثليث بقول الله لموسى: «أنا إله أبيك. إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب» ( خروج ٣: ٦ ) وليس هذا بدليل فقد ورد فى بعض الآيات هكذا: «أنا الرب إله إبراهيم أبيك وإله إسحق» ( تكوين ٢٨: ١٣ ) فقد ذكر اثنين لا ثلاثة.

(٣) الديانة اليهودية المسيحية: هى أن جماعة من اليهود آمنوا بعيسى عليه السلام على أنه يبشر بالمسيح من بعده، وكانوا يعملون بأحكام التوراة - راجع سفر أعمال الرسل أصحاح ١٥

وفى إنجيل منسوب لمتى، غير هذا الإنجيل؛ معجزة النخلة والنهر. كما جاء فى القرآن الكريم: ( وهزّى إليك بجذع النخلة )

٢ - إنجيل مرقس:

يقول الدكتور جورج بوست: «مرقس لقب ليوحنا [١]. يهودى. يُرجح: إنه ولد فى أورشليم؛ لأن أمه سكنت هناك. ولايعرف شيء حقيقى عن حياته. ألف إنجيله فى اليونانية. والمشابهة بين إنجيلى متى ومرقس؛ جعلت البعض يفتكر أن الأخير مختصر الأول. ولاتوجد الآيات المدونة فى أصحاح ١٦: ٩ - ٢٠ فى اثنتين من النسخ القديمة، فلذلك زعم البعض: أنها مضافة فى الأزمنة المتأخرة. أضافها بعض آباء الجيل الثانى كإيرينيوس الذى تاليفاته أقدم من أقدم النسخ»

٣ - إنجيل لوقا:

يقول الدكتور جورج بوست: «مسيحى فى أيام الرسل، وكان من الأمم [٢] وظن بعضهم: أنه مولود فى أنطاكية، ويرجح: أنه لم يكن من السبعين [٣]، وكان طبيبا محبوبا. وجاء فى التقليد [٤] أنه كان مصورا أيضا، كان رفيق بولس فى أسفاره المتأخرة، وبقى معه إلى أن أسر، وأخذ إلى رومية، ولم يعلم شيء من حياته بعد ذلك. وهو كاتب إنجيل لوقا وأعمال الرسل. وقد كتب هذا الإنجيل قبل خراب أورشليم، وقبل سِفر الأعمال. ويرجح : أنه كتب فى قيصرية فى فلسطين مدة أسر بولس سنة ٥٨ - ٦٠ م غير أن البعض يظنون أنه كتب قبل ذلك»

٤ - إنجيل يوحنا:

يقول الدكتور جورج بوست: «يرجح: إنه كان ابن خالة المسيح. على افتراض أن مريم كانت أخت سالومة، عهد إليه المسيح بكفالة أمه مريم، واستحفظه إياها،

---

(١) أى إن مرقس اسمه فى الأصل يوحنا ولقب بمرقس. (٢) من غير اليهود.

(٣) كان للمسيح فى حياته سبعون تلميذا كما حكى لوقا واثنين وسبعين كما روى برنابا واثني عشر غيرهم كما قال الجميع أيضاً.

(٤) التقليد: كتب التواريخ.

إنجيل يوحنا: وهو آخر الأناجيل كتابة، ويظن أنه كتب فى أفسس سنة ٧٠، ٩٥»

وبالإضافة إلى الأناجيل الأربعة يقدس النصارى الأسفار التالية:

١ - أعمال الرسل ٢ - رسالة بولس إلى أهل رومية ٣ - إلى أهل كورنثوس [الأولى] ٤ - إلى أهل كورنثوس [الثانية] ٥ - إلى أهل غلاطية ٦ - إلى أهل أفسس ٧ - إلى أهل فيلبّى ٨ - إلى أهل كولوسى ٩ - الأولى إلى أهل تسالونيكى ١٠ - الثانية إلى أهل تسالونيكى ١١ - الأولى إلى تيموثاوس ١٢ - الثانية إلى تيموثاوس ١٣ - إلى تيطس ١٤ - إلى فليمون ١٥ - الرسالة إلى العبرانيين ١٦ - رسالة يعقوب ١٧ - بطرس الأولى ١٨ - بطرس الثانية ١٩ - يوحنا الأولى ٢٠ - يوحنا الثانية ٢١ - يوحنا الثالثة ٢٢ - رسالة يهوذا ٢٣ - رؤيا يوحنا اللاهوتى. الجميع سبعة وعشرون سفرا.

وكلمة الإنجيل من الكلمة اليونانية «إيفانجليوس» وهى مكونة من مقطعين الأول: «إيف» ومعناها: جيد - حسن - صلاح - خير - صدق. والثانى: «إنجليوس» ومعناها: الإخبار بسرور. ومعنى المقطعين معا: البشرى المفرحة أو الخبر السّار. والبشرى بشيء تدل على وجود الخبر بهذا الشيء. من قبل البشرى. فالخبر سابق على البشرى. فما هو هذا الخبر ؟ هو قول موسى عليه السلام: «يُقيم لك الرب إلهك: نبيا...» وقد بشر المسيح بمجيئه من بعده. وهذا هو غرض الإنجيل. أى البشرى بمجيء النبى المماثل لموسى. وهو محمد عليه السلام.

وهذه نماذج للاختلافات والتناقضات [١]:

١ - من طالع قصة المرأة التى أفرغت قارورة طيب على عيسى عليه السلام فى متى ٢٦ ومرقس ١٤ ويوحنا ١٢ وجد اختلافا من ستة أوجه:

(١) مرقس صرح بأن الأمر كان قبل عيد الفِصح بيومين، ويوحنا صرح بأنه كان قبل الفصح بستة أيام، ومتّى سكت عن بيان القبلية.

---

(١) انظر كتابنا: نقد الانجيل.

(٢) مرقس ومتى، جعلا هذه الواقعة فى بيت سِمعان الأبرص، ويوحنا جعلها فى بيت مريم.

(٣) متى ومرقس جعلا إفاضة الطيب على الرأس، ويوحنا جعله على القدمين.

(٤) مرقس يفيد أن المعترضين كانوا أناسا من الحاضرين. ومتى يفيد أنهم كانوا التلاميذ. ويوحنا يفيد أن المعترض كان يهوذا.

(٥) يوحنا بيّن ثمن الطيب ثلاثمائة دينار، ومرقس بالغ فقال: أكثر من ثلثمائة دينار، ومتى أبهم أثمن، وقال بثمن كثير.

(٦) اختلفوا فى نقل قول عيسى عليه السلام.

٢ - نَسَبُ عيسى عليه السلام من جهة أمه رضى الله عنهما اختلف فيه متى ولوقا. فمتى أوصله إلى سليمان عليه السلام ولوقا أوصله إلى ناثان ابن داود عليه السلام.

٣ - اختلف كتّاب الأناجيل فى حادثة صلب المسيح وقتله اختلافا كبيرا.

***

ويستشهد النصارى على ألوهية عيسى عليه السلام من الأناجيل بالآيات الآتية:

١ - مما يدل على أن المسيح فى الأزل مع الآب قوله: «والآن مجدنى أنت أيها الآب عند ذاتك بالمجد، الذى كان لى عندك قبل كون العالم، لأنك أحببتنى قبل إنشاء العالم» [يوحنا ١٧: ٥، ٢٤]

الرد: لو كان المسيح فى الأزل مع الآب؛ للزم عليه أن يكون هو إلها مستقلا عن الإله الآب. وهذا لايقول به الأرثوذكس الذين يقولون إن عيسى هو الله نفسه.
وهذا التعبير كناية عن أن الله قدر وجود عيسى عليه السلام فى الأزل كما يقدر وجود أي إنسان. بدليل قوله عن التلاميذ فى سياق الحديث نفسه: «العالم أبغضهم لأنهم ليسوا من العالم» وهم من العالم

وهو يعنى بذلك عدم انغماسهم فى شهوات الحياة الدنيا. كما يفعل سائر الناس.

٢ - مما يدل على أن المسيح كان فى السماء ونزل إلى الأرض: قوله لليهود: «أنتم من أسفل أما أنا فمن فوق، أنتم من هذا العالم أما أنا فلست من هذا العالم» [يوحنا ٨:٢٣]

الرد: معنى الكلام: أنتم تعيشون فى اللذات الجسدية، أما أنا فأعيش فى عالم الروح. أنتم فى عالم الأرض تريدون أن تعيشوا. أما أنا ففى عالم السماء مقصودى. وقد قال المسيح هذا القول لجميع تِلاميذه: «لو كنتم من العالم لكان العالم يحب خاصته، ولكن أنكم لستم من العالم، بل أنا اخترتكم من العالم، لذلك يُبغضكم العالم» [يوحنا ١٥ : ١٩] لقد سوى بينه وبين تلاميذه فى عدم الكون من هذا العالم. فلو كان هذا مستلزما للألوهية، للزم أن يكونوا كلهم آلهة.

٣ - يقولون: «إن عيسى إله؛ لأنه كان معصوما من الخطأ بدليل قوله لليهود: «من منكم يبكّتنى على خطية ؟» [يوحنا ٨: ٤٦]

الرد: لو كانت العصمة من الخطية سببا فى أن يكون الإنسان إلها، لكان جميع الرهبان والراهبات عند النصارى آلهة، لأنهم يدعون عصمتهم من الخطأ، ولكان جميع الباباوات خلفاء بطرس وبولس ومرقس آلهة؛ لأنهم يدعون عصمتهم من الخطأ أيضا، وقد شهد الكتاب المقدس لبعض الأنبياء بالبر والصلاح. فلماذا لم يجعلوهم آلهة ؟ ومن ذلك: «وسار أخنوخ [1] مع الله، ولم يوجد؛ لأن الله أخذه» [تكوين ٥ : ٢٤]

٤ - يقولون: إن المسيح إله؛ لأنه عمل العمل الذى يستحيل على غيره من الناس؛ أن يعمله وهو أنه فدى البشر من خطية آدم، وقُتل وصلب فداء عنهم «لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد، لكى لايهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية» [يوحنا ٣: ١٦]

الرد: كيف يكون المسيح فداء للبشر. وهو يقول: «إن كل كلمة بطالة يتكلم بها

---

(١) أخنوخ هو إدريس عليه السلام

الناس؛ سوف يعطون عنها حسابا يوم الدين؛ لأنك بكلامك تتبرر وبكلامك تدان»؟ [متى ١٢: ٣٦ - ٣٧] وهل المسيح هو الابن الوحيد ؟ هل هو صاحب نبوءة المزمور الثانى لداود عليه السلام ؟ وإن فى هذه النبوءة أن يحطم أعداءه فى ساحات القتال، وأن يملك على بلاد العالم ملكا أبديا. فهل حطم وملك ؟

٥ - مما يدل على كون المسيح إلها: أنه وصف نفسه بالألقاب الإلهية «أنا هو نور العالم، من يتبعنى لايمشى فى الظلمة، بل يكون له نور الحياة» [يوحنا ٨: ١٢

والرد: قوله «أنا هو نور العالم» لايدل على ألوهيته، بل المعنى: قد أتيت إليكم بتعاليم من الله، تنير لكم الطريق. مثل ماجاء فى القرآن عن رسول الله ﷺ : ﴿ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (١)

٦ - مما يدل على كون المسيح إلها: علمه بالخفيات والسرائر. مثل قوله عن تلميذه نثنائيل: «هوذا إسرائيلى حقا لاغش فيه» [يوحنا ١: ٤٧]

الرد: هذه من معجزات المسيح كمعجزة إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى بإذن الله، ثم إن كثيرا من الناس يعرفون بعلم الفراسة كثيرا من مثل هذه الأمور. وهذه المعجزة لم ينفرد بها المسيح بن مريم عمن سبقه من أنبياء بنى إسرائيل. ففى سفر الملوك الأول مانصه: «أن رجلا من بنى الأنبياء قال لصاحبه: عن أمر الرب اضربنى. فأبى الرجل أن يضربه. فقال له من أجل أنك لم تسمع لقول الرب، فحينما تذهب من عندى يقتلك أسد. ولما ذهب من عنده لقيه أسد فقتله» [الملوك الأول ٢٠: ٣٥ - ٣٦ ]

***

وأكثر معجزات المسيح لها نظائر عند الأنبياء السابقين. مثال ذلك:

١ - نزول المائدة من السماء على بنى إسرائيل. نظيرها: نزول المنّ والسلوى فى

---

(١) المائدة ١٥- ١٦ .

عهد موسى عليه السلام - كما هو مبين فى سفر الخروج -

٢ - المشى على الماء. نظيرها عبور اللاويين بتابوت العهد فى نهر الأردن مع يشوع بن نون فتى موسى عليه السلام ولم تبتل أرجلهم - كما هو مبين فى سفر يشوع فى الأصحاح الثالث -

٣ - أمره البحر بعدم الهيجان: نظيرها أمر يشوع للشمس بالوقوف حتى يفرغ من القتال - كما هو مبين فى الأصحاح العاشر من سفره -

٤ - إحياء الموتى بإذن الله. نظيرها: إحياء إلياس - عليه السلام - ميتا، وإحياء اليسع ميتين، وإحياء ذو الكفل [حزقيال] آلاف الموتى [١] وأن عيسى - عليه السلام - أحيا طول حياته ثلاثة أموات. وقال وهو يحيى العازر: «أيها الآب أشكرك؛ لأنك سمعت لى، وأنا علمت أنك فى كل حين تسمع لى، ولكن لأجل هذا الجمع الواقف قلتُ؛ ليؤمنوا: أنك أرسلتنى» [يوحنا ١١ : ٤١ - ٤٣] أى أنه أحيا بإذن الله ودعاء منه.

٥ - الشفاء من الأمراض. ونظيرها: شفاء اليسع عليه السلام لنعمان السريانى الذى كان أبرص - كما هو مبين فى سفر الملوك الأول -

٦ - وأما ولادة المسيح بدون أب. فنظيرها: مَلكى صادَق الذى ولد بدون أب وبدون أم - كما فى الرسالة إلى العبرانيين - «ملكِى صادق هذا. ملك ساليم كاهن الله العلى، الذى استقبل إبراهيم راجعا من كسرة الملوك، وباركه. الذى قسم له إبراهيم عُشرا من كل شيء. المترجم أولاً ملك البر، ثم أيضا ملك ساليم. أى ملك السلام. بلا أب بلا أم بلا نسب لابداءة أيام له ولانهاية حياة، بل هو مشبه بابن الله. هذا يبقى كاهنا إلى الأبد» [عبرانيين : ١ - ٣] يعنى بذلك: أنه مجهول النسب، لا أنه بلا أب حقيقى وأم حقيقية.

ولما كان الإمام فخر الدين الرازى مؤلف التفسير الكبير فى خوارزم ناظره قس

---

(١) أنظر الملوك الأول ١٧ وسفر الملوك الثانى ٤ و ١٣ و سفر حزقيال ٣٧.

نصرانى. فكان مماقال له القس: إن الذى يدل على ألوهية المسيح هو ظهور العجائب على يديه من إحياء الموتى وغيره. وكان مما قاله له الإمام فخر الدين: «إن قلب العصا حية أبعد فى العقل من إعادة الميت حيا. لأن المشاكلة بين بدن الحى وبدن الميت أكثر من المشاكلة بين الخشبة وبين بدن الثعبان، فإذا لم يوجب قلب العصا حية، كون موسى عليه السلام إلها وابنا للإله، فبأن لايدل إحياء الموتى على الإلهية كان ذلك أولى[1]»

٧ - مما يدل على كون المسيح إلها: القوة والقدرة على كل شيء. يقول لتلاميذه: «لأنكم بدونى لاتقدرون أن تفعلوا شيئا» [يوحنا ١٥ : ٥]

الرد: المعنى: لأنكم أيها التلاميذ بدون تعاليمى لاتستطيعون أن تفعلوا شيئا، بدليل قوله فى سباق الحديث: «إن ثبتم فىّ وثبت كلامى فيكم؛ تطلبون ماتريدون، فيكونُ لكم، بهذا يتمجد أبى أن تأتوا بثمر كثير، فتكونون تلاميذى»

٨ - مما يدل على كون المسيح إلها: غفرانهُ خطايا البشر. لقد قال للمفلوج: «يابنى مغفورة لك خطاياك» [مرقس ٢ : ٥]

الرد: لما شفى المفلوج، قال له: «مغفورة لك خطاياك» يقصد أن مرضه ربما كان بسبب خطئه. ولما شفاه الله؛ رفع عنه خطاياه، فعبر المسيح بما ربما كان سببا للمرض. لذلك اعترض عليه اليهود بقولهم: «لماذا يتكلم هذا هكذا بتجاديف ؟ من يقدر أن يغفر خطايا إلا الله وحده ؟» وقد ردّ المسيح عليهم بقوله: «أيما أيسر ؟ أن يقال للمفلوج: مغفورة لك خطاياك، أم أن يقال: قم واحمل سريرك وامشى» لم يقل ردا على قولهم: «إننى أنا الله وحده» بل بين أن قوله فيه يسر، لأنه يتحدث عن ماربما أن يكون سببا للمرض .

واليهود الذين سمعوا قوله، ورأوا هذه المعجزة. يحكى عنهم متى: «فلما رأى الجموع تعجبوا، ومجدوا الله الذى أعطى الناس سلطانا مثل هذا» مجدوا الله الذى يغفر الخطايا وحده، ولو كان التمجيد لعيسى نفسه لقال متى: «ومجدوا يسوع» ولكنه

(١) انظر ( آل عمران ٦١ ) فى تفسير الإمام شيخ الإسلام فخر الدين، وانظر ص ١٦ ج ٢ إظهار الحق. وقيس كلمة سريانية تساوى ( شيخ )

قال: «ومجدوا الله الذى أعطى الناس» أى أن فعل المسيح الذى هو إنسان هو مما أعطاه الله له. وفى رواية لوقا عن اليهود المشاهدين وعن المفلوج: «ففى الحال قام أمامهم، وحمل ما كان مضطجعا عليه، ومضى إلى بيته، وهو يمجد الله. فأخذت الجميع حيرة، ومجدوا الله، وامتلأوا خوفا قائلين: إننا قد رأينا اليوم عجائب» وفى رواية مرقس: «فقام للوقت وحمل السرير، وخرج قدام الكل، حتى بهت الجمع، ومجدوا الله قائلين: مارأينا مثل هذا قط»

٩ - مما يدل على أن المسيح إله: أنه نسب إلى نفسه إعطاء الحياة الأبدية السرمدية الدائمة «خرافى تسمع صوتى، وأنا أعرفها فتتبعنى، وأنا أعطيها حياة أبدية، ولن تهلك إلى الأبد، ولايخطفها أحد من يدى» [يوحنا ١٠ : ٢ - ٢٨]

الرد: لقد عبر عن التلاميذ بالخراف، وأنه واضع الخراف فى يده، وليس التلاميذ خراف حقيقية، ولا هو يمسك فى يده هذه الخراف، فيكون التعبير كناية عن ضعف التلاميذ، وأنه هو الذى يوجههم. وأن الله عز وجل وحده هو الذى هدى إليه قلوب التلاميذ وحببهم فيه. يقول المسيح بعد هذه الفقرة مباشرة: «ولايخطفها أحد من يدى. أبى الذى أعطانى إياها، هو أعظم من الكل، ولايقدر أحد أن يخطف من يد أبى»

١٠ - مما يدل على أن المسيح متساوى مع الآب: قوله: «أنا والآب واحد» [يوحنا ١٠ : ٣٠]

الرد: إن هذا القول أطلقه عيسى أيضا على التلاميذ الاثنى عشر. فى قوله: «ليكون الجميع واحدا، كما أنك أنت أيها الآب فىّ، وأنا فيك؛ ليكونوا هم أيضا واحدا فينا؛ ليؤمن العالم أنك أرسلتنى، وأنا قد أعطيتهم المجد الذى أعطيتنى ليكونوا واحدا. كما أننا نحن واحد، أنا فيهم وأنت فى؛ ليكونوا مكملين إلي واحد، وليعلم العالم أنك أرسلتنى» [يوحنا ١٧ : ١٢ - ٢٣] فقوله: «ليكون الجميع واحدا» وقوله: «ليكونوا واحدا، كما أننا نحن واحد» وقوله: «ليكونوا مكمّلين إلى واحد» يدل على اتحاد لعيسى بسائر التلاميذ. وهذا الاتحاد ليس حقيقيا، وإنما هو تعبير مجازى عن إطاعتهم لأحكام الله عز وجل، وعملهم الأعمال الصالحة جميعهم

١١ - مما يدل على أن المسيح هو الله: حضوره الدائم فى كل زمان. بدليل قوله

لتلاميذه: «فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم، وعمّدوهم باسم الآب والابن والروح القدس، وعلموهم ان يحفظوا ماأوصيتكم به، وها أنا معكم كل الأيام، إلى انقضاء الدهر» [متى ٢٨: ١٩ - ٢٠]

الرد: معنى قوله «وها أنا معكم كل الأيام» معناه معكم: بتعاليمى التى أوصيتكم بها. التعاليم التى ستدوّن فى الكتب. ومعنى قوله: «إلى انقضاء الدهر»: معناه إلى انقضاء الزمن، الذى فيه النبوة والشريعة مع بنى إسرائيل إلى أن يأتى بنى إسماعيل عليه السلام. وليس معهم بجسمه بدليل قوله : «لست أنا بعد فى العالم» [يو ١: ١١] وقوله هذا، يدل على أنه لن ينزل فى آخر الزمان.

١٢ - مما يدل على أن المسيح هو الله؛ حضوره الأكيد فى كل مكان. بدليل قوله للتلاميذ: «لأنه حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمى، فهناك أكون فى وسطهم» [متى ١٨: ٢٠]

الرد: قال المسيح لتلاميذه: «الحق أقول لكم: كل ماتربطونه على الأرض يكون مربوطا فى السماء، وكل ماتحلونه على الأرض، يكون محلولا فى السماء، وأقول لكم أيضا: إن اتّفق اثنان منكم على الأرض فى أى شيء يطلبانه؛ فإنه يكون لهما من قبل أبى الذى فى السموات؛ لأنه حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمى؛ فهناك أكون فى وسطهم» هذا النص على فرض التسليم بصحته يثبت: أن المسيح ليس بيده شيء. وكل شيء من «قبل أبى الذى فى السموات» لأنه أى أبيه المجازى؛ هو الذى يحضر فى كل مكان، أما هو فإنه يكون فى وسطهم بتعاليمه ونصائحه .

١٣ - مما يدل على أن المسيح إله: حضوره فى كل قلب «إن أحبنى أحد يحفظ كلامى، ويحبه أبى. وإليه نأتى. وعنده نصنع منزلا» [يوحنا ١٤: ٢٣]

الرد: تمام النص هكذا: «وعنده نصنع منزلا، الذى لايحبنى لايحفظ كلامى، والكلام الذى تسمعونه ليس لى، بل للآب الذى أرسلنى، بهذا كلمتكم وأنا عندكم، وأما المعزّى الروح القدس، الذى سيرسله الآب باسمى؛ فهو يعلمكم كل شيء، ويذكّركم بكل ماقلته لكم» لو حضر المسيح مع الله فى كل قلب. فهل هما يصنعان منزلا حقيقيا. له أبواب وشبابيك ؟ كلاّ وإنما المعنى: هو كناية عن حب الله وحب

عيسى لذلك الإنسان. بدليل: ماجاء فى بعض التراجم: «وعنده نتخذ المنزلة» ولماذا يأخذون من النص دليل الألوهية، ولايأخذون دليل الرسالة ؟ «الكلام الذى تسمعونه ليس لى، بل للآب الذى أرسلنى»

١٤ - مما يدل على أن المسيح إله: أنه هو الحامى والحارس للمؤمنين. إذ يقول عن تلاميذه، الذين شبههم بالخراف: «ولن تهلك إلى الأبد، ولايخطفها أحد من يدى» [يوحنا ١٠: ٢٨]

الـرد: «كان يسوع يتمشى فى الهيكل فى رواق سليمان، فاحتاط به اليهود وقالوا له: إلى متى تعلّق أنفسنا ؟ إن كنت أنت المسيح، فقل لنا جهرا ؟ أجابهم يسوع: إنى قلت لكم، ولستم تؤمنون؛ لأنكم لستم من خِرَافى. كما قلت لكم، خرافى تسمع صوتى وأنا أعرفها؛ فتتبعنى، وأنا أعطيها حياة أبدية، ولن تهلك إلي الأبد، ولايخطفها أحد من يدى. أبى الذى أعطانى إياها، هو أعظم من الكل، ولايقدر أحد أن يخطف من يد أبى» يريد أن يقول لليهود: لست أنا «المسيح الرئيس» المَسِيّا المنتظر، وقد قلت لكم، ولكنكم لم تؤمنوا؛ لأنكم تريدونه منكم. وأنتم لستم أتباعى حقيقة؛ فإننى أعطيتكم تعاليمى التى إن اتبعتموها؛ لاتهلكون. ولاتستطيعون أنتم ولا أى فرد أن ينتزع أتباعى منى، بعدما عرفتهم تعاليم الله، وقد اصطفاهم الله واجتباهم ولايقدر أحد أن يخطف من يد أبى.

فأنت ترى أنه نسب كل شيء إلى الله فى نهاية الأمر. وليس له من الأمر شيء.

١٥ - ومما يدل على ألوهيته: أنه سد جميع الأعواز والاحتياجات «تعالوا إلىّ ياجميع المتعبين والثقيلى الأحمال، وأنا أريحكم» [متى ١١: ٢٨]

الـرد: النص فى إنجيل متى هكذا: «أجاب يسوع وقال: أحمدك أيها الآب. رب السماء والأرض؛ لأنك أخفيت هذه عن الحكماء والفهماء، وأعلنتها للأطفال، نعم أيها الآب لأن هكذا صارت المسرة أمامك... الخ» [متى ١١: ٢٥ - ٣٠] إنك ترى أنه يحمد الله وحده. رب السماء والأرض، وأنه يقول: ياجميع المتعبين اقبلوا على

تعاليمى، التى أخذتها من الله وأنتم تسعدون.

١٦ - ومما يدل على ألوهية عيسى: أنه جمع جميع المؤمنين فى شخصه؛ ليربطهم معا بكيفية موحدة سرية، شبهها هو بارتباط الأغصان بالكرمة فى القول: «أنا الكرمة وأنتم الأغصان، الذى يثبت فىّ وأنا فيه. هذا يأتى بثمر كثير» [يوحنا ١٥: ٥]

الرد: قد سبق القول بأن اتحاد المسيح فيهم وهم فيه: هو كناية عن التقائهم على هدف واحد، هو تبليغ أوامر الله.

١٧ - مما يدل على ألوهية عيسى عليه السلام: سلطانه الآمر على كل المؤمنين. وذلك فى قوله: «من أحب أبا أو أما أكثر منى؛ فلا يستحقنى» [متى ١٠: ٣]

الرد: هذا القول قاله عيسى لتلاميذه الاثنى عشر، وهو يرسلهم ليبشروا فى قرى اليهود باقتراب ملكوت السموات، ويوصيهم بتحمل الأذى، وفى نهاية حديثه قال لهم: «من أحب أبا أو أما أكثر منى، فلا يستحقنى، ومن أحب ابنا أو ابنة أكثر منى، فلا يستحقنى، ومن لايأخذ صليبه ويتبعنى، فلا يستحقنى. من وجد حياته، يضيعها، من يقبل نبيا باسم نبى؛ فأجر نبى يأخذ، ومن يقبل بارا باسم بار؛ فأجر بارّ ؛ يأخذ» [متى ١٠] وهذا يدل على سلطانه الآمر بصفته معلما، ومبشرا بنبى يأتى من بعده.

١٨ - ومما يدل على كونه إلها: قبول السجود والتعبّد له. فإنه لما شفى المسيح رجلا أعمى، قال له المسيح: «أتؤمن بابن الله ؟ أجاب ذاك. وقال: من هو ياسيد لأومن به ؟ فقال له يسوع: قد رأيتَه، والذى يتكلم معك هو هو. فقال: أؤمن ياسيد، وسجد له» [يوحنا ٩: ٣٥ - ٣٨]

الرد: يحكى يوحنا عن محاورة اليهود لهذا الأكمه، الذى ولد أعمى، هكذا: «كيف فتح عينيك ؟ أجابهم: قد قُلت لكم، ولم تسمعوا. لماذا تريدون أن تسمعوا أيضا ؟ ألعلكم أنتم تريدون أن تصيروا له تلاميذ ؟ فشتموه. وقالوا: أنت تلميذ

ذاك. وأما نحن فإننا تلاميذ موسى. نحن نعلم أن موسى كلمه الله. وأما هذا فما نعلم من أين هو ؟ أجاب الرجل وقال لهم: إن فى هذا عجبا. أنكم لستم تعلمون من أين هو، وقد فتح عينىّ، ونعلم، أن الله لايسمع للخطأة. ولكن إن كل أحد يتقى الله، ويفعل مشيئته، فلهذا يسمع. منذ الدهر لم يسمع أن أحدا فتح عينى مولود أعمى. لو لم يكن هذا من الله لم يقدر أن يفعل شيئا ؟» وهذه المحاورة تدل على اعتراف الأكمه بأن عيسى رسول من الله؛ لقوله: «لو لم يكن هذا من الله؛ لم يقدر أن يفعل شيئا» ثم إن كتاب الإنجيل أزادوا العبارة السابقة بعد المحاورة مباشرة؛ ليقولوا: إن المسيح هو ابن الله. المشار إليه فى الزبور الثانى. بدليل سجود الأكمه له.

وقد بينا من قبل: إن المسيح نفى عن نفسه أنه الابن فى عبارة داود عليه السلام: التى هى «أنت ابنى» ومعنى السجود هنا: الاحترام والتحية. لا السجود الحقيقى. فقد صرح عيسى فى إنجيل متى: «للرب إلهك تسجد، وإياه وحده تعبد» [متى ٤ : ١٠] وقد ورد لفظ السجود مجازا بمعنى الاحترام والتحية، فى مواضع كثيرة. منها: أن إبراهيم عليه السلام بعد أن ماتت زوجته سارة فى أرض كنعان، قال لبنى حث: «أنا غريب ونزيل عندك؛ أعطونى ملك قبر؛ لأدفن ميتى من أمامى، فأجاب بنوحثّ إبراهيم قائلين له: اسمعنا ياسيدى، أنت رئيس من الله بيننا، فى أفضل قبورنا إدفن ميتك، لايمنع أحد منا قبره عنك، حتى لاتدفن ميتك، فقام إبراهيم وسجد لشعب الأرض لبنى حث» [التكوين ٢٣ : ٤ - ٧]

١٩ - ومما يدل على ألوهية عيسى عليه السلام: أنه هو الديان العادل. إذ يقول: «لاتتعجبوا من هذا، فإنه تأتى ساعة. فيها يسمع جميع الذين فى القبور صوته، فيخرج الذين فعلوا الصالحات إلى قيامة الحياة، والذين فعلوا السيئات، إلى قيامه الدينونة» [يوحنا ٥ : ٢٩]

الرد: إنه يتحدث عن الابن الذى أشار إليه داود عليه السلام بقوله: «أنت ابنى» وقد سبق أن قلنا: إن هذا تعبير مجازى عن مجئ هذا الابن، والدليل على أنه ليس هو المسيح : قول المسيح: «أنتم حسب الجسد تدينون، أما أنا فلست أدين أحدا» [يوحنا

٨: ١٥] ومعنى إدانته إذا أدان: أنه حذرهم من رفضهم النبى الآتى. كما يستفاد من النص وهو: «إن سمع أحد كلامى، ولم يؤمن؛ فأنا لاأدينه، لأنى لم آت لأدين العالم، بل لأخلّص العالم. من رذلنى ولم يقبل كلامى؛ فله من يدينه، الكلام الذى تكلمت به، هو يدينه فى اليوم الأخير [1]» [يوحنا ١٢: ٤ - ٤٨] ولقد قال له اليهود: «من تجعل نفسك ؟ أجاب يسوع: إن كنت أمجد نفسى، فليس مجدى شيئا، أبى هو الذى يمجدنى، الذى تقولون أنتم: إنه إلهكم، ولستم تعرفونه. وأما أنا فأعرفه. وإن قلُت: إنى لست أعرفه؛ أكون مثلكم كاذبا. لكنى أعرفه وأحفظ قوله» [يوحنا ٨: ٥٣ - ٥٥]

٢٠ - ومما يدل على ألوهيته: أنه هو الملك الأبدى. لقد قال لبيلاطُوس لما سأله: افأنت إذاً ملك؟: «أنت تقول. لهذا قد ولدت أنا، ولهذا قد أتيت إلى العالم؛ لأشهد للحق» [يوحنا ١٨: ٣٧]

الرد: لم يقل المسيح إننى ملك - كما سبق بيانه - فى [يو ٦: ١٥] وقد وضح الهدف من إرساليته: وهو «لأشهد للحق» أى لأعرف اليهود والعالم بأن نبى الإسلام آت من بعدى.

وعلى ماتقدم؛ فإنه ( كيف يهدى الله قوما كفروا بعد إيمانهم وشهدوا أن الرسول حق، وجاءهم البيانات [2] )

هذا كل ماذكره القسّ إلياس مقار. تحت عنوان «الدليل المستمد من أقوال المسيح ذاته» وقد وضح أن لا حجة لهم فيه.

ويدعى البعض من النصارى: أن عقيدة الثالوث فى الإسلام. وهذا مايدّعوه. والرد عليه:

يقول حبيب سعيد فى كتابه [أديان العالم] تحت عنوان: عقيدة الثالوث

---

(١) اليوم الأخير: هو نهاية أيام بركة إسحق، وهو ابتداء بركة إسماعيل.

(٢) آل عمران ٨٦

فى الإسلام [1].

١ - إن الله فى القرآن تحدث عن نفسه بصيغة الجمع مثل: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاعِبِينَ﴾ [2] والجمع يدل على التثليث.

الرد عليه: إن ضمير الجمع للتعظيم، وليس للتثليث. وقد جاء فى القرآن حديث الله عن نفسه بصيغة المفرد أيضا. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [3]

٢ - قد نسب القرآن الخلق للمسيح، فيكون مع الله الذى تحدث عن نفسه بصيغة الجمع. أى اثنين ﴿أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [4] ومن يخلق حيا، يكون إلها.

الرد عليه: إن المسيح كان يخلق ( بإذن الله ) وهذه معجزة للمسيح؛ لتدل على نبوته كما كان للأنبياء السابقين عليه معجزات واضحات. ويدلك على أن المسيح كان يخلق بإذن الله: أن الأناجيل الأربعة وضحت عقب المعجزات التى صنعها المسيح: أنه عملها بإذن الله؛ ليؤمن الناس برسالته. ومن ذلك: مارواه يوحنا عن إقامة المسيح «لَعازَر» من الأموات. يقول مانصه: «فانزعج يسوع أيضا فى نفسه وجاء إلى القبر. وكان مغارة، وقد وضع عليه حجر. قال يسوع: ارفعوا الحجر. قالت له مرثا أخت الميت: ياسيد قد أنتن؛ لأن له أربعة أيام. قال لها يسوع: ألم أقل لك: إن آمنت ترين مجد الله ؟ فرفعوا الحجر حيث كان الميت موضوعا، ورفع يسوع عينيه إلى فوق. وقال: أيها الآب أشكرك لأنك سمعتَ لى. وأنا علمتُ أنك فى كل حين تسمع لى. ولكن لأجل هذا الجمع الواقف قلتُ: ليؤمنوا أنك أرسلتنى» [يوحنا ١١ : ٣٨ - ٤٢] ولما سأله اليهود: «من أنت؟» أجاب بقوله: «أنا من البدء ماأكلمكم أيضا به. إن لى أشياء كثيرة أتكلم وأحكم بها من نحوكم. لكن الذى أرسلنى هو حق. وأنا

---

(١) ص ٢٨٥ - ٢٨٧ أديان العالم
(٢) الأنبياء ١٦
(٣) سورة (ص) :٧٥
(٤) آل عمران ٤٩

ماسمعته منه؛ فهـذا أقوله للعالم. والذى أرسلنى هو معى، ولم يتركنى الآب وحدى. لأنى فى كل حين أفعل مايرضيه» [يوحنا ٨: ٢٥ - ٢٩

٣ - قال الله عن المسيح: إنه «كلمة الله» (١) أى الأقنوم الثانى.

الرد عليـه: كل شـيء فى الكون لايقع إلا بكلمة من الله. يقـول للشيء كن؛ فيكون. وأنه لما أراد خلق المسـيح ألقى كلمة إلى مريم. وهى: كونى حامـلا. فصارت حاملا بدون أب. كـما قال عن كتلة من الطين: كونى آدم؛ فـصارت آدم. والمسيح من الله ككل شيء فى الكون. فى السموات، وفى الأرض، ومافيهم. كما يقول تعـالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ (٢) أى من خلقه وحده. وعلى ذلك فـقول اللـه عن المسيح إنه روح مـنه: يعنى: أنه خلق من خلقـه كخـلق السمـاء والأرض. وحياته من قـدرة الله وحده لا من إله آخر. وقول الله عن المسـيح إنه كلمة منه، يعنى أنه واحد من المخلوقات التى تخلق بالأمر الإلهى.

ففى سفر الزبور: «بكلمة الرب؛ صُنعت السمـوات، وبنسمة فيه كلُّ جنودها. يجمع كَنَدّ أمـواه اليمّ، يجـعل اللجج فى أهراء. لتـخش الربَّ كلُّ الأرض، ومنه ليـخف كل سكان المسكونة؛ لأنه قال؛ فكان. هو أمر؛ فصار» [مزمور ٣٣: ٦ - ٩]

وأما الأقنوم الثانى فلا صلة له البتة بكلمة الله التى أوجد بها المسيح. لأن أصل الأقنوم الثانى - أقنوم الابن -: نبوءة كتبها اليهود فى الزبور بأيديهم، بالمعنى، حسب من وحى الله تعالى، عن نبى منتظر أخـبر عن مجيئه مـوسى عليه السلام. وهذا النبى المنتظر الذى أخبر عن مجيئـه موسى، هو من بنى إسماعيل [التثنية ١٨] ولكى يقـفل اليهود باب النبوءات على أنفسهم. ولكى يلبس اليهود الحق بالباطل، أرادوا أن يشككوا الناس فى هذا النبى. ولهذا التـشكيك، أطلقوا عليه لقب «ابن الله» كمـا يطلقون على أنفسـهم جميعا. بالمعنى المجـازى، وزعموا: أن النبى المنتظر منهم لا من بنى إسماعيل. وقد أدعى النصارى: أن نبـوءة الابن خاصة بعيسـى المسيح، مع أن الأوصاف فى نص النبوءة لاتدل عليه [مزمور ٢] وادعوا: أن عيسى المسيح ابن حقيقى لله، مع أن النص

(١) ( وكلمته ألقاها إلى مريم ) [ آل عمران ٤٥ ] (٢) الجاثية ١٣

ونصوص التوراة المشابهة فى «الابن» يصرحون بالمعنى المجازى - كما سبق بيانه -

٤ - الروح القدس فى القرآن؛ علم شخصى - كما فى الإنجيل - للأقنوم الثالث [١] [النحل ١٠٢ والمائدة ١١٣]

الرد عليه: الروح القدس فى القرآن والتوراة والإنجيل؛ واحد بالمعنى المجازى. وأصلُ الأقنوم الثالث: هو نبوءة نطقها المسيح عن نبى الإسلام صلى الله عليه وسلم فى الأصحاح الرابع عشر من إنجيل يوحنا «بِيركليت الروح القدس» ولكى يدعى النصارى أنه لانبى بعد المسيح، قالوا: إن «ِيركليت الروح القدس» هو الأقنوم الثالث. فبيركليت: علم شخصى على محمد - وبيركليت اسم أحمد - والرح القدس؛ لقب لبيركليت. كما نطق المسيح فى الإنجيل. ولاصلة له البتة بالأقنوم الثالث.

يقول القسيس بفندر فى كتابه «مفتاح الأسرار»: «إن لفظ روح الله ولفظ روح القدس فى التوراة والإنجيل بمعنى واحد [٢]»

ويقول فى كتابه: «حل الإشكال فى جواب كشف الأستار»: «من له شعور مّا بالتوراة والإنجيل فهو يعرف أن ألفاظ روح القدس وروح الحق وروح فم الله وغيرها بمعنى روح الله [٣]» ويقول الشيخ محمد رحمت الله بن خليل الله الهندى الكيرانوى العثمانى [٤] فى كتابه «إظهار الحق»: «تفسير فارقليط بروح القدس، وروح الحق لايضرنا؛ لأنهما بمعنى الواعظ الحق، كما أن لفظ روح الحق وروح الله بهذا المعنى فى الرسالة الأولى ليوحنا؛ فيصح إطلاقهما على محمد صلى الله عليه وسلم

---

(١) النحل ١٠٢ - والمائدة ( إذ أيدتك بروح القدس )

(٢) ص ٥٣ مفتاح الأسرار طبعة سنة ١٨٥٠ الطبعة الفارسية - نقلاً عن ص ١٦٠ ج ٢

(٣) نقلا عن ص ١٦٠ ج ٢ إظهار الحق.

(٤) الشيخ محمد رحمت الله - رحمه الله تعالى وجزاه عن الإسلام خير الجزاء ينتسب إلى عثمان بن عفان - رضي الله عنه - ولد في «كيرانه» من توابع «دلهى» بالهند فى جمادي الأولى سنة ١٢٣٣هـ توافق سنة ١٨١٨ م وفي زمنه وصل القسيسون إلى الهند لنشر الدين النصرانى =

بلا ريب[1]». أ. هـ.

٥ - البسملة الإسلامية ( بسم الله الرحمن الرحيم ) شبيهة بالبسملة المسيحية «بسم الآب والابن والروح القدس »

الرد عليه: ( الله ) علم على الذات الإلهية. و ( الرحمن ) و ( الرحيم ) صفتان للذات. كما تحدث الله عن نفسه فى التوراة فقال: «الرب. الرب. إله. رحيم.

---

= تحت نفوذ الاستعمار البرتغالى والإنجليزي وكانوا يألفون الكتب والرسائل لرد المسلمين عن دينهم. فتصدى لهم الشيخ محمد رحمت الله وألف كتبا كثيرة فى نقد دين النصارى وناظرعلنا مناظرة شفهية على رءوس الأشهاد

١ - القسيس كتى ومساعده القسيس فرنج في منزل كتى بمدينة «أكره» وطبعت هذه المناظرة في كتاب آثار رحمت للأستاذ إمداد صابري.

٢ - والقسيس بفندر ومساعده فرنج فى مدينة أكبر أباد. وحضرها مراسلو الإذاعات والصحف العالمية وأقر القسيون بثبوت التحريف فى التوراة والإنجيل. وكانت المناظرتان فى سنة ١٣٧٠ هـ توافق سنة ١٨٥٤ م وطبعت هذه المناظرة على هامش الجزء الأول من إظهار الحق طبعة مصر سنة ١٣١٥ هـ توافق سنة ١٨٩٨م وقد اشترك فى ثورة الهند الكبرى ضد الإنجليز سنة ١٢٧٣ هـ توافق سنة ١٨٥٧ م ولما هُزم المسلمون، هاجر إلى مكه المكرمة وأسس بها المدرسة الصَّولتية علي غرار الجامع الأزهر في مصر وقد أمره الشيخ أحمد بن زينى دحلان شيخ علماء مكة بتأليف كتاب يضم المسائل المتنازع فيها بين المسلمين والنصارى. ولما شرع فى التأليف طلبه خليفة المسلمين فى تركيا السلطان عبدالعزيز خان وأعجب به جداً وأثنى عليه وطلب منه المقام بجواره وتأليف كتاب يضم المسائل المتنازع فيها. فألف فى جواره كتابه «إظهار الحق» وكتاب إظهار الحق من الكتب الجامعة المانعة فى المسائل المتنازع فيها بين المسلمين والنصارى وهو مفيد جداً. ثم رجع الشيخ إلى مكة. وعاش فيها يدرس العلم إلى أن انتقل إلى رحمة الله تعالى فى رمضان سنة ١٣٠٨ هـ توافق سنة ١٨٩١م عن خمسة وسبعين عاما ودفن فى مكه المكرمة.

( اقرأ فى ترجمته: مقدمة تقى الدين العثمانى الباكستانى لكتاب إظهار الحق باللغة الأوردية فى ثلاثة اجزاء وكتاب آثار رحمت الله لإمداد صابرى وكتاب «إيك مجاهد معمار» تأليف محمد سليم مدير المدرسة الصولتية فى مكة سنة ١٩٥٢م والمقال الذى نشره عنه الدكتور عبدالغنى الراجحى فى مجلة الهدى النبوى بمصر ذو القعدة ١٣٩٧ هـ نوفمبر ١٩٧٧م )

(١) ص ١٦١ ج ٢ إظهار الحق.

ورءوف. بطئ الغضب. وكثير الإحسان. والوفاء. حافظ الإحسان إلى ألوف. غافر الإثم. والمعصية. والخطية. ولكنه لن يبرئ إبراء... الخ» [خروج ٣٤: ٦ - ٧] وكما تحدث عن نفسه فى القرآن فقال: ﴿غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ [(١)] .

---

(١) غافر ٣

# الفصل الثامن
# فى
# نصرانية بُولُس

قلنا: إن الديانة اليهودية كانت لليهود وللأمم، وأن اليهود قصروها على أنفسهم من زمن بابل، وأن المسيح عيسى - عليه السلام - ظهر لينادى فى اليهود بالعمل بكتاب موسى، وبالاستعداد للدخول فى دين محمد صلى الله عليه وسلم إذا جاء. وقلنا: إن فريقا من اليهود تظاهروا بالنصرانية؛ وكادوا لها كيدا. ومنهم «بولس» الذى يلقب برسول الأمم .

وهنا نبين الخطوات التى سار عليها هذا الفريق، بقيادة «بولس» حتى تم له ماأراد:

أولا: تحريف بولس فى نبوءات التوراة عن النبى المنتظر:

لقد كان من علماء اليهود الغيورين على الشريعة. ويشهد بتفوقه: تخرجه من مدرسة العالم اليهودى الشهير «غما لائيل» كما يقول هو عن نفسه: «أنا رجل يهودى ولدت فى طرسوس كليكية. ولكن رُبيت فى هذه المدينة، مؤدبا عند رجلى غمالائيل. على تحقيق الناموس الأبوى. وكنت غيورا لله. كما أنتم جميعكم اليوم» [أع ٢٢ : ٣] وهو يفهم كما يفهم سائر اليهود: أن الله واحد لاشريك له. كما هو واضح من قوله: «وكنت غيورا لله. كما أنتم جميعكم اليوم» وهو يفهم كما يفهم علماء اليهود: أن نبيا من بنى إساعيل؛ آت؛ لتبدأ من وجوده بركة الأمم فى آل إسماعيل. كما هو واضح من بركة إسماعيل التى نصت عليها التوراة. وسبق بيانها. ولا مانع فى أن نعيدها ههنا هكذا:

١ - لما أمر الله إبراهيم بذبح ابنه البكر، واستسلم للأمر؛ ناداه الله بقوله: «بذاتى أقسمت يقول الرب: إنى من أجل أنك فعلت هذا الأمر، ولم تمسك ابنك وحيدك؛ أُباركك مباركة. وأكثر نسلك تكثيرا. كنجوم السماء، وكالرمل الذى على شاطئ

البحر. ويرث نسلك باب أعدائه. ويتبارك فى نسلك جميع أمم الأرض. من أجل أنك سمعت لقولى» [تك ٢٢: ١٦ - ١٨]

٢ - وقال الله له: إن مباركة جميع أمم الأرض فى نسلك: هى فى إسماعيل وإسحق «وقال الله لإبراهيم: ساراى امرأتك لاتدعو اسمها ساراى، بل اسمها سارة. **وأباركها وأعطيك أيضا منها ابنا. أباركها. فتكون أمما. وملوك شعوب منها؛ يكونون» [تك ١٧: ١٥ - ١٦]**

**٣ - «وقال إبراهيم لله: ليت إسماعيل يعيش أمامك ؟ فقال الله... وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه. هاأنا أباركه. وأثمره. وأكثره كثيرا جدا. اثنى عشر رئيسا يلد، وأجعله أمة كبيرة» [تك ١٧: ١٨ - ٢٠]**

٤ - ومعنى البركة: أن يكون من النسل أمم وملوك على الشعوب. كما هو واضح من قوله: «أباركها. فتكون أمما. وملوك شعوب منها؛ يكونون» وكما هو واضح من النصوص الآتية:

أ - قال الله لإسحق: «أنا إله أبيك إبراهيم. لاتخف. لأنى معك. وأباركك، وأكثر نسلك من أجل إبراهيم عبدى» [تك ٢٦: ٢٤]

ب - وقال إسحق ليعقوب وهو يباركه: «ليعطك الله من ندى السماء. ومن دسم الأرض. وكثرة حنطة وخمر. ليستعبد لك شعوب. وتسجد لك قبائل» [تك ٢٧: ٢٨ - ٢٩]

ت - وقال له أيضا: «والله القدير يُباركك، ويجعلك مثمرا. ويكثرك؛ فتكون جمهورامن الشعوب. ويعطيك بركة إبراهيم. لك ولنسلك معك» [تك ٢٨: ٣ - ٤]

ث - والله قال ليعقوب: «أنا الرب إله إبراهيم أبيك، وإله إسحق. الأرض التى أنت مضطجع عليها. أُعطيها لك ولنسلك. ويكون نسلك كتراب الأرض . وتمتد غربا وشرقا وشمالا وجنوبا. ويتبارك فيك وفى نسلك جميع قبائل الأرض» [تك ٢٨: ١٣ - ١٤]

ج - والنبى داود يُفسر البركة بكثرة النسل، ليكون منه أمم وملوك على الشعوب.

فيقول: «لأن المباركين منه يرثون الأرض. والملعونين منه يقطعون» [مزمور ٣٧: ٢٢]

وهذه التأكيدات من التوراة على بركة إسحق التى ظهرت فى يعقوب ابنه. لها مايماثلها من التأكيدات على بركة إسماعيل هكذا:

أ - فقد قال الله عن إسماعيل: «أباركه وأثمره وأكثره كثيرا جدا... وأجعله أمة كبيرة»

ب - وقالت سارة لإبراهيم: ابن هاجر لايرث البركة منك، كما يرث ابنى إسحق. فقال الله لإبراهيم: «بإسحق يدعى لك نسل. وابن الجارية أيضا سأجعله أمة؛ لأنه نسلك» [تك ٢١: ١٢ - ١٣]

ت - ولما أرادت هاجر أن تسكن بعيدا عن سارة؛ ناداها ملاك الله بقوله: «لا تخافى لأن الله قد سمع لصوت الغلام حيث هو. قومى احملى الغلام وشدى يدك به، لأنى سأجعله أمة عظيمة» [تك ٢١: ١٧ - ١٨]

ث - وأكدّ على هذا المعنى ملاكُ الله من قبل ولادة إسحق. فإنه قابل هاجر وخاطبها بقوله: «هاأنت حبلى فتلدين ابنا، وتدعين اسمه إسماعيل؛ لأن الرب قد سمع لمذلتك، وإنه يكون إنسانا وحشيا. يده على كل واحد. ويد كل واحد عليه» [تك ١٦: ١١ - ١٢]

وبناء على ما تقدم: فإنه إذا كانت البركة فى إسحق - عليه السلام - تعنى «الملك والنبوة» فإنها لابد أن تكون كذلك فى إسماعيل - عليه السلام - تعنى «الملك والنبوة» فلماذا يقول اليهود والنصارى: إن بركة إسماعيل تعنى الملك فقط، ولاتعنى النبوة ؟ ولماذا يكتب اليهود فى التوراة: أن العهد بالنبوة خاص بإسحق وحده فى هذا النص: «وقال إبراهيم لله: ليت إسماعيل يعيش أمامك ؟ فقال الله: بل سارة امرأتك تلد لك ابنا وتدعو اسمه إسحق وأقيم عهدى معه عهدا أبديا؛ لنسله من بعده. وأما إسماعيل فقد سمعتُ لك فيه. ها أنا أباركه.... الخ»، وهم بجعلهم العهد فى إسحق يُلبسون الحق بالباطل. وقد رد الله عليهم فى القرآن بقوله تعالى ﴿ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ (1) و﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي

(1) البقرة ١٢٤

خرابها﴾ [١] وقتلوا الأنبياء بغير حق ؟ وبين أن البركة تكون فى إسماعيل الذبيح، وإسحق، فى قوله: ﴿وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ﴾ [٢]

ومن الممكن أن يقال: إن البركة تعنى زيادة النسل فى إبراهيم. وليس بلازم أن يكون من النسل نبى ذو شريعة من السماء. وذلك منهم قول غير سديد؛ لأن الله قد منّ على إبراهيم بالنسل، وتفضّل. ولو كان نسلا عاديا كنسل أى رجل من الرجال. فما هى وجه المِنّة ؟ وماهو وجه التفضيل. ونحن نشاهد الكفار يتناسلون بكثرة ؟ إنه حيث قد وعد بنسل مبارك؛ فلابد أن يكون نسلا هاديا، معلما للناس الخير.

وفى القرآن الكريم: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾

العهد ههنا: معلوم ومعروف لأهل الكتاب. والمراد بالظالمين: نسل بنى إسرائيل.

وبيان ذلك: أن الله امتحن إيمان إبراهيم. بالجهاد فى سبيله، والدعاء إلى دينه. ولما رأى قوة إيمانه قال له: " سر إمامى، وكن كاملا؛ فأجعل عهدى بينى وبينك، وأكثرك كثيرا جدا» وغير اسمه إلى إبراهيم، لأنه سيجعله للناس إماما. ذلك قوله: «لأنى أجعلك أبا لجمهور من الأمم «وقال إبراهيم لله: إنى أتمني منك أن يكون من نسل إسماعيل إماما للناس. ويسير نسل إسماعيل معه للدعاء إلى دينك. قال له: «ليت إسماعيل يعيش أمامك» وفى القرآن قال له: ( ومن ذريتى ) أى أتمنى سيرا لإسماعيل؛ فإنه جاد بنفسه. والذى يجود بنفسه، هو مؤهل لأن يجاهد فى سبيلك. ورد الله عليه بقوله: ومن ذريتك استجبت فى إسماعيل لك. ذلك قوله:

١ - فى القرآن الكريم: ﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ ﴾ وقوله: ( لاينال عهدى الظالمين ) يدل على أنه يناله أهل الحق والعدل. فيكون من فحوي

---

(١) البقرة ١١٤

(٢) الصافات ١١٣

الخطاب فى ( لاينال عهدى الظالمين ) أنه لما قال: ( ومن ذريتى ) رد عليه بقوله: ومن ذريتك استجبت لك فى إسماعيل. وحذف ومن ذريتك استجبت لك؛ لدلالة (لاينال عهدى الظالمين ) عليه. والظالمون هم اليهود، فى مقابل العادلين بنى إسماعيل، الذين ثبت العهد فيهم.

٢ - وقوله فى التوراة: «وأما إسماعيل. فقد سمعت لك فيه. ها أنا أباركه» وكان هذا كله من قبل ولادة إسحق. وهو يدل على أن لإسماعيل عهد معلوم ومعروف، من استجابة الله لإبراهيم فى إسماعيل. ويدل على أن ( الظالمين ) معلومون ومعرفون. وليسوا هم كل ظالم.

وقد لبس اليهود الحق بالباطل فى هذا العهد. فكتبوا: «ولكن عهدى أقيمه مع إسحق الذى تلده لك سارة فى هذا الوقت، فى السنة الآتية» فما هى الفائدة من بركة إسماعيل إذاً ؟ لأن البركة يلزمها عهد، إما عهد صريح، وإما عهد ضِمنى. وكتبوا: أن الذبيح إسحق هكذا: «خذ ابنك وحيدك الذى تحبه إسحق» وكلمة إسحق موضوعة بعد الحق وهو الابن الوحيد. وهى موضوعة للبس الحق الذى هو الابن الوحيد، بالباطل الذى هو كلمة إسحق. فهب أن إسحق قد ذبح؛ فكيف يتم العهد من بعد ذبحه ؟ ولذلك قال الله تعالى: ( لاينال عهدى الظالمين ) الذين يريدونه، وحرفوا التوراة من أجله.

وقد تحققت البركة فى إسحق وإسماعيل هكذا:

إن الله اصطفى من آل إبراهيم؛ إسحق. واصطفى من إسحق؛ يعقوب دون عيسو أخاه. واصطفى من يعقوب، عمرام بن قَهَات بن لاوِى بن يعقوب، واصطفى من آل عمران؛ موسى - عليه السلام - وأعطاه التوراة عقيدة وشريعة. وأمره أن يخبر بنى إسرائيل بتفهم التوراة والعمل بها، وأن يكون منهم هداة للأمم كما قال تعالى ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ﴾ [1] وبالفعل كان منهم هداة للأمم حتى أنهم كانوا يطلبون من أنبيائهم؛ أن ينصّبوا عليهم ملوكا؛ ليقاتلوا فى سبيل الله. كما

---

(١) السجدة ٢٤

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ (1) وكان بنو إسرائيل إذا فتحوا بلدا من البلاد، ينشيءون فيه المساجد والمدارس للعبادة وللعلم. ثم إنهم بعد سبى نبوخذ ناصرً سنة ٥٨٦ ق. م قصروا التوراة عليهم، وعلى الغرباء الساكنين بينهم، وتركوا دعوة الأمم. وذلك جعل الناس يتخبطون فى طرق مظلمة.

ثم جاء دور بنى إسماعيل للبركة. فاصطفى الله من نسل قيدار بن إسماعيل؛ محمدا صلى الله عليه وسلم وأعطاه القرآن عقيدة وشريعة، وأمره أن يخبر بنى إسماعيل بتفهم القرآن والعمل به، وأن يكون منهم هداة للأمم.

وقد تم هذا. ومايزال الإسلام حتى عصرنا هذا فى الانتشار.

وقد اعترف بعض علماء بنى إسرائيل باسم محمد صلى الله عليه وسلم فى نص التوراة عن بركة إسماعيل، بحساب الجُمَّل فقالو ا إن «كثيرا جدا» تترجم فى اللغة العبرانية «بماد ماد» وتنطق [بمود مود] وقالوا: إن «أمة كبيرة» تترجم فى اللغة العبرانية «لجوى جدول» وتنطق أحيانا «لغوى غدول » وقالوا: فى بدء ظهور بركة إسماعيل؛ سيخرج منهم نبى اسمه «محمد» يتسلم الملك والشريعة من بنى إسرائيل؛ ليهدى الأمم. وبذلك تتبارك فى إسماعيل كل قبائل الأرض. وحساب الجمل طريقته هكذا عند العبرانيين. وهو حساب مهم جدا، إلى الآن، عند اليهود والنصارى:

| أ | ب | ج | د / | هـ | و | ز / | ح | ط | ى / | كـ | ل |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| ١ | ٢ | ٣ | ٤ | ٥ | ٦ | ٧ | ٨ | ٩ | ١٠ | ٢٠ | ٣٠ |
| م | ن / | س | ع | ف | ص / | ق | ر | ش | ت | | |
| ٤٠ | ٥٠ | ٦٠ | ٧٠ | ٨٠ | ٩٠ | ١٠٠ | ٢٠٠ | ٣٠٠ | ٤٠٠ | | |

وفى كتب قواعد اللغة العبرانية أن الغين = ٣ وهى فى مقام الجيم. والخاء = ٢٠ وهى فى مقام الكاف. والباء الثقيلة = ٨٠ وهى فى مقام الفاء. وأن حروفا ستة تنطق بنطقين هم: الباء والجيم والدال والكاف والباء الثقيلة والتاء. وإذا كان بداخل

(1) البقرة ٢٤٦

الحرف نقطة ينطقون: باء وجيم ودال وكاف وباء ثقيلة وتاء. وإذا كان الحرف خال من النقطة؛ ينطقون: فاء وغين وذال وخاف وفاء وثاء. والرقم الحسابى واحد لايتغير بتغير النطق [1]

ومحمد تحسب هكذا: م = ٤٠، ح = ٨، م = ٤٠، د = ٤ المجموع = ٩٢ وجوى جدول هكذا: ل - ٣٠، ج = ٣، و = ٦، ي = ١٠، ج = ٣، د = ٤، و = ٦، ل = ٣٠ **المجموع = ٩٢**

**وبماد ماد هكذا: ب = ٢، م = ٤٠، أ = ١، د = ٤، م = ٤٠، أ = ١، د = ٤ المجموع = ٩٢**

**وقد وضعوا اسم محمد بحساب الجمل فى سياق بركة إسماعيل؛ ليعرفوا اسم الآتى من إسماعيل؛ لتبدأ به البركة، ووضعوه بحساب الجمل - بضم الجيم وتشديد** الميم مفتوحة - ليعرفوه هم أنفسهم، ولايعرفه العرب الذين يجهلون هذا الحساب.

وكتّاب أسفار الأنبياء أشاروا إلى محمد صلى الله عليه وسلم بالرموز والإشارات والأوصاف . وكان بولس يفهم مدلول الرموز والإشارات والأوصاف. وسنختار هنا نبوءة «ابن الله» ولقب «المسيح» - الذى هو «المَسِيّا» - لبيان غرضنا باختصار:

اليهود فى بابل لماقصروا الشريعة عليهم؛ ادّعوا: أنه لانبى من بنى إسماعيل سيأتى. وادعوا أن النبى المنتظر سيكون من بنى إسرائيل. ولكى يؤكدوا هذا الادعاء؛ ليوصدوا الباب فى وجه نبى بنى إسماعيل إذا جاء، ويفضّوا الناس من حوله؛ أطلقوا على نبى بنى إسماعيل؛ الألقاب التى يطلقونها على أنفسهم؛ مبالغة فى إخفاء حقيقته

أ - أطلقوا عليه لقب «ابن الله» كما يقولون: ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾ [2] وكتبوا فى سفر الزبور: أن الله تعالى قال عن النبى المنتظر: «أنت ابنى أنا اليوم ولدتك. . . الخ» [مزمور ٢] وظلت الإشاعة متداولة إلى ظهور يحيى وعيسى عليهما

---

(١) راجع الكنز فى قواعد اللغة العبرية ص ٥٥ - ٦٠

(٢) المائدة ١٨

السلام وخاطب يحيى اليهود بلسانهم قائلا: «الذى يؤمن بالابن؛ له حياة أبدية، والذى لايؤمن بالابن؛ لن يرى حياة، بل يمكث عليه غضب الله» [يوحنا ٣: ٣٦] ولما رفع المسيح إلى السماء. قال بولس لعلماء اليهود مامعناه: قولوا إن نبوءة الابن تنطبق على عيسى المسيح. لأنكم متأكدون من نبوة عيسى المسيح، وقد أخبركم بنبى بنى إسماعيل من بعده. وبذلك تحققون النبوءة فى شخصه حتى لايحتجّ بها عليكم أحد مستقبلا. وافعلوا كذلك فى جميع النبوءات، ففريق رضى بقوله، وهم الذين كوّنوا طائفة النصرانية الحالية. وفريق لم يرض. وهم سائر اليهود الآن. على اعتبار أنهم يستطيعون أن يقولوا للناس فيما بعد: إن المشار إليه بالنبوءات مازلنا فى انتظاره.

ب - وأطلقوا عليه لقب «المسيح» أى المصطفى من الله. كما يطلقون على أنبيائهم وعلمائهم وملوكهم؛ فإنهم كان يطلقون على كل نبى أو عالم أو ملك؛ لقب «مسيح» فيقولون مثلا: داود المسيح. أو سليمان المسيح. أو هارون المسيح. أو عيسى المسيح [١]. ولما كانوا فى انتظار نبى يزعمون: أنه آت منهم، قالوا: نحن ننتظر «المسيح» فماذا فعل بولس تجاه نبوءة الابن وتجاه لقب المسيح «المَسِيّا» ؟ ادعى: أنه وهو فى طريقه إلى مدينة دمشق؛ ظهر له المسيح عيسى، وهداه إلى الإيمان. ولما تاب ومكث مع نصارى «دمشق» أياما، بشر فى مساجد اليهود بأن عيسى هو ابن الله، الذى تنبأ عنه داود فى المزمور الثانى، وماكان اليهود له بعارفين. ثم بشر بأن عيسى هو المسيح المنتظر. المسيح الرئيس - «المَسِيّا» - يقول كاتب سفر أعمال الرسل: «.... وكان شاول - بولس - مع التلاميذ الذين فى دمشق أياما. وللوقت جعل يكْرِز فى المجامع بالمسيح: أن هذا هو ابن الله. فبهت جميع الذين كانوا يسمعون. وقالوا: أليس هذا هو الذى أهلك فى أورشليم الذين يدعون بهذا الاسم. وقد جاء إلى هنا؛ ليسوقهم موثقين إلى رؤساء الكهنة ؟ وأما شاول فكان يزداد قوة ويُحيرّ اليهود الساكنين فى دمشق، محققا: أن هذا هو المسيح»[أ ع ٩: ١٩ - ٢٢

---

(١) جاء فى القرآن لقب المسيح على هذا المعنى: ( إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ) [ النساء ١٧١ ]

ويدلك على أن أصل أقنوم ابـن الله عند النصارى من نبوءة داود: قـول القـمص ابراهيم جبره تحت عنوان «مصدر الإعلان عن ابن الله» مانصه:

«لم يدع يسوع «ابن الله» ابتداعا من المسيحيين. وإنما كـان هذا إعلان الله. إذ دعى من الرب نفسـه؛ ابن الله. قبل تجسده. لقد قـال داود عن الرب: «قال لى: أنت ابنى» الابن الذى سيـرث الأمم، ويمتلك أقـاصى الأرض، وتجب له العـبادة بالخـوف والأدب والطاعة؛ لئـلا يتّقـد غضبـه، وأن من يرفض عبـادته، يكونُ مصـيره الرفض والإبادة . إنه ليس بشـرا؛ لأن الرب لايتنازل عن أمجـاده وحـقوقه الإلهـية لأى من البشـــر. وهـــو القـــائل: «أنا الرب. هذا اسمى ومجدى لاأعطيـه لآخر» [إشَـعيـاء ٤٢ : ٨]وإنما هو ابن الله يسوع المسيح، الإله المتجسد [١] » انتهى.

ومن فلاسفـة المسلمين القدماء الذين ردّوا هذا الأصل فى مفهـوم النصارى: الشيخ شهاب الدين أحـمد بن إدريس المالكى. المعروف بالقرافى. قال مـانصه: «قال داود - عليـه السلام - فى المزامـير: «أنت ابنى، وأنا اليـوم ولدتك، سلنى أعطيك الشـعرب ميراثك. وسلطانك إلى أقصى الأرض. ترعاهم بقضـيب من حديد، ومثل آنية الفخار تسحـقهم» ومحمـد عليه السلام هو الذى ورث، وبـلغ سلطانه أقطار الأرض. وحاط الأمم وسامهم بسيفه، ولم يتـفق هذا لداود ولا لأحد من بعده؛ فيكون هو المبشر به، وسُمى ابنا على العادة القـديمة، كما فى تسمية المطيع والنبى: ابنا. كـما قال فى التوراة فى إسرائيل عليه السلام: «ابنى بكرى» [٢]

يشيـر الشيخ شهاب الديـن إلى قول الله عز شأنه لموسـى عليه السلام: «: فتـقول لفرعـون هكذا يقول الرب: إسـرائيل ابنى البكر. فقلـت لك: اطلق ابنى؛ ليعـبدنى. فأبيت أن تطلقه. ها أنا أقتل ابنك البكر» [خروج ٤: ٢٢ - ٢٣]

وقال ابن تيمية الحرانى فى «الجواب الصحيح» بما قال الشيخ القرافى.

---

(١) ابن الله للقمص إبراهيم جبره صفحـة ١٢ - ١٣ مطبعة دار العالم العربى بمصر سنة ١٩٧٦ ترقيـمه الدولى ٢ - ١٠ - ٧٢٨١ - ١٩٧٧

(٢) البشارة رقم ٢٣ من كـتاب: الأجـوبة الفـاخرة عن الأسئلة الفاجـرة - مطبـوع على هامش كتـاب الفارق بين المخلوق والخالق - لباجه جه زاده.

ولايعنى لقب «ابن الله» فى عبارة داود عليه السلام ابنا طبيعيا. بل ابنا مجازيا، ولايعنى «بُولُس» من إطلاق لقب ابن الله على عيسى؛ الابن بالولادة الطبيعية، بل يعنى تحقيق نبوءة الابن على عيسى فقط. وعلى هذا المعنى حرف النصارى إنجيل يوحنا. فحشروا فيه آيات تثبت أن عيسى هو الابن الذى تحدث عنه داود. من ذلك: أن نثنائيل قال لعيسى - عليه السلام -: «يامعلم أنت ابن الله. أنت ملك إسرائيل» [يو ١ : ٤٩] يريدون تطبيق نبوءة الابن على عيسى. ونصارى الأرثوذكس لا يقولون بولادة عيسى من الله كما يلد الأب ابنه، وكما تلد المرأة امرأة مثلها. بل يقولون: الله واحد. موجود. وله مع صفة الوجود: صفتان. هما: العقل. والحياة. وبناء على قولهم؛ فإن نبوءة الابن فى أصل وضعها لاتدل على ابن طبيعى. وإلاّ كان هناك إلهان منفصلان: الله، والابن. وهم لايقرون بذلك. يقول الأنبا غريغوريوس: «ليس الله ثلاثة جواهر. لكنه جوهر واحد، أو واحد فى الجوهر. إنما ثلاثة أقانيم، لا ثلاثة جواهر. والأقانيم خاصيات وصفات ذاتية. أى صفات تقوم عليها وبها الذات الإلهية الواحدة» يعني: أن الأقنوم صفة، كصفة الرحمة فى إنسان مّا. وهذا ضد الكاثوليك الذين يعتقدون أن أقنوم الابن شخص طبيعى. ويقول الأنبا غريغوريوس عن كلمة الله: «إن المسيح ابن الله. لابمعنى أن الله يلد كما يلد الإنسان أو الحيوان. معاذ الله، لكنه ابن الله بمعنى: أن الله غير المنظور، صار منظورا فى المسيح [1]»

وعلى المكتوب عندهم فى الكتب:

كان بولس ذا لسانين وذا جهين. مع اليهود بلسان ووجه، ومع الأمم بلسان ووجه. مع اليهود يقول: إن الله واحد لاشريك له. كما فى ناموس موسى. ومع الأمم يقول:

١ - المسيح صورة الله. أى أن الله تجسد فى بطن مريم، وخرج طفلا هو يسوع، فيسوع صورة الله بالجسد أمام الناس. يقول: «المسيح الذى هو صورة الله» [٢ كورنثوس ٤ : ٤] ويقول: إن الناس ماكانوا قادرين على رؤية الله الذى لايُرى. ولذلك

---

(١) جريدة وطنى المصرية باب أنت تسأل والأنبا غريغوريوس يجيب فى ١٥/ ١/ ١٩٧٨م

ظهر الله فى جسد المسيح، حتى يتمكن الناس من رؤيته. يقول عن المسيح: «الذى هو صورة الله غير المنظور» [كولوسى ١: ١٥]

٢ - يقول: المسيح حكمة الله «المسيح قوة الله، وحكمة الله» [١ كورنثوس ١: ٢٤]

٣ - يقول: المسيح كلمة الله «صادقة هى الكلمة، ومستحقة كل قبول. أن المسيح يسوع جاء إلى العالم؛ ليخلّص الخطاة» [١ تيموثاوس ١: ١٥]

٤ - يقول: المسيح هو الله ظهر فى صورة إنسانية «وبالإجماع: عظيم هو سر التقوى: الله ظهر فى الجسد، تبرر فى الروح، تراءى لملائكة، كُرز به بين الأمم، أو من به فى العالم، رُفع فى المجد» [١ تيموثاوس ٣: ١٦]

هذا على المكتوب عندهم، وبحسب تفسير طائفة لكلامه. فإنهم حشروا فى رسائله آيات، وفسرتها كل طائفة على حسب عقيدتها فى المسيح.

وماكان لبولس أن يخالف التوراة في ذات الله وصفاته، لأنه فى حال المخالفة لايجد مساعدة من اليهود. وإذ كان هو يرجو مساعدتهم فى نشر آرائه؛ فإنه جهر بإنكار محمد صلى الله عليه وسلم كما هم ينكرون. والفرق بينه وبينهم: هو فى أنهم يطبقون النبوءات على نبى لم يأت بعد، وهو يطبقها على يسوع المسيح. وعلى ذلك فإنه هو واليهود متفقون على إنكاره من قبل أن يأتى. وعلى ذلك فإن بولس لم يضع بذرة ألوهية المسيح ولم يخطر فى باله أن يؤلهه. كيف وأول مجمع كان فى سنة ٣٢٥ م ؟ وفيه طبقوا نبوءة الابن. وفى المجمع الذى بعده طبقوا نبوءة الروح القدس سنة ٣٨١ م.

وقد قلنا سابقا: إن الفلسفة التى كانت شائعة فى العالم عن:

( أ ) تجسد الآلهة.

( ب ) وعن تعدد الآلهة.

هى التى ذكرتهم أن ينسبوا لـ «بولس» ولليهود الذين كانوا معه؛ أنهم جعلوا المسيح هو الآب ظهر فى الجسد، وهو الابن، وهو الروح القدس.

وقلنا: إن الدليل على أسبقية فلسفة التجسد التى يدين بها الأرثوذكس على النصرانية: هو ما جاء فى سفر الأعمال: «فالجموع لما رأوا ما فعل بولس، رفعوا صوتهم بلغة ليكأونية قائلين: إن الآلهة تشبهوا بالناس، ونزلوا إلينا. فكانوا يدعون برنابا: زفس وبولس: هرمس» [أع ١٤: ١١ - ١٢] وقلنا: إن الدليل على أسبقية فلسفة تعدد الآلهة إلى ثلاثة التى يدين بها الكاثوليك على النصرانية: هو اعتراف مؤرخى النصارى بذلك. ونقول هنا: إن الدين ينشأ أولا. ثم تنشأ بعد ذلك فلسفة لهذا الدين. ليبقى فى نظر معتنقيه. وليكسب المتفعون منه أنصارا جددا. فما هى الفلسفة التى سنها بولس لأتباعه ليفلسفوا النصرانية المزورة إلى الأبد - كما هو مكتوب - ؟ إنه يعلم أن آيات التوراة وآيات الأناجيل لاتساعده على تقرير تجسد الله فى شخص المسيح، ولا على تقرير التعدد. والدليل على ذلك: كلمة الله التى ألقاها الله إلى مريم. فإن معناها: كن طفلا بدون أب، فكان طفلا بدون أب. وكلمة الله فى التوراة وفى الإنجيل وفى القرآن؛ تؤدى هذا المعنى المجازى، ولاتؤدى إلى تجسد الكلمة بأى حال من الأحوال. فمن ذلك: قول داود عليه السلام فى مزاميره

«إلى وقت مجئ كلمته. قول الرب» [مز ١٠٥: ١٩] لم يؤمنوا بكلمته. بل تمرمروا فى خيامهم. لم يسمعوا لصوت الرب» [مز ١٠٦: ٢٤ - ٢٥] «فصرخوا إلى الرب فى ضيقهم؛ فخلصهم من شدائدهم. أرسل كلمته فشفاهم» [مز ١٠٧: ١٩ - ٢٠] «أحينى حسب كلمتك» [مزمور ١١٩: ٢٥] «أحمد اسمك. على رحمتك. وحقك. لأنك قد عظمت كلمتك» [مز ١٣٨: ٣] «يرسل كلمته فى الأرض سريعا» [مز ١٤٧: ١٥ الخ] «يخبر يعقوب بكلمته» [١٤٧: ١٩] «النار والبرد، الثلج والضباب، الريح، العاصفة: كلمته» [مز ١٤٨: ٨]

ويقول إشعياء عن الله تعالى: «هكذا تكون كلمتى التى تخرج من فمى» [إش ٥٥: ١١]. ويقول إرمياء: «من وقف فى مجلس الرب ورأى وسمع كلمته ؟ من أصغى لكلمته وسمع ؟» [إر ٢٣: ١٨] ويقول حبقوق: «سهام كلمتك» [حب ٣: ٩] «ويقول عيسى عليه السلام عن الله تعالى: «والآب نفسه الذى أرسلنى يشهد لى. لم

تسمعوا صوته قط، ولا أبصرتم هيئته. وليست لكم كلمته ثابتة فيكم. لأن الذى أرسله هو، لستم أنتم تومنون به» [يوحنا ٥ : ٣٧ - ٣٨]

إن بولس - كما هو مكتوب - يعرف أن التوراة والإنجيل لايساعدانه على تقرير فلسفة التجسد أو التعدد. فلذلك أوصى بقبول التجسد أو التعدد بدون فهم، وبدون مناقشة. يقول لأهل كورنثوس: «إن المسيح لم يرسلنى لأعمد بل لأبشر لا بحكمة كلام، لئلا يتعطل صليب المسيح. فإن كلمة الصليب عند الهالكين جهالة. وأما عندنا نحن المخلصين فهى قوة الله. لأنه مكتوب: سأبيد حكمة الحكماء، وأرفض فهم الفهماء. أين الحكيم ؟ أين الكاتب ؟ أين مباحث هذا الدهر ؟ «ألم يجهل الله حكمة هذا العالم ؟ لأنه إذا كان العالم فى حكمة الله لم يعرف الله بالحكمة؛ استحسن الله أن يخلص المؤمنين بجهالة الكرازة. . الخ» [١ كورنثوس ١ : ١٧ الخ

وقد قلنا: «ولقد انتهز محرفو النصرانية هذه الفرصة السانحة، ونسبوا إلى «بُولُس» أنه نادى بألوهية المسيح جهرا» لماذا نسبوا إليه القول بهذا، وهو لم يصدر منه إلاّ تطبيق نبوءات التوراة التى هي لمحمد صلى الله عليه وسلم على عيسى عليه السلام، مع الدعوة إلى نبذ التوراة وراءهم ظهريا ؟

إنهم نسبوا إليه القول بالتثليث؛ لأن: أقنوم الابن. أصله: نبوءة عن محمد صلى الله عليه وسلم وقد طبقها هو على عيسى عليه السلام. وأقنوم الروح القدس. أصله نبوءة عن محمد صلي الله عليه وسلم وقد طبقها علي عيسى عليه السلام. وهما أشهر النبوءات فى التوراة وفى الإنجيل عن النبى المنتظر، الآتى على مثال موسى. ولما كان هو بتطبيقه لهما عليه مظهرا اثنان. هما: الابن والروح؛ والآب هو الذى أرسل الابن؛ فإنه يكون جاعلا الواحد ثلاثة، والثلاثة واحدا. وقد حدث من بعده اختلاف. فى الثلاثة وفى الواحد؛ لم يكن حاضرا زمنه. في سنة ٣٢٥ وفى سنة ٣٨١م، وقد أظهرنا عمله هذا فى كتابنا الموسوم باقتباسات كتّاب الأناجيل من التوراة [١].

وإذا كتب كاتب أن بولس أقر التثليث؛ فهو يكتب على ما يقوله النصارى فى كتبهم. لا أنه يصدق بذلك. وكيف يصدق عاقل أن بولس هو واضع التثليث - علي

---

(١) اقتباسات كتاب الأناجيل من التوراة - نشر دار الإيمان بالمنصورة.

المعنى الطبيعى - وهو يقرأ تصريحه بأن الله واحد، ولا يُرى، ولا يقدر أحد علي رؤيته ؟ يقول بولس: «نبشركم أن ترجعوا من هذه الأباطيل إلى الإله الحي، الذى خلق السماء والأرض والبحر، وكل ما فيها. الذى فى الأجيال الماضية ترك جميع الأمم يسلكون فى طرقهم، مع أنه لم يترك نفسه بلا شاهد. وهو يفعل خيرا ويُعطينا من السماء أمطارا وأزمنة مثمرة، ويملأ قلوبنا طعاما وسرورا» [أعمال ١٤: ١٥ - ١٧] ويقول بولس: إن كل إنسان مسئول عن نفسه، وأنه لن يغنى أحد عن أحد شيئا. وقوله هذا يدل علي عدم موافقته على قتل المسيح من أجل الخطايا. يقول: «لأنه مكتوب: أنا حىّ يقول الرب: إنه لى ستجثو كل ركبه. وكل لسان سيحمد الله. فإذاً كل واحد منا؛ سيُعطِى عن نفسه حسابا لله» [رومية ١٤: ١١ - ١٢]

هذا ماقرره بولس فى النصرانية الحالية عن النبى المنتظر.

***

## ثانيا: تحريف بولس فى الشريعة

قلنا: إن الله تعالى أعطى موسى عليه السلام كتاب التوراة. عقيدة وشريعة. وكان كل نبى من بعد موسى. كان يأتى على وفق شريعة موسى. لايغير منها شيئا. ومنهم المسيح عيسى بن مريم عليه السلام فإنه جاء على وفق كتاب موسى يدعو به، وينادى، ويفسر لليهود ماكانوا فيه يختلفون، ويحّل لهم بعض ماحرمه العلماء على اليهود من تلقاء أنفسهم. لا أنه كان يغير نصوصا من التوراة هى تحرم شيئا، بنصوص من الإنجيل تحل. مثال ذلك:

أ - حرم الله فى التوراة العمل يوم السبت [انظر خروج ٢٠ و ٣٤ وتثنية ٥] لكن ماهو العمل المحرم ؟ إنه هو العمل الذى أساسه قوام الحياة من بيع أو شراء أو زراعة وتجارة. وماشابه ذلك. أما الأكل والشرب وغسل الأيدى مثلا فليس محرما بدليل الآية: «وأما اليوم السابع فتستريح فيه. فى الفلاحة وفى الحصاد تستريح» [خر ٣٤: ٢١] لقد حدد الراحة بالفلاحة والحصاد. وقد يقاس عليهما مايشابههما من التجارة وغيرها.

ب - وذات يوم ذهب المسيح مع تلاميذه إلى بعض القرى، فاجتازوا يوم السبت بين الزروع. فبدا تلاميذه يقطفون السنابل وهم سائرون. يأكلون من الجوع. فقال علماء من بنى إسرائيل للمسيح: «انظر. لماذا يفعلون فى السبت مالايحل ؟» فأجاب بقوله: للضرورة. أليس داود النبى للضرورة أكل خبز الكهنة، وأعطى الذين كانوا معه أيضا ؟ إنه أباح العمل الضرورى يوم السبت، واستشهد بفعل داود عليه السلام الذى أورده كاتب سفر صموئيل الأول فى الأصحاح الحادى والعشرين. يقول مَرقس عن المسيح وتلاميذه: «واجتار فى السبت بين الزروع. فابتدأ تلاميذه يقطفون السنابل وهم سائرون. فقال الفريسيون: انظر. لماذا يفعلون فى السبت مالا يحلّ ؟ فقال لهم: أما قرأتم قط مافعله داود حين احتاج وجاع هو والذين معه. كيف دخل بيت الله فى أيام أبياثار [1] رئيس الكهنة. وأكل خبز التقدمة الذى لايحل أكله إلا للكهنة، وأعطى الذين كانوا معه أيضا ؟» [مرقس ٢: ٢٣ - ٢٦]

واليهود يعلمون: بأن شريعة التوراة صعبة على النفس، وثقيلة، ولايقدرون عليها. ويعلمون: أن النبى الآتى من بنى إسماعيل ستكون معه شريعة إلهية، وغير بعيد أن تكون خفيفة على الناس. فماذا فعلوا تجاه الشريعة ؟ إن الفريق الذى حاول قصر نبوءات التوراة عن محمد عليه السلام على عيسى عليه السلام نادى بإلغاء شريعة موسى. وقال للناس: يكفى أن تؤمنوا بالمسيح إلها مصلوبا. وهذا الإيمان يدخلكم الجنة. وساروا على الخطوات الآتية - كما هو مكتوب -:

١ - وقف بطرس - شِمعون الصفا - خطيبا فى رواق سليمان وسط الهيكل، وبين: أن النبى الذى وعد به موسى مماثلا له فى سفر التثنية؛ هو عيسى عليه السلام، وليس هو الآتى من ولد إسماعيل «والآن أيها الأخوة: أنا أعلم أنكم بجهالة عملتم، كما رؤساؤكم أيضا. وأما الله فما سبق وأنبأ به بأفواه جميع أنبيائه أن يتألم المسيح، قد تممه هكذا. فتوبوا وارجعوا لتمحى خطاياكم؛ لكى تأتى أوقات الفرج من وجه الرب،

---

(١) يقول مرقس: إن رئيس الكهنة اسمه «أبياثار» ويقول كاتب التوراة إن اسمه «أخيمالك» وهذا دليل على عدم عصمة الروح القدس - عندهم - إذ كيف يكذب الروح القدس. مرة يقول: «أبياثار» ومرة يقول: «أخيمالك» ؟

ويرسل يسوعَ المسيحَ المبشرَ به لكم قبل. الذى ينبغى أن السماء تقبله إلى أزمنة رد كل شيء، التى تكلم عنها الله بفم جميع أنبيائه القديسين منذ الدهر. فإن موسى قال للآباء: إن نبيا مثلى سيقيم لكم الرب إلهكم من إخوتكم. له تسمعون فى كل مايكلمكم به. ويكون أن كل نفس لاتسمع لذلك النبى؛ تباد من الشعب»... الخ» [أ ع ٣: ١٧ الخ]

**٢ - تدرجوا فى إلغاء شريعة موسى. فزعم بطرس أنه كان نائما «فرأى السماء مفتوحة وإناء نازلا عليه مثل ملاءة عظيمة مربوطة بأربعة أطراف، ومدلاة علي الأرض. وكان فيها كل دواب الأرض والوحوش والزحافات وطيور السماء وصار إليه صوت: قم يا بطرس إذبح وكل. فقال بطرس: كلاً يارب؛ لأنى لم آكل شيئا دنسا أو نجسا. فصار** إليه أيضا صوت ثانية: ماطهره الله لاتدنسه أنت» [أعمال ١٠: ١١ - ١٥] يعنى: أن ماكان من الأطعمة محرما فى شريعة موسى؛ أصبح حلالا. مثل: الجمل والوَبر والأرنب والخنزير.

٣ - وقرروا: أن المحرم على الناس أربعة أشياء لاخامس لها، وهى: «أن يمتنعوا عن نجاسات الأصنام والزنا والمخنوق والدم» [أ ع ١٥: ٢٠]

٤ - ثم جاء بولس فقال: أليس المسيح قد قُتل عن الخطايا ؟ إذا شهدتم بذلك، فلماذا الأعمال وقد غُفرت الذنوب بالإيمان بصلب المسيح ؟ ولماذا تحريم الأشياء الأربعة ؟ لاشيء محرم مع الإيمان. يقول: «وأما الآن فقد ظهر بر الله بدون الناموس. مشهودا له من الناموس والأنبياء. بر الله بالإيمان بيسوع المسيح إلى كل وعلى كل الذين يؤمنون. لأنه لافرق. إذ الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله. متبررين مجانا بنعمته بالفداء الذى بيسوع المسيح. الذى قدمه الله كفارة بالإيمان بدمه لإظهار بره من أجل الصفح عن الخطايا السالفة، بإمهال الله لإظهار بره فى الزمان الحاضر؛ ليكون بارا. ويبرر من هو من الإيمان بيسوع. فأين الافتخار ؟ قد انتفى. بأى ناموس ؟ أبناموس الأعمال ؟ كلا. بل بناموس الإيمان. إذاً نحسب أن الإنسان يتبرر بالإيمان بدون أعمال الناموس. أم الله لليهود فقط. أليس للأمم أيضا. بلى للأمم أيضا» [رومية ٣: ٢١ الخ]

ويفهم بولس كما يفهم علماء اليهود: أن النبى الآتى من إسماعيل، سيكون معه شريعة مستقلة عن شريعة موسى. لقول الله تعالى عنه: «له تسمعون» [تث ١٨ : ١٥] ولقوله: «فيكلمهم بكل ماأوصيه به» ولكى يؤكد زورا: أن هذا النبى هو عيسى المسيح سنَّ نظما وشرائع من تلقاء نفسه، مدعيا: أن الله أرسله من بعد المسيح إلى الأمم. وهذه النظم والشرائع ماتزال إلى اليوم يعمل بها النصارى. ومايزالون يقولون: إن للمسيح بن مريم شريعة مستقلة عن شريعة موسى. هى أفضل من شريعة موسى: لأن عيسى فى نظر طائفة منهم: هو رب موسى، ورب السماء والأرض، وخالق الناس ورازقهم. وفى نظر طائفة أخرى هو الرازق. وذلك واضح من رسائل بولس، ومن كلامه: «أقول لغير المتزوجين وللأرامل... وأما المتزوجون فأوصيهم لا أنا، بل الرب... وأما الباقون فأقول لهم أنا، لا الرب... الخ» [١ كورنثوس ٧: ٨ الخ] وأوصى بقبول كل إنسان فى المسيحية وهو يعمل بعاداته وتقاليده التي نشأ عليها «الدعوة التى دعى فيها كل واحد؛ فليلبث هو فيها» ثم ألغى الجهاد فى سبيل الله، وجعل النصارى عصا تأديب فى أيدى الوثنيين عباد الأصنام لضرب اليهود ولضرب بنى إسماعيل إذا ظهر النبى الأمى منهم. وذلك لنهب خيرات الأمم عن طريقهم وبواسطتهم. فقد قال لتيطس: «ذكرهم أن يخضعوا للرياسات»

ولماذا ألغي أهل الروم شريعة موسى من على النصارى ؟

لأن أهل الروم كانوا يملكون على العالم فى ذاك الزمان، ويخافون من اليهود الذين كانوا يحاربونهم؛ لإخراجهم من أرض فلسطين، بموجب نص التوراة. وهو أنه لا يحل لليهود أن يملكوا عليهم رجلا وثنيا «من وسط إخوتك تجعل عليك ملكا. لا يحل لك أن تجعل عليك رجلاً أجنبيا ليس هو أخاك» [تثنية ١٧ : ١٥ - ١٦] وقد هزموهم علي يد «تيطوس» و «أدريانوس» واحتالوا على النصارى المنشقين على اليهود؛ فظموهم إليهم؛ ليضعفوا بهم شوكة اليهود على طول الزمان. وإذا ظهر النبى العربى من بنى إسماعيل وخرج لفتح البلاد؛ يضعوا النصارى عقبة فى طريقه. ولأن النصارى عند أهل الروم وسيلة لامتداد فتوحاتهم؛ لاستغلال الأمم والشعوب ونهب خيرات بلادهم. قالوا لهم: أى بلد تعيشون فيها. تتحاكمون فيما بينكم علي قوانينها، لا علي قوانين

التوراة. وأيضا: تخضعـون للملوك الذين يحكمونكم من الأمم. ولا تبشروا فى الأمم بالتوراة، على أنها شريعة، بل على أنها تشـهد لعيسى على أنه هو النبى الذى تنبأت به التوراة على مثال موسى. وقولوا: لا فـرائض على الناس من الله. لأن المسيح قد غفر الخطايا. وقال لهم أهل الروم: إننا إذا سمعنا عن بلد تعبد الأوثان وفيها شىء ينفعنا من زراعة وتجـارة وصناعة ومـا شابه ذلك. فـإننا سنرسلكم فاتحين. وعن طريقـكم نأخذ المنافع مـعكم؛ وننصرف، وأنتم تبـقون إن شـــيءتم، أو ترجـعـون إلى بلادكم، أو تهاجرون إلى بلد فـيه لكم منافع. فأنتم لا تجاهدون بشـريعة كما كان يجـاهد اليهود؛ لأنكم العصا التى بها سنضرب الناس؛ لننهب أموالهم. واستعدوا لتقفوا حجر عثرة فى وجه «محمد» وأتباعه. انظر إلى رسائل بولس تجد فيها معنى ما قلنا.

أ - «هكذا أنا آمر فى جميع الكنائس: دعى أحد وهو مـختون؛ فلا يصر أغلف. دعى أحد في الغـرلة؛ فلا يختن، ليس الختـان شيئا، وليـست الغرلة شيئـا، بل حفظ وصايا الله. الدعوة التى دُعى فيها كل واحد. فليلبث فيهـا» [الأولـى إلى كورنثوس ٧: ١٧ - ٢٠]

ب - «ذكّرهم أن يخضعوا للرياسات والسلاطين، ويعيعوا ويكونوا مستعدين لكل عمل صـالح، ولا يطعنوا فى أحد، ويكونوا غـير مخـاصمين، حلمـاء، مظهرين كل وداعة لجميع الناس»

ج - «وأما المبـاحاثات الغبـيّة، والأنساب، والخـصومـا، والمنازعات الناموسـية؛ فاجتنبها؛ لأنها غيرَ نافعة وباطلة» [تيطس ٣: ١ - ]

وبسبب هذا كله ابتعد النصارى عن التعـاليم الأصلية بعد المشرقين. وبسبب هذا كله لايستطيعون إقناع الناس. لا بالعقيدة ولا بالشريعة.

ولايعرف النصـارى تاريخا محـققا لولادة بولس ومـوته. يقول الدكتـور فردريك. وفارار: «مما يقرب من التأكيد: أنه ولد خلال السنوات العشر الميلادية الأولى. والأغلب أن يكون حوالى السنة الثالثة بعد الميلاد. وإذ نعلم أن توقيتنا الميلادى الجارى عرفا يسبق تاريخ الميلاد الحـقيـقى بنحو أربع سنين؛ فـمولد التابع الـعظيم للمسيـح كان فى نفس الوقت الذى وُلد فيه يسوع»

وقد نُسب إلى يوحنا فم الذهب: «أن بولس الرسول قد خدم المسيح خمسا وثلاثين سنة، وأنه استشهد فى سن الثامنة والستين» (١)

والله تعالى أعلم وأعز وأكرم. وصلى الله وسلم وبارك على محمد نبى الرحمة وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين. آمين.

وكان الفراغ من تأليف هذا الكتاب فى ٧/ ٩/ ١٩٧٧ الموافق ٢٤ من رمضان سنة ١٣٩٧ هـ.

تم الكتاب بحمد الله وحده

وخالص شكرى واحترامى وتقديرى للرجلين العظيمين؛ صاحب الفضيلة الأستاذ الدكتور الشيخ عبد الغنى عوض الراجحى / عميد كلية أصول الدين - جامعة الأزهر. وصاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ محمود مصطفى بدوى / عميد معهد شربين الدينى.

## الدكتور أحمد حجازى أحمد السقا

١ - درجة الليسانس من كلية اللغة العربية جامعة الأزهر سنة ١٩٦٧ م

٢ - درجة الدكتوراه من كلية أصول الدين جامعة الأزهر سنة ١٩٧٧ م

فى موضوع: «البشارة بنبى الإسلام فى التوراة والإنجيل»

إشراف الأستاذ الدكتور الشيخ

محمد محمد أبو شهبة / عميد كلية أصول الدين - أسيوط سابقا

---

(١) ص ١٦ حياة بولس لفردريك ج ١ ترجمة عقدوى - مطبعة النيل بالمنصورة سنة ١٩٦٩م

# فهرس الكتاب